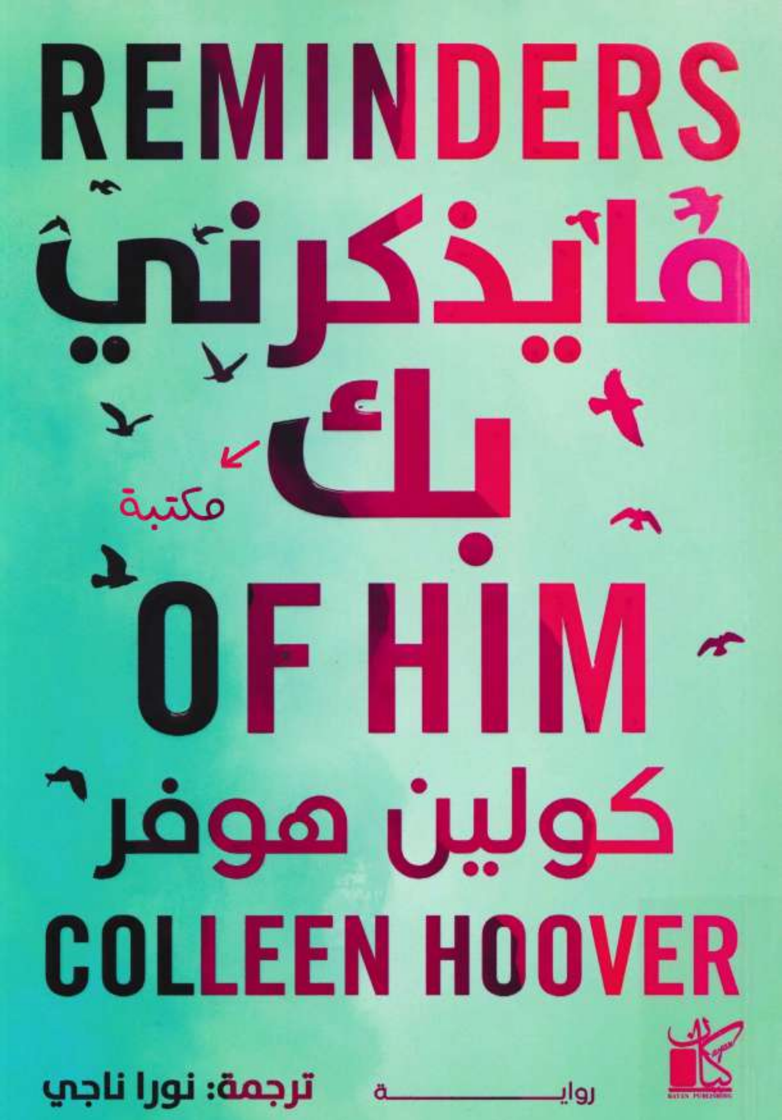
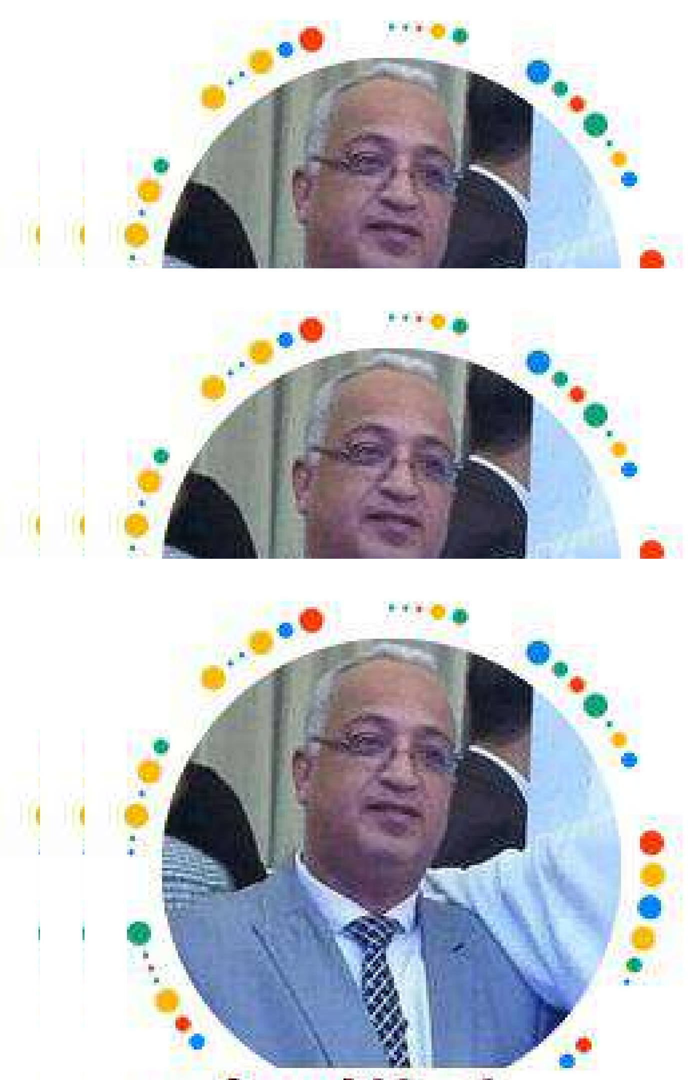
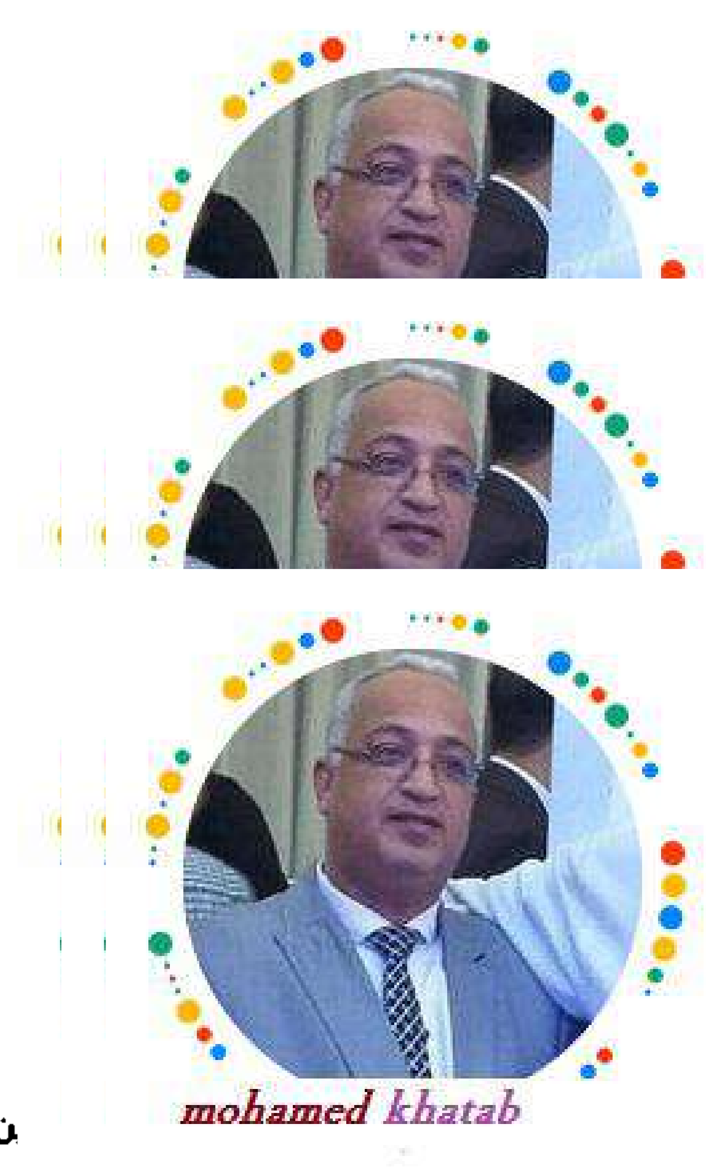

REMINDERS
مآيذكرني بك
مكتبة
OF HIM
كولين هوفر
COLLEEN HOOVER
ترجمة: نورا ناجي
رواية


mohamed khatab


mohamed khatab

مكتبة | 1172

كولين هوفر
ما يذكرني بكَ

ترجمة

نورا ناجي



هذه الرواية عملٌ خيالي، الأسماء والشخصيات والمنظمات والأماكن والأحداث
والحوادث إما نتاج خيال المؤلف وإما تم استخدامها بشكلٍ خيالي.

مقتطفات

مما كُتِب عن روايات كولين هوفر في الصحف والمواقع

يا لها من رواية مؤثرة وعظيمة،

هذا هو النوع من الروايات الذي يعيش إلى الأبد.

USA Today

عن رواية It Ends with Us

رواية Confess لكولين هوفر هي قصة جميلة ومؤثرة ستجعلك تشعر بالكثير من المشاعر.

الجارديان عن رواية Confess

هذه رواية تعالج موضوعًا صعبًا، بحنانٍ رومانسي وثقلٍ عاطفي. عبَّرت فيها هوفر عن العلاقات بعاطفة وصدقٍ. لا بد من قراءة ملاحظة المؤلف في النهاية التي تشرح فيها هوفر علاقتها الشخصية بالحكاية، لأنها مع الدراما المؤلمة والحقائق القاسية، توضح هذه الرواية كل التداعيات التي تحدث بسبب التعنيف، كما تحتفي بقوة الناجين.

مراجعة على موقع Kirkus



لقد انضمَّت هوفر إلى الكاتبات البارزات مثل جينيفر وينر وجوجو مويس وجيليان فلين، من المؤكد أن كتاباتها ترضي عددًا كبيرًا من القراء.

Library Journal، مراجعة بتاريخ 9 نوفمبر

بَنت هوفر عالمًا رائعًا عن قصة تتمحور حول تطور شخصين في حياتهم المهنية واكتشاف الحب الناضج.

مراجعة على Booklist لرواية Ugly Love

الخيانات والأسرار والولاءات العائلية المتغيرة تجعلنا متشوقين لقلب الصفحة واستكمال القراءة، إنها هوفر في أفضل حالاتها.

Publishers Weekly عن رواية Regretting You

إلى تاسـارا

الفصل الأول

كينا

لمحتُ الصليب الخشبي الصغير المثبت في الأرض على جانب الطريق، والمكتوب عليه تاريخ وفاته، فكرت: "كان سكوتي ليكره ذلك، أراهن أن والدته هي من وضعته هناك".

أشرتُ إلى السائق:

- هل يمكنك التوقف؟

أبطأ السائق، وتوقف على جنب. ترجَّلتُ من السيارة، وعدت إلى حيث الصليب، هززته يمينًا ويسارًا حتى تفكَّكت طبقات الطين من حوله، ثم انتزعته من الأرض.

هل مات في هذا المكان بالذات؟ أم مات على قارعة الطريق؟

لم أهتم بالتفاصيل في أثناء المحاكمة. عندما سمعتُ أنه زحف على بُعد عدة ياردات من السيارة، بدأتُ في الهمهمة حتى أشوّش على صوت المدعي العام، أردتُ الانتهاء من كل شيء، اعترفتُ أنني مذنبة ليتوقفوا عن سرد بقية التفاصيل على مسمعي.

ولأنني أيضًا -بشكلٍ ما- كنت كذلك..

ربما لم أقتله بأفعالي، لكنني قتلته بالتأكيد بعدم فعلي أيَّ شيء..

"اعتقدتُ أنكَ ميتٌ يا سكوتي، لكن الموتى لا يستطيعون الزحف".

عدتُ إلى السيارة والصليب في يدي، وضعته على الكرسي الخلفي إلى جواري، وانتظرت أن يعاود السائق القيادة، لكنه لم يفعل، نظرتُ إليه في مرآة الرؤية الخلفية، ورأيته يحدق إليَّ بحاجبين مرفوعين.

"سرقة النصب التذكارية من جانب الطريق ستجلب سوء الطالع، هل أنتِ متأكدة أنك تريدين أخذه؟".

تحاشيت عينيه، وقلتُ: "نعم، أنا من وضعه هناك".

شعرتُ بعينيه لا تزالان تحدقان إلى وجهي وهو يعود بنا إلى الطريق.

شقتي الجديدة على بُعد ميلين فقط من هنا، لكنها في الاتجاه المعاكس من البيت الذي اعتدت العيش فيه. ليس لديَّ سيارة، لذلك قررتُ العثور على شقة في أقرب مكانٍ إلى وسط المدينة هذه المرة حتى أتمكن من المشي إلى العمل، هذا إن استطعت العثور على وظيفة؛ سيكون الأمر صعبًا مع تاريخي وقلة خبرتي.

ووفقًا للسائق، أنا ملعونة الآن بسوء الطالع، قد تجلب لي سرقة نصب سكوتي التذكاري الكارما السيئة، لكن يمكنني أيضًا أن أجادله وأخبره بأن وضع نصب تذكاري للرجل الذي صرَّح أكثر من مرة بأنه يكره النصب التذكارية يمكن أن يجلب الكارما السيئة أيضًا. لهذا طلبت من السائق أن يسلك هذا المنعطف في الطريق الخلفي؛ كنت أعرف جريس، وفكرت أنها ربما تركت شيئًا ما في موقع الحطام لتخليد ذكراه، وشعرت أنني مدينة لسكوتي بإزالته.

سألني السائق: "نقدًا أم بطاقة؟".

ألقيتُ نظرة على العداد وسحبت النقود والإكرامية من حقيبتي لأمنحه إياها بعد أن توقف، ثم أمسكت بحقيبتي والصليب الخشبي الذي سرقته للتوّ، وشققتُ طريقي إلى المبنى.

شقتي الجديدة ليست جزءًا من مجمع ضخم، إنها مجرد بناية قديمة قائمة بذاتها تحيط بها ساحة انتظار سيارات مهجورة من جانب، ومتجر صغير من الجانب الآخر. غُطيت النوافذ في الطابق السفلي بألواحٍ من الخشب الحبيبي، وتناثرت علب البيرة الصدئة في المكان، ركلتُ واحدة جانبًا حتى لا تعلق في عجلات حقيبتي.

المكان يبدو أسوأ مما كان عليه على الإنترنت، لكنني توقعت ذلك. لم تسأل المالكة عن اسمي حتى عندما اتصلت لأسأل إن كان لديها أماكن شاغرة، قالت: لديَّ دائمًا أماكن شاغرة، اجلبي أموالك نقدًا، أنا في شقة 1، ثم أغلقت الخط في وجهي.

طرقتُ الشقة باب رقم 1، بينما تحدق إليَّ قطة من النافذة المجاورة، تقف بلا حراكٍ لدرجة أنني بدأت أتساءل إن كانت تمثالًا، لكنها أدارت عينيها اللامعتين وتسلَّلت بعيدًا.

انفتح الباب في نفس اللحظة فاستدرتُ نحوه، وقفتْ خلفه امرأة عجوز ضئيلة، تلفُّ شعرها على بكر الشعر، بفم وأنف ملطَّخين بأحمر الشفاه، نظرت إليَّ بسخطٍ وقالت: "لستُ في حاجة إلى أي شيء تبيعينه".

قلتُ وأنا غير قادرة على رفع عينيّ عن أحمر الشفاه الذي لطّخ حتى التجاعيد حول شفتيها: "اتصلتُ الأسبوع الماضي بخصوص الشقة، أخبرتِني أن لديك واحدة شاغرة؟".

بدا على وجهها الذي يشبه الخوخة أنها تذكّرتني، همهمت: "لم أتوقع أن تبدي هكذا".

لم أعرف كيف أرد، نظرت إلى بنطلوني الجينز وقميصي، بينما ابتعدت هي عن الباب لبضع ثوانٍ، ثم عادت بحقيبة يدٍ صغيرة.

- خمسة وخمسين في الشهر، مع إيجار شهرين مقدمًا.

عددتُ النقود وناولتها إياها، سألتها: "لا يوجد عقد إيجار؟".

ضحكت وهي تحشو النقود في جرابها، أشارت بإصبعها إلى أعلى: "أنت في شقة ستة"، أكملت: "هذا فوقي مباشرة، لذا راعي الهدوء، أنا أذهب إلى الفراش مبكرًا".

- "ما هي المرافق المدرجة؟".

- "الماء والقمامة، أما الكهرباء فهي عليكِ، أمامك ثلاثة أيامٍ قبل أن تنقطع، ثم عليكِ تحويل العداد باسمك، يجب أن تودعي 250 دولارًا في شركة الكهرباء".

اللعنة..أمامي ثلاثة أيام للتصرف في 250 دولارًا؟

ربما كان قراري بالعودة إلى هنا متسرعًا، ولكن عندما تم تسريحي من السكن الانتقالي، كان لديّ خياران: إنفاق كل أموالي في محاولة البقاء على قيد الحياة في تلك المدينة البعيدة، أو القيادة لمسافة ثلاثمائة ميلٍ وإنفاق كل أموالي هنا؛ فضّلتُ أن أعود إلى المدينة التي تضم كل من كانوا على صلة بسكوتي ذات يومٍ.

تراجعتْ العجوز خطوة إلى الخلف داخل شقتها، قائلة: "مرحبًا بكِ في شقق الجنة، سأحضر إليكِ هريرة بمجرد أن تستقري".

وضعتُ يدي على الفور على بابها لمنعها من إغلاقه:

- انتظري، ماذا؟ هريرة؟

- نعم، هريرة، مثل القطة، لكنها أصغر حجمًا.

ابتعدتُ عن بابها كأنه سيحميني بطريقة أو بأخرى مما يحدث، وقلت: "لا، شكرًا، أنا لا أريد قطة".

- لديَّ الكثير.

كررتُ: "أنا لا أريد قطة".

- من لا يريد قطة؟

- أنا.

تأوَّهت العجوز كأنَّ رفضي أصابها في مقتلٍ، قالت: "سأعقد معك اتفاقًا، لن أقطع عنك الكهرباء لمدة أسبوعين إذا أخذتِ هريرة".

ما هذا النوع من المكان بحق الجحيم؟ فكرت.

قالت: "حسنًا"، بدا كأنها ترد على صمتي كأنه تكتيكٌ تفاوضي، وأكملتْ: "شهر، سأترك لكِ الكهرباء طوال الشهر إذا أخذتِ قطًا واحدًا فقط".

ثم دخلتْ شقتها تاركة الباب مفتوحًا.

لم أرِد قطًّا صغيرًا، لم أرِد أيّ قطٍ، ولكن إغراء ألَّا أضطر إلى إنفاق 250 دولارًا على وديعة الكهرباء هذا الشهر تستحق.

عاودتْ العجوز الظهور مع قطة صغيرة سوداء بنقاط برتقالية، وضعتها في يدي قائلة: "ها هي ذا، اسمي روث في حال احتجتِ إلى أي شيء، ولكن حاولي ألا تفعلي"، ثم أغلقت بابها مرة أخرى.

أوقفتها: "انتظري، هل يمكنك إخباري أين يمكنني العثور على هاتفٍ عمومي؟".

أطلقت ضحكة مكتومة، وقالت بنبرة ساخرة: "نعم؟ هاتف عمومي في عام 2005؟"، ثم أغلقت بابها تمامًا.

ماءت القطة، لكنه ليس مواءً حلوًا، يبدو أكثر مثل صرخة طلبًا للمساعدة، تمتمتُ: "إذن، أنت وأنا معًا في هذا".

شققتُ طريقي نحو الدرج مع حقيبتي و.. قطتي. ربما كان عليَّ الانتظار بضعة أشهر أخرى قبل مجيئي مرة أخرى إلى هنا. لقد عملت على توفير ما يزيد قليلًا على 2000 دولار، لكنَّ المبلغ أوشك على الانتهاء على مصاريف الانتقال إلى هنا، كان يجب عليَّ ادخار المزيد، ماذا لو لم أتمكَّن من العثور على وظيفة بسرعة؟ والآن أنا مكلَّفة بمسؤولية مراعاة قطة أيضًا!

بدتْ حياتي أصعب بعشر مراتٍ مما كانت عليه بالأمس. وصلتُ إلى الشقة والهريرة متشبثة بقميصي، أدخلتُ المفتاح في القفل واضطررت إلى استخدام كلتا يديَّ لسحب الباب وإدارة المفتاح، عندما فتحت الباب، وخطوتُ داخل بيتي الجديد، حبستُ أنفاسي خوفًا مما سأشمُّه، أشعلتُ الضوء وألقيتُ نظرة من حولي، ثم زفرتُ ببطء، لم تكن الرائحة سيئة جدًا هذا شيء جيدّ وسيئ في نفس الوقت.

هناك أريكة في غرفة المعيشة، ولكن هذا كل ما في الأمر بالمعنى الحرفي للكلمة. غرفة معيشة صغيرة، مطبخ أصغر، من دون غرفة طعام. ولا غرفة نوم، إنها مجرد ردهة مع خزانة وحمام صغير يلامس فيه المرحاض الحوض.

المكان أقرب إلى حفرة فارغة تبلغ مساحتها خمسمائة قدم مربع، لكنها خطوة جيدة بالنسبة إليَّ. لقد انتقلتُ من مشاركة زنزانة مساحتها مائة قدم مربعة مع زميلة، إلى العيش في مساكن انتقالية مع ستة رفقاء سكن، وأخيرًا إلى شقة مساحتها خمسمائة قدم مربع أملكها وحدي.

عمري ستة وعشرون عامًا، وهذه أول مرة أعيش فيها بمفردي في مكانٍ ما، إنه أمرٌ مرعبٌ ومحرر في نفس الوقت.

لا أعرف ما إذا كان في إمكاني شراء هذا المكان بعد انتهاء الشهر، لكنني سأحاول، حتى لو كان ذلك يعني التقدم إلى أي وظيفة سأجدها في طريقي. إن امتلاك شقتي الخاصة سيساعدني كثيرًا عندما أرفع القضية على آل لاندريس، سيظهر أنني مستقلة حتى لو كان هذا الاستقلال سيجعلني أعاني.

أوشكتْ القطة على السقوط من حضني، فوضعتها على الأرض في غرفة المعيشة، بدأتْ في التجول وهي تطلق صراخها الصغير، شعرت بألم في صدري وأنا أشاهدها تبحث في الزوايا عن مخرج يعيدها إلى بيتها، حيث تعيش والدتها وإخوتها، بدت مثل النحلة، أو زينة الهالوين بالبقع السوداء والبرتقالية التي تغطيها.

- ماذا سنسميكِ؟



علمتُ أنني سأستغرق بضعة أيام للعثور على اسم لها، فأنا آخذ تسمية الأشياء على محمل الجد. في المرة الأخيرة التي كنتُ فيها مسؤولة عن تسمية شخص ما، أخذت الأمر بجدية أكثر من أي وقتٍ مضى. يمكن أن يكون ذلك بسبب الوقت الطويل الذي قضيته في زنزانتي في أثناء فترة الحمل، لم أفعل شيئًا سوى التفكير في أسماء الأطفال، اخترت اسم ديم لأنني عرفت أنني بمجرد إطلاق سراحي كنت سأعود إلى هنا وأفعل كل ما في وسعي للعثور عليها.

ها أنا الآن هنا.. يا حبيبتي ديم.

الفصل الثاني

ليدجر

كنتُ أركن شاحنتي في الزقاق خلف الحانة عندما لاحظتُ أظافر يدي اليمنى المطلية بالأرجواني، نسيتُ أنني لعبت لعبة التنكر بالمكياج مع الطفلة الليلة الماضية، تأمَّلته لحظة، وفكرت أن على الأقل يليق الأرجواني بملابس العمل.

كان رومان يلقي بأكياس القمامة إلى سلة المهملات عندما ترجَّلتُ من الشاحنة، رأى كيس الهدايا في يدي وعرف أنه من أجله، فخطفه من يدي وسارع لفتحه: "دَعني أخمِّن، كوب قهوة؟ إنه كوب قهوة، هو دائمًا كذلك".

كالعادة، لم يقُل شكرًا حتى.

لا نعترف كثيرًا بما ترمز إليه هذه الأكواب، لكنني أشتري واحدًا له كل يوم جمعة، هذا هو الكوب السادس والتسعون ربما يجب أن أتوقف لأن شقته باتت مليئة بأكواب القهوة، لكنني لن أستسلم. قاربنا على الوصول إلى الأسبوع المائة، وكنت متمسكًا بهذا الكوب المئوي، إنه كوب دنفر برونكو، أقل فريق مفضَّل لديه.

تراجع رومان باتجاه الباب الخلفي للبار، وهو يقول: "هناك زوجان بالداخل يضايقان العملاء الآخرين، قد ترغب في مراقبتهما".

هذا غريبٌ، لا نضطر عادة إلى التعامل مع المشاغبين في وقتٍ مبكرٍ من المساء، إنها ليست حتى السادسة بعد.

سألته: "أين يجلسان؟".

- بجانب صندوق الموسيقى.

نظر إلى يدي، وقال: "أظافر جميلة، يا رجل".

- حقًّا؟

رفعتُ يدي محركًا أصابعي أمام عينيَّ: "لقد قامت بعملٍ جيدٍ بالنسبة إلى طفلة عمرها أربع سنوات".

فتحتُ الباب الخلفي للبار لتصدح أغنيتي المفضلة بصوتUgly Kid Joe المبحوح من مكبرات الصوت، فتمتمت: "أتمنى ألا يكون ما أفكر فيه صحيحًا!".

مشيتُ عبر المطبخ إلى البار، ووجدتُ ما توقعته، رأيتهما محنيين فوق صندوق الموسيقى، شققت طريقي بهدوء نحوهما، ورأيتها تضرب نفس الأرقام مرارًا وتكرارًا، ألقيت نظرة من فوق أكتافهما على الشاشة بينما هما يضحكان مثل الأطفال الأشقياء، رأيتُ على الشاشة أنها ضبطت صندوق الموسيقى على لعب أغنية Cat's in the Cradle ستة وثلاثين مرة!

ابتلعتُ ريقي لأتمكن من إخراجِ صوتي من حلقي الجاف، صحت: "هل تعتقدان أن هذا مضحكٌ؟ إجبارنا على الاستماع إلى نفس الأغنية خلال الساعات الست القادمة؟".

استدار أبي عندما سمع صوتي، وصاح: "ليدجر!"، شدَّني إليه وعانقني طويلًا. رائحته مزيجٌ من البيرة وزيت المحركات والليمون، هل هما مخموران؟

تراجعت أمي عن صندوق الموسيقى، وقالت: "لم نفعل، بالعكس كنَّا نحاول إصلاحه".

لا يتصل والداي أبدًا قبل حضورهما، يظهران فجأة ويبقيان يومًا أو يومين أو ثلاثة ثم يغادران في مقطورتهما السكنية، لكن ظهورهما وهما مخموران كان أمرًا جديدًا.

التفتُّ إلى رومان الجالس خلف الحانة، وأشرت إلى والديَّ، صحتُ: "هل فعلتَ هذا لهما، أم أنهما ظهرا بهذا الشكل؟"، هزَّ رومان كتفيه قائلًا: "بعض من هذا وبعض من ذاك".

قالت والدتي: "إنه عيد زواجنا، نحن نحتفل".

- أتمنى أنكما لم تقودا إلى هنا.

قال أبي وهو يربت على خدي: "لم نفعل، سيارتنا مع مقطورتنا في الصيانة الدورية، جئنا بسيارة من تطبيق Lyft، كنَّا نريد أن نراك، لكننا انتظرناك لمدة ساعتين، ويجب أن نغادر الآن لأننا جائعان".

- لهذا السبب يجب أن تخطراني قبل أن تظهرا فجأة، تعرفان أنني مشغول دائمًا.

سألني أبي: "هل تذكرت عيد زواجنا؟".

- سقط من ذاكرتي، آسف.

قال لأمي: "ألم أخبرك، ادفعي يا روبن".

مدَّت أمي يدها إلى جيبها، وأخرجت له عشرة دولارات، كانا كالعادة يتراهنان عليَّ، تراهنا على كل شيء تقريبًا، حب حياتي، أين سأقضي عطلاتي، كل مباراة كرة قدم لعبتها، لكنني أتسامح مع هذا، لأنهما يمرران نفس عشرة الدولارات بينهما منذ سنوات.

هزأبي كأسه الفارغ وصاح فيَّ: "املأ كأسي أيها النادل".

تناولت الكأس قائلًا: "ماذا عن بعض الماء المثلج؟"، تركتهما متجهًا نحو البار، وقفت لأسكب لهما كأسين من الماء عندما دخلت فتاة من باب البار، بدت تائهة نوعًا، كأنها لم تحضر هنا من قبل، أدارت عينيها في المكان ثم ثبَّتتهما على مائدة فارغة منزوية على الجهة المقابلة، مشت فورًا نحوها.

حدقت إليها وهي في طريقها إلى المائدة، حدقت إليها بشدة لدرجة أنني لم أنتبه للماء الذي ملأ الكأسين وانسكب في كل مكان.

أمسكتُ بمنشفة لأنظف الفوضى التي أحدثتُها، لمحتُ أمي وهي تدير عينيها بيني وبين الفتاة، توترت، آخر شيء أحتاج إليه الآن هو أن تحاول التوفيق بيني وبين أحد الزبائن، تحب لعب دور الخاطبة كثيرًا معي وهي في وعيها، لذلك يمكنني تخيل مدى سوء الوضع عندما تحاول فعل ذلك وهي مخمورة، لا بد أن يرحلا فورًا.

حملتُ الكأسين إليهما، ثم ناولت أمي بطاقتي الائتمانية وقلت: "يجب أن تجرِّبا مطعم Jake's Steakhouse، اذهبا وتناولا العشاء على حسابي بمناسبة عيد زواجكما، تمشيا إلى هناك حتى تفيقا في الطريق".

وضعت أمي يدها على صدرها، وصاحت: "أنت لطيف جدًا"، نظرت إلى والدي: "لقد ربيناه جيدًا يا بنجي، دعنا نذهب ونحتفل ببطائقته الائتمانية".

هزَّ أبي رأسه موافقًا: "نعم ربيناه جيدًا، كان علينا إنجاب المزيد من الأطفال".

- فات الآوان يا عزيزي، لقد وصلتُ إلى سن اليأس، ألا تتذكر كيف كرهتك لمدة عام كامل؟

أمسكت أمي حقيبتها، واستعدًا للرحيل وهما يحملان كأسي الماء، تمتم أبي، وهما يسيران مبتعدين "دعينا نتناول الضلوع المشوية ما دام هو من سيدفع".

تنفَّستُ الصعداء، وعدت إلى البار، كانت الفتاة لا تزال جالسة في هدوءٍ على مائدتها المنزوية، تكتب في دفترٍ، لم يكن رومان موجودًا فافترضت أن لا أحد سألها عن طلبها بعد، فتطوعتُ بكل سعادة.

اقتربتُ منها، وقفتُ أمام مائدتها، وسألتها: "ماذا يمكنني أن أجلب لك؟".

- الماء وكولا دايت، من فضلك.

لم تنظر إليَّ فتحركت لجلب طلبها، عندما عدتُ كانت لا تزال تكتب في دفترها، حاولت أن ألقي نظرة على ما تكتبه لكنها أغلقت الدفتر، ورفعت عينيها إليَّ: "شكر...".

سكتت فجأة قبل أن تكمل كلمة شكرًا، تمتمت بكلمة لم أتبيَّنها وهي تضع الشفاطة في فمها، بدت مرتبكة، وددتُ لو طرحت عليها بعض الأسئلة، مثل اسمها ومن أين هي، لكنني تعلمت على مدار سنوات من امتلاك هذا المكان أن بدء الحديث مع الأشخاص الوحيدين في الحانة قد يورطني في محادثة طويلة ومملة.

لكن معظم الأشخاص الذين يأتون إلى هنا لم يلفتوا انتباهي كما فعلتْ، أشرتُ إلى المشروبين، وقلت: "هل أنتِ في انتظار شخص آخر؟".

جذبت الكأسين نحوها قائلة: "لا، أنا فقط أشعر بالعطش".

أخفضت عينيها، ومالت إلى الخلف في كرسيها، ثم سحبت دفترها نحوها وأعطته كل اهتمامها، فهمت أنها تنهي المحادثة، فعدت إلى الحانة لأمنحها الخصوصية.

عاد رومان من المطبخ، وقف إلى جواري ونظر إليها، سألني: "من هي؟".

- لا أعرف، لكنها لا ترتدي خاتم الزواج، لذا، فهي ليست من نوعك المفضل.

نظر إليَّ بسخرية، وقال: "كم أنت ظريف".

الفصل الثالث

كينا

عزيزي سكوتي..

لقد حوَّلوا المكتبة إلى بار، هل تصدِّق هذا السُّخف؟ أتساءل ماذا فعلوا بالأريكة التي كنَّا نجلس عليها كل أحد. أكاد أقسم أن البلدة كلها تحوَّلت، كأنها أصبحت مثل لوح المونوبلي الذي بعثر أحدهم قطعه في كل مكانٍ بعد موتك.

لا شيء على حاله، لا شيء يبدو مألوفًا، تمشيت في وسط المدينة لمدة ساعتين أراقب كل ما حولي وأندهش. في طريقي إلى البقالة رأيتُ المقعد الخشبي على جانب الطريق الذي اعتدنا الجلوس عليه وتناول الآيس كريم، جلستُ عليه أتابع الغادي والرائح من دون أن أشعر بالوقت.

يبدو الجميع مرتاحين جدًّا في هذه المدينة، الناس هنا يتجولون كأن عالمهم مقلوبٌ رأسًا على عقب، كأنهم ليسوا على وشك السقوط من الأرض إلى السماء، هم فقط يعيشون اللحظة بلحظتها، لن ينتبهوا أبدًا لتلك الأم التي تهيم على وجهها من دون ابنتها!

ربما لم ينبغِ لي السهر في حانة، خاصة في أول ليلة لي هنا، لا يعني هذا أن لديَّ مشكلة مع الكحول، تلك الليلة المروعة كانت استثناء، لكن آخر شيء أريده هو أن يكتشف والداك أنني ذهبت إلى حانة قبل حتى الذهاب إلى منزلهما.

عزائي الوحيد أنني اعتقدتُ بأن هذا المكان لا يزال مكتبة تقدِّم القهوة إلى مرتاديها. لكَ أن تتخيل خيبة أملي بعدما دلفت إلى الداخل، واكتشفت أن المكان تحوَّل إلى حانة، لأكتفي بتناول الصودا بعد أن طمحت في فنجان قهوة يمدني بكافيين أكثر مما يمكن أن يتوفر في مشروبٍ غازي، بعد يوم سفرٍ طويلٍ ومرهقٍ في الحافلة ثم سيارة الأجرة، ربما تقدِّم الحانة القهوة.. ربما عليَّ أن أسأل النادل.

أريد أن أخبرك بشيء ربما ينبغي لي ألَّا أحكيه، لكنني أعدك بأنك ستفهم دوافعي قبل انتهاء هذه الرسالة: لقد قبَّلتُ حارس السجن مرة واحدة، لكنهم اكتشفوا أمرنا، ونقلوه إلى وحدة مختلفة. شعرتُ بالذنب لأن قبلتنا تسبَّبت له في مشكلة، لكنه تحدث إليَّ كأنني شخصٌ وليس مجرد رقم في سجن، وعلى الرغم من أنني لم أكن منجذبة إليه، كنت أعلم أنه منجذب إليَّ، لذلك عندما انحنى لتقبيلي، استجبتُ له؛ كانت هذه هي طريقتي في التعبير عن امتناني، وأعتقد أنه كان يعرف ذلك ولم يمانع.

لقد مرَّ عامان لم يلمسني فيهما رجلٌ بعدك، لذلك عندما دفعني إلى الجدار وضمَّني من خصري إليه، ظننتُ أنني سأستعيد مشاعري التي تجمَّدت، لكن هذا لم يحدث؛ حزنتُ لأنه لم يحدث.

أحكي لك هذه الحكاية لأن القهوة ذكّرتني بمذاق شفتيه، كان لقبلته طعم القهوة، لكنها قهوة أفضل من قهوة السجن، قهوة باهظة الثمن بقيمة ثمانية دولارات من ستاربكس، مع الكراميل والكريمة المخفوقة والكرز، لهذا ظللت أقبِّله، وليس لأنني استمتعت بقبلته أو به أو بيده على خصري، ولكن لأنني اشتقت إلى طعم القهوة الغالية مع الكراميل..واشتقت إليك،

أشتاق إلى القهوة.. وأشتاق إليك..



حبي،

كينا

- هل تودين المزيد من الصودا؟

سألني النادل. كان يملك وشمًا كبيرًا على ذراعيه، يرتدي تيشيرت بنفسجيًا داكنًا، لون لا يمكن أن نراه في السجن، لم أفكر أبدًا في الألوان وتأثيراتها حتى سُجنت، واكتشفت أن السجن بلا لونٍ، مجرد فراغٍ رتيبٍ ومملٍ، بعد فترة من مكوثك فيه، ستنسى كل الألوان، ستنسى حتى لون الأشجار في الخريف.

- هل لديك قهوة؟

- بالتأكيد، مع القشدة والسكر؟

- هل لديك كراميل؟ وكريمة مخفوقة؟

ألقى قطعة قماش على كتفه، وقال: "بالتأكيد، هل تودين شيئًا آخر؟ حليب صويا.. حليبًا منزوع الدسم، حليب اللوز أو حليبًا كامل الدسم؟".

- كامل الدسم.

ضحك النادل، وقال: "كنت أمزح، أنت في حانة وليس في مقهى، لديَّ فقط إبريق قهوة عمره أربع ساعات، واختيارك من الكريمة أو السكر أو كليهما أو بلا إضافاتٍ".

لون قميصه الملائم للون بشرته لم يعُد يثير إعجابي، هذا الأحمق، تمتمت: "فقط أعطني أي شيء".

ابتعد النادل ليعد لي القهوة العادية التي لن تختلف كثيرًا عن قهوة السجن، شاهدته وهو يتناول القدر من الحامل ويقرِّبها من أنفه ثم يمتعض ويلقي بما داخله من قهوة في الحوض، أعاد ملء القدر بالماء، ويدأ في إعداد المزيد من القهوة الطازجة وهو يكمل مهامه في ملء كأس رجل، ومحاسبة آخر والابتسام في وجوه الجميع، بطريقته التي توحي بالمودة ولكن ليس تمامًا.

لم أرَ قطُّ أي شخص يتحرك بسلاسة، كما لو كان لديه سبع أذرعٍ وثلاثة أدمغة مثل هذا الرجل، من الساحر رؤية شخص يؤدي عمله بهذه المهارة، أنا لا أعرف ما أجيده، لا يوجد ما يمكنني فعله بهذه المهارة والسلاسة، هناك -رغم ذلك- أشياء أودُّ أن أجيدها، أريد أن أكون أمًّا جيدة مع أطفالي المستقبليين، بالذات مع ابنتي الموجودة بالفعل في هذا العالم، أريد أن أمتلك حديقة صغيرة أزرع فيها النباتات وأعتني بها جيدًا لتزهر ولا تموت، أريد أن أتعلم كيف أتحدث إلى الناس من دون أن أتمنى التراجع عن كل كلمة قلتها. أريد أن أشعر بشيء ما يتحرك داخلي عندما يضمني رجلٌ من خصري، أريد أن

أكون جيدة في هذه الحياة، أريد أن أعيش بسلاسة، ألّا أشعر بأن كل شيء من حولي معقدّ، وأن الحياة صعبة جدًّا للعيش فيها.

عاد النادل إليَّ بالقهوة، وبينما يصبُّها في الكوب، تأمَّلتُ ملامحه، بدا وسيمًا جدًّا، هذا النوع من الوسامة التي يجب على أيّ أم تسعى إلى استعادة الوصاية على ابنتها تجنُّبها.

عيناه عميقتان كأنه رأى كل شيء، يداه قويتان ربما لَكَمَ بها رجلًا أو اثنين، شعره يهدل بنعومة مثل حركاته، خصلاته السوداء الطويلة تنسدل على عينيه وتنساب في أيّ اتجاه يتحرك فيه، لا يخلل شعره بيده، لم يفعل ذلك ولا مرة منذ أن دلفت إلى الحانة، هو فقط يحرك رأسه قليلًا إلى الخلف كل بضع لحظات ليبعده عن عينيه. شعره الكثيف، شعره اللطيف، شعره الذي تمنيت أن أخلل أصابعي فيه.

كوبي مليء بالقهوة الآن، لكنه رفع إصبعه، وقال: "ثانية واحدة"، ذهب إلى ثلاجة صغيرة في جانب الحانة، وعاد بعلبة صغيرة من الحليب كامل الدسم في يده وصبَّ بعضًا منه في الكوب، ثم أظهر يده الأخرى بعلبة من الكريمة المخفوقة. قال: "مفاجأة" وهو يضع القليل منها في الكوب. في النهاية، فتح كفَّ يده المطبقة على حبة كرز، ووضعها بعناية على الكريمة، ثم فتح ذراعيه مستعرضًا ما فعل كأنه ساحرٌ أنهى فقرته.

- ينقصنا الكراميل، لكن هذا كل ما تمكنت من إيجاده في هذه الحانة التي هي ليست بمقهى.

يبدو أنه يظنني فتاة مدلَّلة اعتادت تناول القهوة بثمانية دولارات كل يوم، ليس لديه فكرة عن كل الوقت الذي قضيته من دون أن أحتسي فنجان قهوة مضبوطًا. حتى بعد خروجي من السجن، قضيت الشهور الفائتة في التنقل بين المساكن الانتقالية، التي قدموا إليّ فيها قهوة السجن.. قهوة السجن لفتيات السجن اللاتي يمتلكن ماضيًا مخزيًا في السجن.

أريد أن أبكي..

بكيت فعلًا..

بمجرد أن ابتعد ليلبي طلب زبون آخر، بدأت في البكاء، كنت أحتسي القهوة وأبكي وأنا مغمضة عينيّ، لأن الحياة يمكن أن تكون قاسية وصعبة للغاية، وقد أردت التوقف عن عيشها مراتٍ عديدة، لكن لحظات كهذه تذكِّرني بأن السعادة ليست دائمة، بل تظهر بين الحين والآخر هكذا، أحيانًا بجرعاتٍ صغيرة لكنها كافية لإبقائنا مستمرين.

الفصل الرابع

ليدجر

أعرف كيف أتصرَّف عندما يبكي طفلٌ، لكني لا أعرف ماذا أفعل عندما تبكي امرأة بالغة، لذلك بقيتُ بعيدًا عنها قدر الإمكان، بينما تبكي وهي تشرب قهوتها.

لم أتبيَّن عنها الكثير منذ أن دلفت إلى هذه الحانة، لكني متأكدٌ من شيء واحد، هي لم تأتِ هنا لتقابل أحدًا، لقد أتيت من أجل بعض العزلة. حاول ثلاثة رجال التقرب منها في الساعة الأخيرة لكنها صدَّتهم من دون أن تنظر إليهم حتى.

إنها السابعة مساءً، وهي لا تزال مستمرة في شرب قهوتها، فكرت أنها تمرُّ بفترة عصيبة، وتمنيت ألا أكون محقًّا، أنا مفتون بفكرة أنها جاءت إلى حانة لطلب أشياء نادرًا ما تُطلب فيها، بينما تصد الرجال من دون أن تُلقي عليهم نظرة.

أعمل وحدي أنا وورومان الليلة حتى يصل ماري آن ورازي، والمكان مزدحمٌ جدًّا لذا لا يمكنني منحها الاهتمام الذي تستحقه، هي تستحق أن أوليها كامل انتباهي، لكني ابتعدت قليلًا لأترك لها مساحتها.

وددتُ أن أسألها عن طلبِها التالي بعد أن انتهت من قهوتها، لكني بدلًا من ذلك، تركتها تجلس مع قدحها الفارغ لمدة عشر دقائق، أو ربما خمس عشرة دقيقة، في غضون ذلك، كنتُ أختلس النظرات إليها، وجهها بديع الخلق، تمنيت لو كانت هناك لوحة لوجهها معلقة على حائطٍ في متحفٍ في مكانٍ ما، حتى أتمكن من الوقوف أمامها والتحديق إليها كلما أردت ذلك، بدلًا من الاكتفاء بالنظرات الخاطفة بين حين وآخر كما أفعل الآن؛ من المدهش رؤية التقاطيع التي توجد في كل الوجوه، كأنها مختلفة في وجهها، كأنها منسّقة بطريقة أفضل وأجمل.

نادرًا ما يأتي الناس إلى الحانة في بداية أمسية نهاية الأسبوع بمثل هذه الهيئة البسيطة، لم تتأنّق مثل كل الفتيات، ترتدي تيشيرت واسعًا وباهتًا مع الجينز، لكن اللون الأخضر في التيشيرت يطابق لون عينيها الخضراوين بتكاملٍ مدهشٍ كما لو أنها بذلت كل جهدها في البحث عن اللون المثالي المطابق لعينيها، رغم أنني متأكدٌ من أنها لم تتعمد ذلك. شعرها أشقر خمري، بطولٍ واحدٍ أسفل ذقنها مباشرة، تمرر أصابعها خلاله بين الحين والآخر، وكلما فعلت ذلك، بدت كأنها تود التلاشي، ترتبك وتسرح بطريقة تجعلني أرغب في الذهاب إليها وجذبها إليَّ ومنحها عناقًا طويلًا.

ما قصتها؟

لا أريد أن أعرف..

لا أحتاج إلى أن أعرف..

أنا لا أواعد فتيات ألتقي بهن في هذه الحانة. لقد كسرت هذه القاعدة مرتين، وفي المرتين ندمت بشدة، إلى جانب ذلك، ثمّة شيء مرعب يتعلق بهذه الفتاة، لا أستطيع أن أصفه تمامًا، لا أستطيع أن أضع يدي عليه تحديدًا، لكني عندما تحدثت إليها، شعرت كأن صوتي يختنق داخل صدري، ليس كأنها خطفت أنفاسي انبهارًا، لكن بطريقة أكثر جوهرية، كما لو أن عقلي يحذرني من التورط معها!

ريد فلاج[1]! خطر! ابتعد!

لكن لماذا؟

تلاقت نظراتنا وأنا أرفع قدحها الفارغ من على الطاولة، لم تنظر إلى أيِّ شخص آخر الليلة، أنا فقط، كان لا بد أن أشعر بإطراءٍ لكني بدلًا من ذلك شعرتُ بالفزع.

ألعب كرة القدم كمحترفٍ وأمتلك حانة، لكني أخاف من التواصل البصري مع فتاة جميلة، يجب أن أكتب هذا في النبذة عني على تطبيق تيندر: يلعب في فريق بونكو، يملك حانة، ويخاف من التواصل البصري.

سألتُها:

- هل تودين شيئًا آخر؟

- نبيذ.. أبيض.

(1) ريد فلاج: مصطلحٌ يُستخدم للتعبير عن وجود صفات خطرة في الشخص الذي تودُّ التقرب إليه أو الإعجاب به.

إنه توازن صعب أن تمتلك حانة وأن تكون متيقظًا. أريد للجميع أن يظلوا فائقين لكني في حاجة إلى زبائن، لذا سكبت لها كأسًا من النبيذ الأبيض، ووضعته أمامها.

بقيت بالقرب منها، متظاهرًا بتجفيف بعض الكؤوس الجافة منذ ليلة أمس بقطعة قماش، لاحظتُ حلقها يتحرك إلى أعلى وإلى أسفل وهي تحدق إلى كأس النبيذ كما لو كانت غير متأكدة، هذا التردد أو ربما الندم كان كافيًا ليجعلني أفهم أنها تعاني من مشكلة مع الكحوليات، يمكنني دائمًا معرفة اللحظة التي سيتوقف فيها الشخص عن انقطاعه عن الكحوليات من الطريقة التي ينظر بها إلى كأسه. فشرب الكحوليات بسبّب الضغط النفسي فقط لمدمني الكحول.

لكنها لم تمس الكأس، اكتفت بشرب الصودا حتى فرغت كأسها، مددت يدي لأرفع الكأس في نفس اللحظة التي مدَّت فيها يدها لتضعه على الطاولة، تلامست أصابعنا فشعرت بشيء يندلع في صدري، ربما تكون بضع دقات قلب إضافية، وربما يكون ثوران بركانٍ.

أبعدت أصابعها عن يدي بسرعة كأنها لمست سلكًا كهربائيًا، ووضعت يديها في حجرها، رفعت كوب الصودا الفارغ بعيدًا، وكذلك الكأس الممتلئة بالنبيذ، لم تنظر إليَّ ولم تسألني لماذا، بدت كأنها تتنهد، ربما ارتاحت لأنني أنقذتها وأبعدته، لماذا طلبته من الأصل؟

أعدت ملء مشروبها الغازي، وسكبت النبيذ في الحوض ثم غسلت الكأس، بينما ظلَّت هي تشرب من كوب الصودا لفترة من الوقت، لكن الاتصال بالعين توقف؛ ربما أزعجتها أكثر من اللازم.

لاحظ رومان أنني أحدق إليها، فلكزني بكوعه قائلًا : "طلاق أم موت؟".

يحب رومان دائمًا تخمين الأسباب التي تجعل الناس يأتون بمفردهم إلى الحانات، ودائمًا ما تأتي تخميناته في غير محلِّها، هذه الفتاة مثلًا لا تبدو كأنها هنا بسبب الطلاق. عادة ما تحتفل النساء بذلك من خلال القدوم إلى الحانات مع مجموعات من الأصدقاء، يرتدين دبابيس وشارات كُتِب عليها جملة الزوجة السابقة، هذه الفتاة تبدو حزينة لكنها ليست حزينة بطريقة مألوفة، إنها حزينة فقط.

قال رومان: "سأراهن على الطلاق".

لم أرد عليه. لا أشعر بالحق في تخمين مأساتها، لأنني أتمنى ألا يكون هناك طلاقٌ أو موتٌ أو حتى يومٌ سيئ. أريد الرهان على أشياء جيدة لها لأنها تبدو كما لو أنها لم تملك شيئًا جيدًا منذ وقتٍ طويلٍ جدًّا.

توقفت عن التحديق إليها بينما أخدم بقية الزبائن، فعلتُ ذلك لأعطيها خصوصيتها، لكنها استغلت انشغالي كفرصة لترك النقود على الطاولة والتسلل إلى الخارج، حدقت لعدة ثوانٍ إلى كرسيها الفارغ، والعشرة دولارات بقشيش التي تركتها على الطاولة.

غادرت إذن.. رحلت من دون أن أعرف اسمها أو أعرفها.. قصة عجيبة، لا أعرف إن كنت سأراها مرة أخرى أم لا، لذا حسمتُ أمري في لحظة، هرعتُ عبر الحانة باتجاه الباب الأمامي الذي خرجتْ منه لتوِّها، لأبحث عنها بالخارج.

بدت السماء كأنها تحترق عندما خرجت من الحانة، وضعتُ كفَّ يدي فوق عيني، نسيت كيف يبدو الضوء خارج الحانة بالنهار لأنني لا أغادرها إلا ليلًا، ضيقت حدقتيّ حتى رأيتها على بُعد عشرة أقدام، تسير مبتعدة من دون أن تحمي عينيها لأن الشمس كانت خلفها، ما جعل الضوء ينعكس مضيئًا هالة فوق رأسها.

لحقت بها فتوقفت، قالت: "لقد تركت الحساب على المائدة".

- أعرف.

حدق أحدنا إلى الآخر للحظة، لم أعرف ماذا أفعل، تلاشت الكلمات من على لساني، ظللت واقفًا مكاني مثل الأحمق، فقالت: "ماذا تريد إذن؟".

قلت: "لا شيء"، لكنني تمنيت لو قلت: "كل شيء".

كانت تحدق إليّ، فنظرت إليها، وددتُ أن أقول أنا لا أتحرش بك، أنا لا أفعل هذا أبدًا، لا يجب أن أفعل هذا، لكنني أدركت أنني إذا تركتها تبتعد، فلن أستطيع التوقف عن التفكير في تلك الفتاة الحزينة التي تركت لي إكرامية بقيمة عشرة دولارات رغم أنني أعلم بأن هذا يفوق إمكانياتها.

قلت: "يجب أن تعودي الليلة في الحادية عشرة".

ابتعدتُ بسرعة حتى لا أمنحها فرصة الرفض أو التساؤل أو اختلاق الأعذار، عدتُ إلى الحانة وكلي أملٌ أن يثير طلبي الغامض فضولها لتعود مرة أخرى الليلة.

الفصل الخامس

كينا

جلستُ على مرتبتي المنفوخة مع قطتي الصغيرة التي لا تحمل اسمًا، أفكر في جميع الأسباب التي تجعلني لا يجب أن أعود إلى هذه الحانة، لم أعُد إلى هذه البلدة لمقابلة الرجال، حتى الرجال الجيدين مثل هذا النادل، أنا هنا من أجل ابنتي وهذا كل شيء.

غدًا يومٌ مهمٌّ؛ يجب أن أدخر كامل قوتي من أجله، لكن هذا النادل من دون أن يقصد جعلني أشعر بالضعف عندما رفع من أمامي كأس النبيذ، لا أعرف ما الذي رآه على وجهي وجعله يبعد عني هذه الكأس، لم أنتوِ شربها، فقط وددتُ وضعها أمامي لأشعر بأنني قادرة على السيطرة على نفسي، أردتُ أن أنظر إلى الكأس وأشمّها ثم أبعدها عني، وأشعر بأنني أقوى مما كنت عليه.

الآن أشعر باضطرابٍ، لأنه نظر داخلي، ورآني أكثر من نفسي، الطريقة التي حمل بها الكأس بعيدًا عني تجعلني أعتقد بأنه خمَّن بأن لديَّ مشكلة ضخمة مع الكحول.

لكني لستُ كذلك، لم أتناول الكحول منذ سنواتٍ لأنني في آخر مرة تناولته، دمرتُ خمس سنوات من حياتي، خمس سنوات أعادتني إلى هذه المدينة، وهذه المدينة توتِّرني، والشيء الوحيد الذي يهدئ

أعصابي هو فعل الأشياء التي تشعرني بالسيطرة على حياتي وقراراتي، لهذا السبب أردتُ تحدي كأسٍ من النبيذ، اللعنة.

لن أنام جيدًا الليلة، ليس لديَّ سببٌ للشعور بالإنجاز لأنه جعلني أشعر بالعكس تمامًا؛ إذا أردتُ أن أنام جيدًا الليلة، سأحتاج إلى رفض شيء آخر..

أو شخص ما..

لم أرغب في رجلٍ منذ وقتٍ طويلٍ جدًا، منذ معرفتي بسكوتي، لكنَّ هذا النادل مثيرٌ، ولديه ابتسامة رائعة، ويصنع قهوة رائعة، وقد دعاني بالفعل إلى العودة، لذا سيكون الأمر كذلك، سأظهر أمامه.. ثم سأرفضه، ثم سأنام جيدًا لأستيقظ بأتم استعدادٍ لأهم يومٍ في حياتي.

وددتُ لو كان في إمكاني اصطحاب قطتي الجديدة معي، أشعر بأنني في حاجة إلى صديقٍ، لكنها نائمة على الوسادة الجديدة التي اشتريتها من أجلها هذا الصباح، لم أشترِ الكثير، مرتبة قابلة للنفخ، ووسادتين وملاءتين وبعض البسكويت والجبن وكيسًا من طعام القطط. كنت قد قررت أن أجلب أغراض يومين بيومين في هذه المدينة، لأنني لا أضمن ما الذي سيجلبه لي الغد، ليس هناك أي معنى في إهداري مبالغ كبيرة من المال الذي عملت ستة أشهر لادخاره، وأوشك بالفعل على النفاد، هذا هو السبب الذي جعلني لا أطلب سيارة أجرة لتحملني إلى البار، لم أحمل حقيبتي أو دفتر ملاحظاتي، حملت مفتاح شقتي ورخصة قيادتي فقط، الحانة على بُعد ميل ونصف من الشقة، والطريق مضاء جيدًا والجو لطيفٌ.

للحظة قلقت من أن يتعرف عليَّ شخصٌ ما في الحانة، أو في طريقي إلى هناك، لكني أبدو مختلفة تمامًا عما كنتُ عليه منذ سنوات. اعتدت أن أهتم أكثر بشكلي وزينتي، لكن بعد خمس سنواتٍ في السجن، لم أعُد أهتم بصبغ شعري أو وضع الرموش الصناعية أو تقليم أظافري.

لم أعش في هذه المدينة فترة كافية لتكوين صداقات كثيرة قبل سكوتي، لذلك أشك في أن يتعرف عليَّ أحدٌ، لقد سمعوا عني بالتأكيد، لكنهم لن يتعرفوني، من الصعب أن يتعرفني أشخاص لم يفتقدوني حتى.

قد يتذكرني باتريك وجريس إذا رأياني، لكنني لم أقابلهما سوى مرة واحدة قبل ذهابي إلى السجن. السجن.. لن أعتاد أبدًا نطق هذه الكلمة، يا لها من كلمة صعبة لتقال بصوتٍ عالٍ، من الغريب أن نفس الكلمة إذا كُتبت على ورقة لن أشعر بمثل هذا الشعور القاسي الذي يتنابني عند نطقها، عندما أقولها بصوتٍ عالٍ: سجن.

عندما أفكر في المكان الذي كنتُ فيه خلال السنوات الخمس الماضية، أحب الإشارة إليه في رأسي بأنه منشأة، أن أقول : "عندما كنتُ في مكانٍ بعيدٍ"، أتوقف عند هذا الحد، لا داعي لقول:"عندما كنت في السجن"، لكني سأضطر إلى قولها هذا الأسبوع عندما أبدأ في البحث عن وظيفة، سيسألونني حتمًا في المقابلة الشخصية: "هل سبق لكِ الإدانة بجريمة؟"، وسأضطر إلى أن أجيب: "نعم، قضيت خمس سنوات في السجن بتهمة القتل غير العمد"، وسوف يقبلونني أو يرفضونني، الرفض هو الاحتمال الأكبر.

هناك معايير مزدوجة للنساء، حتى خلف القضبان. عندما تقول النساء إنهن دخلن السجن، يفكر الناس فورًا أنهن قذرات وعاهرات وسارقات ومدمنات، ولكن عندما يقول الرجال ذلك، يضيف الناس كلمة لتحسين الأفكار السلبية، قذر لكنه قوي، مدمن لكنه جريء، لص لكنه مثير للإعجاب. يظل الرجال موصومون، لكن مع مرتبة الشرف، أما النساء فلا يتخلصن أبدًا من العار.

وفقًا لساعة مبنى المحكمة، وصلتُ إلى وسط المدينة في الـ 11:30، آملة أنه لا يزال ينتظرني على الرغم من أنني تأخرت نصف ساعة. لم ألحظ اسم الحانة سابقًا في ضوء النهار، بسبب صدمتي لأنها حلّت محل المكتبة، لذا رفعت عينيّ إلى اللافتة الصغيرة من النيون فوق الباب وقرأت اسمها: Ward`s.

ترددت في الدخول، رغبت بعودتي إلى هنا أن أرسل رسالة إلى هذا الرجل، والآن لست متأكدة من رغبتي في إرسالها، لكن البديل هو عودتي إلى البيت والبقاء وحيدة مع أفكاري.

لقد قضيت ما يكفي من الوقت بمفردي مع أفكاري على مدى الخمس سنوات الماضية، أنا أتوق إلى الناس والضوضاء وكل الأشياء التي لم أمتلكها، تذكّرني شقتي قليلًا بالسجن. هناك الكثير من الشعور بالوحدة والصمت. لذا عزمتُ أمري وفتحتُ باب الحانة، كان الصوت عاليًا، والدخان بطريقة ما أدكن مما كان عليه في السابق، لا توجد مقاعد فارغة، لذلك انسللت بين الناس لأعثر على دورة المياه، ثم ضيعت الوقت في التجول والانتظار بالخارج، والتجول مرة أخرى

حتى فرغت مائدة، فجلست عليها وحدي، أتابعه وهو يتحرك بنشاطٍ في الحانة، أحب كيف يبدو واثقًا وهادئاً، يتعارك رجلان فلا ينفعل، يشير إليهما فقط إلى الباب فيغادران. يفعل ذلك كثيرًا، يشير إلى الشيء فينفذ الآخرون أوامره، يشير إلى زبونين بينما ينظر إلى الساقي فيهرع إلى تلبية طلباتهما، يشير إلى رفٍ فارغ ويومئ إلى النادلة فتهرع إلى ملئه، يشير إلى الأرض فيختفي النادل الآخر خلف الأبواب المزدوجة ويعاود الظهور بممسحة التنظيف، يشير إلى خطاف على الحائط ثم إلى نادلة أخرى فتقول شكرًا وتخلع مئزرها وتعلقه وتغادر إلى بيتها.

هو فقط يشير، والناس ينفذون، حتى حلَّت ساعة الإغلاق، وبدأ الناس في المغادرة بينما هو في مكانه، لم ينظر إليَّ ولو مرة، خمَّنت أنه لا يدري بوجودي، هو مشغول جدًّا، ويبدو أنني أسأت الفهم في وقتٍ سابقٍ، لقد افترضت أنه يطلب عودتي لسببٍ ما، ولكن ربما يخبر جميع عملائه بذلك.

فكرت، ربما عليَّ المغادرة أيضًا، وقفتُ، فالتفت إليَّ، وأشار إليَّ أن أجلس، ففعلت. شعرت بارتياحٍ لمعرفة أن حدسي كان صحيحًا، ولكن كلما خلت الحانة أكثر، ازداد توتري، يُفترض أنني امرأة ناضجة، لكني بالكاد أشعر بأنني بالغة، أنا مراهقة في السادسة والعشرين من عمري، عديمة الخبرة، أبدأ من الصفر.

لست متأكدة من وجودي هنا للأسباب الصحيحة، اعتقدتُ أنني أستطيع فقط أن أدخل، أغازله، ثم أبتعد عنه، لكنه أكثر إغراءً من أي قهوة فاخرة. جئت إلى هنا لرفضه، لكن لم يكن لديَّ فكرة أنه سيشير

طوال الليل، أو أنه سيشير إليَّ، لم يكن لديَّ أي فكرة عن مدى تأثير إشاراته المثيرة. سألت نفسي هل كنت سأجده مثيرًا قبل خمس سنوات، أو إذا كنت قد أصبحت سهلة الإرضاء بشكلٍ مثيرٍ للشفقة الآن.

بحلول منتصف الليل، كنَّا الشخصين الوحيدين المتبقيين، الموظفون الآخرون ذهبوا، الباب مغلق، بينما هو يحمل حقيبة من الزجاجات الفارغة إلى الخارج.

بضممت ساقيَّ ولففتُ ذراعيَّ حولهما، كنت متوترة، لم أرد أن أعود إلى هذه المدينة لمقابلة رجل، أنا هنا لهدفٍ أكبر بكثيرٍ، لكن يبدو أن المرء يمكن أن يحيد عن مساره في لحظة ضعفٍ واحدة، أنا في النهاية بشرٌ، والبشر يحتاجون إلى رفقاء، لم أعد إلى هنا لمقابلة الناس.. نعم، لكن هذا الرجل بالذات من الصعب جدًّا تجاهله.

عَبَرَ الباب المزدوج مرتديًا قميصًا مختلفًا، تخلى عن قميصه البنفسجي ذي الياقة والكمين المشمرين الذي يشبه ما يرتديه بقيّة العاملين، وارتدى قميصًا أبيض بدا لي كأنه يوحي بالكثير.

هذا الرجل بسيطٌ جدًّا.. لكنه معقدٌ جدًّا..

ابتسم وهو يمشي في اتجاهي، شعرت كأن ابتسامته تغمرني بالدفء مثل بطانية ثقيلة ألتحف بها في ليلة باردة.

- لقد عُدتِ..

رددتُ وأنا أحاول ألا يشي وجهي بأي انفعالٍ: "لأنك طلبت ذلك".

- هل تودين شرب شيء؟

- لا.. شكرًا.

خلل شعره بأصابعه ليرفعه عن جبينه وهو يحدق إلى وجهي، ثمّة حربٌ في عينيه، وأنا لست بأرض محايدة، لكنه أتاني على كل الأحوال، جلس بجانبي.. بجانبي تمامًا، تسارعت دقات قلبي، أسرع حتى مما كنت أشعر به مع سكوتي طوال كل تلك السنوات الماضية.

سألني: "ما اسمك؟".

لم أرِد إخباره باسمي، هو في نفس عمر سكوتي، لو كان سكوتي قد ظلَّ على قيد الحياة، مما يعني أنه قد يتذكر اسمي أو ما حدث، لا أريد أن يتعرفني أحد أو يتذكرني فينبِه عائلة لاندريس لوجودي في المدينة، إنها ليست بلدة صغيرة، لكنها ليست ضخمة أيضًا؛ وجودي لن يظل سريًّا لفترة طويلة، لكني كنت في حاجة إلى الاختفاء فترة كافية، لذا كذبت عليه، أخبرته أن اسمي نيكول، كذبة بيضاء لأن هذا هو اسمي الأوسط. لم أسأله عن اسمه لأنني لا أهتم، لن أستخدمه أبدًا، قررت.. لن أعود إلى هنا مرة ثانية.

قبضتُ يدي حول خصلة من شعري، كنت متوترة جدًّا من أكون من كوني قريبة بهذا الشكل من شخصٍ ما بعد كل هذا الوقت، شعرت كأنني نسيت ما يجب فعله، لذا بادرت بالحديث لإخباره بما جئت هنا لقوله.

- أنا لا أشرب.

نظر إليَّ متسائلًا، فأوضحت: "النبيذ، بعض الأحيان أنا...".

سكت للحظة، وهززت رأسي. ثم أكملت: "أعرف كيف يبدو هذا غبيًّا، لكني أحيانًا أطلب الكحول لأتمكن من مقاومته، ليس لديَّ مشكلة في الشرب لكن الأمر بالنسبة إليَّ أشبه برغبة في السيطرة على نفسي، يجعلني هذا أشعر بقوتي أو حتى بضعفٍ أقل".

تفحص وجهي بعينيه من دون أن يبتسم، وقال بلا أيِّ نبرة سخرية: "أنا أحترم هذا، نادرًا ما أشرب الخمر لأسبابٍ مماثلة، الناس يثملون حولي كل ليلة، وكلما كنت حولهم، قلَّت رغبتي في أن أكون بينهم".

- نادل لا يشرب؟ هذا نادرٌ جدًّا؟ كنت أعتقد أن السقاة لا بد وأن يكونوا مدمني كحول، لأنه يسهل عليهم الحصول عليه.
- في الواقع أعمل في البناء أيضًا، وهي على الأرجح ليست المهنة المثالية لي، أستغرق سنواتٍ في بناء منزل واحد.
- يبدو أنك فاشل في ذلك.

ضحك قائلًا: "يبدو ذلك".

استرخى في جلسته أكثر، وسألني: "ماذا تعملين يا نيكول؟".

هذه هي اللحظة التي كان يجب أن أبتعد فيها قبل أن أقول ما لا أريد قوله، قبل أن يسألني المزيد من الأسئلة، لكني أحببت صوته وحضوره، وشعرت بأن البقاء هنا يشتت انتباهي، وكنت في حاجة فعلًا إلى إلهاء، أنا فقط لم أرد التحدث؛ الحديث سيوقعني في مشكلة في هذه البلدة.

- هل تريد حقًّا معرفة ما أفعله من أجل لقمة العيش؟

بالتأكيد هو يود أن يجردني من ملابسي أكثر من أن يجلس للاستماع إلى فتاة تتحدث عن نفسها، وبما أنني لم أرد إخباره بأنني لا أفعل شيئًا من أجل لقمة العيش لأنني سُجنت لمدة خمس سنوات، لم أجد أفضل من الاندساس في حضنه.

تفاجأ، كما لو كان يتوقع منّا الجلوس هنا والدردشة لمدة ساعة، ثم تغيَّر التعبير على وجهه من صدمة خفيفة إلى قبولٍ، قبض بيديه على فخذيَّ، فارتجفتُ، عدَّل من وضعي ليبعد وجهي قليلًا إلى الخلف وتأمَّلني، شعرتُ بانتصابه من خلال سرواله الجينز، فلم أعد واثقة بقدرتي على الاستمرار، عدتُ إلى مكاني بجواره، اعتقدت أنه في إمكاني تقبيله فقط ثم تمني ليلة سعيدة له والعودة إلى منزلي بكل بساطة، أردتُ فقط أن أشعر ببعض السيطرة الليلة، لكنه مرَّر أصابعه على خصري، ما جعلني أضعف وأضعف، شعرت بخواء، ليس كأنني لا مبالية، ولكن كما لو أن رأسي فارغٌ، شعرت بكرة من النار تشتعل في صدري، انزلقت يده اليمنى على ظهري، لهثت لأنني شعرت بلمساته مثل تيارٍ كهربائي يسري فيَّ، لمس وجهي، مرَّر أصابعه على عظام وجنتيَّ، ثم على شفتي، حدق إلى وجهي كأنه يحاول أن يتذكرني، أو يتذكر أين رآني من قبل، أو ربما كان هذا في رأسي فقط، ربما أنا مرتابة أكثر من اللازم.

همس: "من أنت؟".

لقد أخبرته بالفعل، لكنني كررت قول اسمي الأوسط على أي حال: "نيكول".

ابتسم، ثم عادت الجدية ترتسم على ملامحه، قال: "أنا أعرف اسمك، لكن من أين أتيتِ؟ لماذا لم نلتقِ قطُّ قبل الليلة؟".

لا أريد أسئلة لأن ليس لديَّ إجابات صادقة. تحركتُ قليلًا نحوه، قربت شفتيَّ من شفتيه، سألته: "من أنت؟".

- ليدجر.

قالها كأنه يمزِّق ماضيَّ، يفتح صدري، ويسحب كل ما تبقى منه في قلبي، يلقيه على الأرض، ثم قبَّلني.

يستخدم الناس جملة: "لقد وقعت في الحب"، لكن الوقوع كلمة حزينة عندما تفكر فيها، السقوط ليس جيدًا أبدًا، أنت تسقط على الأرض فتتخلف عن الركب، أنت تسقط من علٍ فتموت، بالتأكيد أول شخص استخدم هذه الجملة سقط فعلًا وانتهت حياته وإلا لكانوا أطلقوا عليه اسمًا أفضل.

أخبرني سكوتي أنه أحبَّني في منتصف علاقتنا، حدث هذا في الليلة التي كان من المفترض أن أقابل فيها صديقه المقرب للمرة الأولى، كنت قد التقيت بوالديه بالفعل وكان سعيدًا بذلك، ولكن هذه المرة كان متحمسًا جدًّا لتقديمي إلى الرجل الذي يعتبره أخًا له، لم يتم هذا اللقاء قطُّ، لا أستطيع أن أتذكر السبب، حدث ذلك منذ وقتٍ طويلٍ، ربما ألغى صديقه الموعد بسبب ظرفٍ طارئ، ما أحبط سكوتي، لذا خبزت له بعض الكعك ودخنًا لفافة ماريجوانا ثم مارسنا الحب، نعم.. كنت بالفعل أفضل حبيبة.

حتى قتلته..

حدث هذا قبل ثلاثة أشهر من وفاته، لكنه في تلك الليلة بالذات، على الرغم من حزنه، فإنه كان على قيد الحياة. كان لديه قلبٌ ينبض وصدرٌ يرفرف ودموعٌ في عينيه، عندما قال: "أنا أحبك يا كينا، أحبك أكثر من أي امرأة أحببتها من قبل، أكثر من أي شخصٍ، أفتقدك طوال الوقت، حتى عندما نكون معًا".

كل هذا لا يزال عالقًا معي، لا أنسى أبدًا جملته: "أفتقدك طوال الوقت، حتى عندما نكون معًا".

كنت أعتقد أن جملته هذه هي الشيء الوحيد الذي أتذكره من تلك الليلة، لكني كنت مخطئة، أتذكر شيئًا آخر.. اسمًا آخر: ليدجر.

صديقه المقرب الذي لم يحضر.. صديقه المقرب الذي لم أقابله.

صديقه المقرب الذي -الآن- يدخل لسانه في فمي، ويمرِّر يده فوق قميصي، ويحفر اسمه داخل قلبي..

الفصل السادس

ليدجر

لا أفهم معنى الجاذبية..

ما الذي يجذب الناس إلى بعضهم؟ كيف يمكن أن تدخل عشرات النساء من باب الحانة كل أسبوع ولا أشعر ولو للحظة برغبة في مجرد استراق النظر إليهن، ثم تظهر هذه الفتاة ولا أستطيع رفع عينيَّ من عليها؟

الآن لا أستطيع أن أرفع شفتيَّ حتى..

لا أعرف لماذا خالفت القاعدة التي فرضتها على نفسي بعدم مواعدة الزبونات، ولكن هناك شيئًا ما حولها جعلني أدرك أنها تختلف، وأن لديَّ فرصة واحدة، هي إما ستغادر البلدة وإما لن تعود مرة أخرى إلى الحانة، الليلة تبدو استثناء لروتينها المعتاد، ورغبت في انتهاز هذه الفرصة، لأنني لو فوَّتها سأندم ندم حياتي.

تبدو كشخصٍ هادئ، لكنه ليس هدوءَ الخجل، هي هادئة بطريقة شرسة، مثل عاصفة تبدأ وأنت غافلٌ، لا تشعر بها إلا حين يغزو البرد عظامك. إنها هادئة، لكنها قالت ما يكفي لتجعلني أرغب في الاستماع إلى كل كلمة تنطقها، طعمها مثل التفاح، رغم أنها تناولت القهوة في وقتٍ سابقٍ، والتفاح فاكهتي المفضلة، ربما أصبح طعامي المفضل على الإطلاق الآن.

قبّلنا بعضنا للحظات، وعلى الرغم من أنها من أخذ الخطوة الأولى، فإنها بدت متفاجئة عندما قبّلتها، ربما كانت تتوقع مني أن أنتظر قليلًا قبل أن أتذوقها، أو ربما لم تكن تتوقع أن تشعر بهذا الشكل، أتمنى أن تكون قد شعرت بذلك، ولكن مهما كان سبب ذلك اللهاث الصغير قبل أن يلتقي فمي بفمها، لم يبدُ أنها لا تريد هذه القبلة.

كانت تبتعد لثوانٍ كأنها لم تحسم أمرها، لكنها سرعان ما تميل وتقبّلني مرة أخرى برضا، لكن هذا الرضا سرعان ما انتهى، حتى إنها ابتعدت ثانية بعينين نادمتين، هزّت رأسها ووضعت راحتيها على صدري، أمسكتُ بيديها عندما قالت: "أنا آسفة".

انزلقت من فوقي، فاحتكّ فخذها بسحاب السروال ما جعلني أنتصب أكثر، نهضت مبتعدة فلحقت بها، حاولت الإمساك بيدها لكنها سحبتها بسرعة وهي تبتعد عن الطاولة.

قالت: "ما كان يجب أن أعود".

ابتعدت عني متجهة إلى الباب، ففزعت، شعرت كأنني لم أحفظ ملامحها جيدًا، لم أحب فكرة مغادرتها من دون أن أقدر على تذكر الشكل الدقيق لشفتيها اللتين كانتا مطبقتين على شفتيّ منذ قليل، نهضت وتبعتها، لم تتمكن من فتح الباب، هزّت المقبض ودفعته لكنه لم ينفتح، كأنها لا تستطيع الابتعاد عني بسرعة، أردت التوسل إليها أن تبقى، لكني في الوقت ذاته، وددت لو ساعدتها على الابتعاد عنّي، لذا مددتُ يدي وفتحت القفل أعلى الباب، ثم ضغطت بقدمي على القفل السفلي، انفتح الباب فهرعتْ إلى الخارج وهي تعبُّ الهواء

عبًّا، ثم استدارت لتواجهني، مسحت وجهها بعينيَّ، نظرتُ إلى فمها، تمنيتُ لو أنني أمتلك ذاكرة فوتوغرافية لأحفظه داخل عقلي.

لم تعُد عيناها بنفس لون قميصها، بدت خضراء فاتحة بعد أن غشيتها الدموع، وقفت عاجزًا عن فعل أيّ شيء، لم أقابل فتاة تتمكّن من الاستيلاء عليَّ بهذا الشكل وبهذه السرعة قطّ، من دون حتى أن تبذل جهدًا، بلا دراما وبلا ألاعيب، بدا كأن كل حركة تقوم بها، كل شعورٍ لديها، تمتص طاقتي ثم تمدني بها من جديدٍ.

بدت محرجة، لهثت لالتقاط أنفاسها، وحاولتْ مسح الدموع القليلة التي بدأت تتجمع في عينيها. بحق الجحيم.. لم أملك شيئًا لأقوله، فاحتضنتها.

ماذا يمكنني أن أفعل؟

جذبتها نحوي، فتخشَّبت لحظة بين ذراعيَّ ثم تنهدت واسترخت في حضني، كنَّا وحيدين في المكان، الشارع فارغ بعد منتصف الليل، عاد الجميع إلى منازلهم للنوم أو السهر أمام فيلم أو ممارسة الحب، لكني هنا في الشارع الواسع الفارغ، أعانق فتاة حزينة، وأتساءل لِمَ هي حزينة؟ تمنيت لو توقفت عن التفكير وعشت اللحظة فقط.

كانت جميلة جدًّا. وجهها مندسّ في صدري وذراعاها تحيطان بخصري، جبهتها تصل إلى فمي لكنها مندسة تحت ذقني، مسدت ذراعيها.

كانت شاحنتي بالجوار، أنا دائمًا ما أركنها في الزقاق، لكني لم أجرؤ على إخبارها بذلك، بدت مستاءة ولم أرد أن أشعرها بأنني

أستدرجها إلى الشاحنة وهي في حالة ضعفٍ، استندت إلى عمود وهي لا تزال في حضني.

مرَّت دقيقتان، ربما ثلاث، لم تفلتني، بدت مرتاحة وهي في حضني وذراعاي حولها ويداي تمسدان ظهرها من أعلى إلى أسفل، كان صوتي لا يزال مختنقًا في حلقي. ثمَّة شيء خاطئ، ثمَّة شعور غريب ينتابني تجاهها، وهو شيء لست متأكدًا من أنني أريده في هذه المرحلة، ولكني غير قادرٍ على تركها وحدها في الشارع، على الرصيف، والابتعاد ببساطة.

بدا أنها فرغت من البكاء فقالت: "أنا في حاجة إلى العودة إلى البيت".

- سأوصلك.

هزَّت رأسها وهي تجذب نفسها بعيدًا عن حضني، أبقيت يدي على ذراعيها حتى سحبتهما، لاحظتُ أنها لامست يدي اليمنى بإصبعين من أصابعها قبل أن تعقد ذراعيها على صدرها، مجرد تمريرة سريعة لكنها بدت متعمدة، كما لو أنها أرادت أن تشعر بي مرة أخيرة قبل أن تغادر.

قالت: أنا لا أعيش بعيدًا، سأتمشى".

إنها مجنونة إذا اعتقدت أنني سأتركها تمشي وحدها إلى المنزل في هذه الساعة.

قلت: "لا يمكن أن أدعك تمشين وحدك في هذه الساعة"، أشرت نحو الزقاق مكملًا: "شاحنتي على بُعد عشرة أقدام".

لأسبابٍ واضحة، جعلتها تلك البادرة تتردد لحظة، لكنها سرعان ما حسمت أمرها، مدَّت إليَّ يدها باستسلام وتبعتني إلى الزقاق، عندما ظهرت شاحنتي، توقفت عن المشي وحدقت إليها بقلقٍ.

- يمكنني أن أطلب لكِ سيارة أوبر إذا كنتِ تفضلين ذلك، لكن أقسم لك، أريد أن أوصلك فقط إلى المنزل، لا توقعات.

أخفضت عينيها إلى قدميها لحظة، ثم واصلت السير نحو شاحنتي. فتحت لها الباب، وعندما صعدت إلى الداخل، لم تستدر إلى الأمام، ظلَّت تواجهني وساقاها تمنعاني من غلق الباب، بدت ممزقة وهي تنظر إليَّ، حاجباها معقودان بأسى، لم أرَ شخصًا يبدو حزينًا هكذا من قبل.

- هل أنت بخيرٍ؟

أمالت رأسها نحوي، وحدقت إليَّ، قالت: "سأكون..".

أكملت بهدوء: "غدًا هو يوم عظيم بالنسبة إليَّ، لذا أنا متوترة قليلًا".

- ماذا سيحدث غدًا؟

- فقط يوم عظيم بالنسبة إليَّ.

كان واضحًا أنها لا تريد الاسترسال، لذا أومأت برأسي محترمًا رغبتها. انتقل تركيزها إلى ذراعي، لامست طرف كمي، فوضعت يدي على ركبتها، لأني رغبت في لمسها، بدت ركبتها أكثر الأماكن أمانًا حتى تقرر هي أين تريدني أن أضع يدي، لم أستطع أن أستشف نواياها، يظهر معظم الناس في الحانات بنوايا واضحة. يمكنك معرفة من يرغب في التسكع قليلًا، ومن يأتي ليتحدث بهراءٍ معتادٍ، لكن مع

هذه الفتاة لا أعرف شيئًا، بدا كأنها فتحت باب الحانة ودخلت من دون أن تملك أدنى فكرة عما تريد هذه الليلة، ربما تريد فقط تزجية وقتها حتى يأتي الغد المهم بسرعة، لا أعرف فعلًا.

انتظرت إشارة منها حول ما تريدني أن أفعله بعد ذلك، لأنني اعتقدت أنني سآخذها إلى المنزل فقط، لكنها لم تتحرك، ظلَّت تواجهني كأنها تريدني أن أقبِّلها ثانية، لكني لا أريدها أن تبكي، وفي نفس الوقت تمنيت لو قبَّلتها مرة أخرى.

لمست وجهها وهي تميل إلى يدي. ما زلت غير متأكد أنها مرتاحة، لذا ترددت حتى وهي تقترب مني، كنت أقف بين ساقيها، فشددتُ فخذيها حولي، لم تبد اعتراضًا فلعقت شفتيها بلساني، شدتني إليها حتى اقتحمت أنفاسها الحلوة فمي، لا يزال طعمها مثل التفاح، لكن فمها كان مالحًا ولسانها أصلب، جذبتني إليها وهي تميل إلى داخل الشاحنة، سقطت بظهرها على المقعد وأنا أحوم فوقها، أقف بين ساقيها، وأضغط نفسي عليها. أثارتني طريقتها في امتصاص شهقات الهواء الصغيرة من فمي بينما أقبِّلها، مددت يدي إلى أعلى قميصها وأمسكت بثدييها وهي تلف ساقيها حولي، كان جسدانا يحتكان من فوق الملابس كأننا مراهقان في مدرسة ثانوية لعينة، لا نملك بيتًا للذهاب إليه، أردت أن أجذبها مرة أخرى إلى الحانة، وأمزق ملابسها لكني لم أجرؤ، سيكون هذا مبالغًا فيه جدًّا، أو ربما بدا كذلك لي، لا أعرف، ولم أرد أكثر من ذلك، يكفيني فمي الملتصق بفمها وجسمها أسفلي في هذه الشاحنة.

بعد دقيقة من المداعبة في الظلام، ابتعدت عنها قليلًا بما يكفي لتأمل وجهها، كانت عيناها مغمضتين وشفتاها منفرجتين، حافظت على إيقاع حركتي الثابت فوقها، أقسم أن الاحتكاك بين ملابسنا كان كافيًا لإشعال حريق حقيقي، الحرارة تشع من بين فخذيها، ولم أرد أن أكمل بهذا الشكل، ولا هي، سنُجنُّ بهذا الشكل، كان علينا إما نقل الأمر إلى مستوى آخر وإما التوقف تمامًا، وددت لو دعوتها إلى بيتي لكن والديَّ في المدينة، ولم أردها أن تقترب حتى منهما.

"نيكول.." همست..

لم أرتح حتى لاقتراح هذا لكني لا يمكنني الاستمرار في هذا الزقاق كأنها لا تستحق سريرًا.

- يمكننا العودة إلى الداخل.

هزَّت رأسها وقالت: "لا، أنا أحب شاحنتك"، قالتها وجذبتني مرة أخرى إلى شفتيها.

إذا كانت تحب شاحنتي، فأنا أحب شاحنتي، صارت شاحنتي هي ثاني أكثر الأشياء المفضلة لديَّ في العالم الآن، فمها هو الأول.

سحبتُ يدي نحو أزرار سروالها الجينز، فبدأت في فكها بينما لساني يلعق لسانها، دسستُ يدي في الجزء الأمامي من بنطالها الجينز وجذبت سروالها الداخلي، بدأت في التأوه بصوتٍ عالٍ على وقع الموسيقى التصويرية الصامتة لهذه المدينة الهادئة.

جذبت سروالها الداخلي بأصابعي، ولامست جلدها الناعم الساخن، وأنا أشعر بأنفاسي ترتعش، دفنت فمي في رقبتها، ففاجأنا ضوء سيارة تمر بجوارنا.

- اللعنة..

نسيتُ أن الشاحنة متوقفة في زقاقٍ، كنّا مكشوفين للشارع، عُدنا إلى الواقع فسحبت يدي من بنطالها وساعدتها على إغلاق أزراره، نهضت معدلة شعرها فأغلقت بابها، ولففت حول الشاحنة نحو سيارة الشرطة التي توقفت أمامنا، ألقيت نظرة نحوها وشاهدت جريدي يجلس خلف مقعد السائق يحاول استراق النظر داخل شاحنتي، اقتربت من نافذته فقال: ليلة مزدحمة؟:

يسأل وهو يميل نحو النافذة ليراني بوضوحٍ أكثر، نظرتُ خلفي إلى نيكول في الشاحنة ثم عاودت النظر إليه، رددت: "نعم، هل تعمل ليلًا؟".

أخفض صوت الراديو، وهو يقول: "أخذت ويتني نوبة ليلية جديدة في المستشفى، لذا قررت العمل ليلًا، أحب العمل في الليل لأنه أكثر هدوءًا".

استندت إلى غطاء كبوت السيارة، ثم عدتُ خطوة إلى الوراء.

- عظيم، يجب أن أنطلق الآن، أراك غدًا؟

شعر جريدي أن في الأمر شيئًا، فأنا لا أنهي حديثي معه بسرعة هكذا عادة، مال إلى الأمام محاولًا رؤية من بشاحنتي، فملت إلى اليمين لحجب رؤيته.

- ليلتك سعيدة يا جريدي.

أشرت إلى الطريق كأنني أدعوه إلى مواصلة دوريته، امتعضتْ ملامحه وهو يقول: "ليلتك سعيدة".

لم أكن أحاول إخفاءها، لكن زوجته ثرثارة، وأنا لم أرد أن أكون حديث ملعب التي- بول غدًا.صعدت إلى شاحنتي، كانت قد اعتدلت في جلستها ورفعت قدميها على لوحة القيادة مواصلة النظر من نافذتها، متجنبة أيّ اتصال بصري معي، لم أردها أن تشعر بالحرج، أرجعت خصلة شعر خلف أذنها. فسألتها: "هل أنت بخيرٍ؟".

أومأت برأسها، إيماءة جافة مثل مشاعرها وابتسامتها في هذه اللحظة.

- بيتي بجوار سيفكو.

كانت محطة الوقود تلك على بُعد ميلين تقريبًا. قالت لي في وقتٍ سابقٍ إنها تعيش بالقرب من هنا، لكن ميلين في منتصف الليل ليس بالمسافة القليلة، سألتها: "سيفكو قبالة بيلفيو؟".

- أعتقد ذلك، لا أستطيع تذكر كل أسماء الشوارع، انتقلت إلى هنا اليوم فقط.

هذا يفسر لماذا لم أرها قبل اليوم، أردت أن أقول شيئًا مثل، من أين أتيت؟ ما الذي أتى بك إلى المدينة؟ لكني لم أقل شيئًا، لأنها لم ترد على ما يبدو أن تسمع شيئًا.

يستغرق الطريق دقيقتين فقط في حالة عدم وجود حركة مرور، ودقيقتين ليستا فترة طويلة، لكنك بالتأكيد ستشعر أنهما تمتدان إلى الأبد عندما تقضيهما مع فتاة أردت ممارسة الجنس معها، ليس جنسًا جيدًا بحق الجحيم، كان ليكون جنسًا سريعًا قذرًا وأنانيًّا، بالتأكيد هذا ما كانت تفكر فيه أيضًا.

أردت أن أعتذر، لكني لم أكن متأكدًا علام سأعتذر؟ لم أردها أن تعتقد أنني نادم على ما حدث، الشيء الوحيد الذي يؤسفني هو أنني أصحبها إلى منزلها وليس منزلي.

قالت وهي تشير إلى شقق الفردوس: "أنا أعيش هنا".

لا آتي إلى هذا الجزء من المدينة كثيرًا، كان عكس اتجاه منزلي، لذلك نادرًا ما أقود سيارتي في هذا الطريق، بصراحة ظننت أنهم أزالوا هذا المكان.

دخلت ساحة انتظار السيارات، وأعتزمت ركن الشاحنة وفتح بابها لها، لكنها غادرت قبل حتى أن أفتح بابي. كنت أعتزم إيقاف المحرك وفتح بابها لها، لكنها خرجت بالفعل من الشاحنة قبل أن أفعل.

- شكرًا على التوصيلة. و... القهوة.

أغلقت الباب وسارت، لم أشعر أننا يفترض أن نفترق على هذا النحو، ففتحت بابي وصحت: "انتظري".

توقفت من دون أن تستدير حتى وصلت إليها، كانت تضم ذراعيها إلى صدرها وتخدشهما بأظافرها بعصبية، نظرت إليَّ وقالت:

- لست مضطرًا إلى قول أي شيء.

- ماذا تقصدين؟

"أعني... أنا أعرف ما كان ذلك"، لوَّحت بيدها نحو شاحنتي، وأكملت: "ليس عليك أن تطلب رقمي، ليس لديَّ حتى واحد".

كيف تعرف ماكان ذلك؟ حتى أنا لا أعرف ماكان ذلك، حاولت تجميع أفكاري، ربما عليَّ أن أسألها ماذا كان ذلك؟ ما الذي يعنيه؟ هل يمكن أن يحدث مرة أخرى؟

شعرت أنني غارقٌ في الظلام، مارست من قبل الجنس لليلة واحدة، لكن باتفاقٍ مسبقٍ، أمارسه في السرير أو مكان آمن، لكن معها.. حدث الأمر كأنه اجتياحٌ هائجٌ في زقاقٍ مظلم ثم توقف، شعرت أنني أحمق، لا أملك شيئًا لأقوله، لا أعرف ماذا أفعل أو كيف أودعها، شعرت أنني أريد عناقها مودعًا، لكنها بدت كأنها لا تريدني حتى بالقرب منها، فأدخلت يديَّ في جيبي سروالي.

- "أريد أن أراكِ مجددًا"، لم أكن أكذب.

نقلت عينيها من عيني إلى المبنى الذي تقع فيه شقتها، وقالت:

- أنا لست...

ثم تنهدت وقالت: "لا، شكرًا".

قالتها بأدبٍ شديدٍ، لم يعطني فرصة حتى لأشعر بالضيق، وقفتُ أمام مبنى شقتها وراقبتها وهي تختفي خلف البوابة لتصعد الدرج وتدخل شقتها وتختفي.

كنت لا أزال واقفًا في مكاني ربما من الصدمة. هذه فتاة لا أعرفها، لم أقابلها قطُّ. لكني أجدها أكثر إثارة للاهتمام من أيّ شخص آخر قابلته في حياتي. وددت أن أسألها أسئلة كثيرة، لكنها لم تجب حتى عن السؤال الوحيد الذي طرحته عن حياتها، من هي بحق الجحيم؟ ولماذا أشعر بالحاجة إلى معرفة المزيد عنها؟

الفصل السابع

كينا

عزيزي سكوتي،

عندما يقولون العالم صغيرٌ جدًّا فهم لا يمزحون، صغير وقاسٍ ومزدحم. أقول لك هذا فقط لأنني أعرف جيدًا أنك لن تقرأ هذه الرسائل، لكني رأيت شاحنة ليدجر الليلة وأردت أن أبكي.

في الواقع، بكيت فعلًا، لأنه أخبرني باسمه فعرفت من يكون، أخبرني وهو يقبّلني، فشعرتُ بالذنب والإحراج، فررتُ هاربة وكدت أصاب بنوبة فزعٍ، لكن بعدها، رأيت شاحنته اللعينة، لا أصدق أنه لا يزال يحتفظ بها. ما زلت أذكر الليلة التي صحبتني في هذه الشاحنة إلى ميعادنا الأول. ضحكت عندما رأيتها، شاحنة برتقالية فاقعة، لم أفهم كيف يختار شخصًا هذا اللون لسيارته.

أدركت الليلة أنني لم أذكر قط أيّ تفاصيل عن لقائنا الأول خلال الثلاثمئة رسالة التي كتبتها لك، كتبت لك عن لقائنا العاطفي الحقيقي الأول، لكني لم أذكر أول مرة رأينا بعضنا فيها.

كنتُ أعمل كمسؤولة عن الخزانة في محل Dollar Days، أول عملٍ تقدّمت إليه بعد نزوحي من دنفر، لا أعرف أحدًا في المدينة،

ولكني لم أبالِ، كنتُ في ولاية جديدة ومدينة جديدة، لا أحد فيها يملك انطباعًا مسبقًا عني، لا أحد يعرف أمي.

عندما وقفتَ أمامي في الطابور، لم ألحظكَ، نادرًا ما أدقق في وجوه العملاء، خاصة إذا كانوا من الرجال في مثل عمري. الرجال في مثل عمري يخذلونني دائمًا، اعتقدتُ أن الأفضل لي الانجذاب إلى رجالٍ أكبر سنًّا، ربما حتى النساء، لأنني لم أقابل رجلًا يرضيني في مثل سني قطُّ؛ لا يرغبون سوى في الجنس أو المكالمات الفاحشة ما أفقدني الثقة بهم.

في هذا المتجر الصغير، أيَّ شيء بدولارٍ واحدٍ، لذلك عادة ما يأتيني الزبائن بعربات التسوق المليئة بالأشياء، أما أنت فجئتني بطبقٍ واحدٍ، ما جعلني أتساءل عن كنه الشخص الذي يشتري طبقَ عشاء واحدًا، من المفترض أن يملك المعظم أصدقاء أو معارف يتناولون معهم العشاء من حين إلى آخر، أو على الأقل يتمنون ذلك، لكن شراءك طبقًا واحدًا أشعرني أنك تأكل وحدك دائمًا، وليس لديك أي توقعات أخرى بخصوص ذلك.

سجلتُ الطبق ولففته قبل وضعه في كيسٍ وتسليمه لك، بعد دقائق، أتيتني بطبقٍ ثانٍ ما أشعرني بالاطمئنان قليلًا عليك، نظرتُ إلى وجهك، فمنحتني الدولار وبعض الفكة، ثم ابتسمت لي.

استحوذتَ عليَّ في هذه اللحظة، على الرغم من أنك ربما لم تدرك ذلك، غمرتني ابتسامتك بدفء غريب، دفء خطير ولكنه مريحٌ، لم أعرف ماذا أفعل حيال تلك المشاعر المتضاربة في أعماقي،

فأشحت بوجهي عنك. بعد دقيقتين، وقفت في الصف مرة أخرى مع طبقٍ ثالثٍ.

سجلت الطبق ودفعت لي ثمنه، لففته وسلمتك الكيس، هذه المرة قلت لك: "تعالَ مرة أخرى"، فرددت: "إذا كنتِ مصرة"، رأيتُك وأنت تعود مرة أخرى إلى الممر الذي يعرض الأطباق، لم يكن ثمّة عملاء آخرون أمامي فتابعتُك بنظري حتى عدت إليَّ من جديدٍ بطبقٍ رابعٍ، تناولت الطبق للفِه وقلت:

- أتعلم، يمكنك شراء أكثر من شيء في وقتٍ واحدٍ.

- أنا أعلم، لكني أحتاج إلى طبقٍ واحدٍ فقط.

- إذن لماذا هذا هو الرابع الذي اشتريته؟

- لأنني أحاول التغلُّب على توتري لأطلب منك موعدًا.

كنت آمل أن هذا هو السبب، ناولتُك الكيس وتعمدتُ أن ألمس أصابعك بأصابعي، شعرتُ بالضبط كما توقعت، كما لو كان ثمَة مغناطيس يجذب يدينا إلى بعضها، تطلَّب الأمر الكثير من الجهد لسحب يدي من يدك، حاولتُ التعامل بلا مبالاة أمام مغازلتك، لأن هذا ما أفعله دائمًا مع الرجال، لذا قلت:

- هذا مخالفٌ لسياسة المتجر، غير مسموحٍ للموظفين بمواعدة العملاء.

قلتها وصوتي يشي برغبتي في عكس ذلك، ولكنك أحببت اللعبة، فقلت:

- حسنًا، أعطيني دقيقة لتصحيح ذلك.

ثم ذهبت إلى الصرّافة الأخرى في المتجر، كانت على بُعد أمتارٍ قليلة فقط، لذلك سمعتك تقول: "أنا بحاجة إلى إعادة هذه الأطباق من فضلك".

كانت الصرّافة تتحدث في الهاتف خلال رحلاتك الأربع إلى خزانتي، فلم أكن متأكدة إن كانت تعلم بأن هذا كله مجرد مزاحٍ، نظرت إليَّ متسائلة، فهززت كتفيَّ كأنني لا أعرف ماذا يحدث، ولماذا تملك أربعة إيصالات مختلفة لأربعة أطباقٍ، ثم عدت إلى عملي.

بعد دقائق ظهرتَ مرة أخرى أمامي واضعًا إيصال الإرجاع على الخزانة وقلت:

- انتهى الأمر، ولم أعد زبونًا، ما رأيك الآن؟

التقطت الإيصال، وتظاهرت بقراءته بعناية، ثم سلّمته إليك، وقلت:

- تنتهي نوبتي في السابعة.

طويتَ الإيصال، ولم تنظر إليَّ حتى وأنت تقول:

- جيد جدًّا، أراكِ بعد ثلاث ساعات.

كان يجب أن أخبرك أنني أغادر العمل في السادسة، لأنني غادرت مبكرًا وقضيت الساعة الإضافية في المتجر المجاور لشراء ملابس جديدة، ووقفت في انتظارك لكنك لم تظهر، مرّت عشرون دقيقة بعد السابعة ولم تظهر، لذا فقدت الأمل في مجيئك، وسرت إلى سيارتي، أوشكت على ركوبها عندما توقفتَ بجواري بشاحنتك فجأة، أنزلت زجاج النافذة، وقلت:

- آسف جدًا على التأخير.

كنتُ أتأخر عن مواعيدي دائمًا فلم أحكم عليك، لكني حكمت على شاحنتك، قلت أنت بالتأكيد مجنونٌ أو تملك ثقة مفرطة بنفسك، شاحنة فورد قديمة برتقالية، أبشع لون برتقالي رأيته في حياتي، قلت:

- تعجبني شاحنتك.

لم أكن متأكدة مما إذا كنت أقول الحقيقة أم أكذب، لقد كانت شاحنة قبيحة كرهتها تمامًا، لكني أحببتها لأنها شاحنتك. رددتَ:

- ليست لي، إنها شاحنة صديقي المفضَّل، سيارتي في التصليح.

شعرتُ بالارتياح لأنها ليست شاحنتك، ولكني أيضًا أحبطت قليلًا لأنني وجدت اللون ممتعًا للغاية، أشرت إليَّ أن أركب، بدوت فخورًا بنفسك، رائحتك مثل حلوى القصب.

- هل هذا هو سبب تأخرك؟ سيارتك تعطلت؟

هززتَ رأسك، وقلت:

- لا، اضطررت إلى الانفصال عن حبيبتي.

استدرتُ إليكَ، وصحت:

- لديك حبيبة؟

- ليس بعد الآن.

نظرت إليَّ بخجلٍ، فقلت:

- ولكن كان لديك واحدة عندما طلبت مني موعدًا في وقت سابق؟

- نعم، ولكن بحلول الوقت الذي اشتريت فيه الطبق الثالث علمت أنني سأنفصل عنها؛ تأخرت في أخذ هذا القرار لكن كلينا كان يتمناه منذ فترة، يبدو أننا لم نجرؤ فقط على قولها بصوتٍ عالٍ.

توقفت في محطة الغاز لتملأ الخزان، وقلت قبل أن تغادر الشاحنة:

- أمي ستحزن قليلًا، كانت تحبها جدًّا.

- الأمهات لا يحببنني عادة.

ابتسمتَ، وقلتَ: "أستطيع أن أرى ذلك، تفضِّل الأمهات لأبنائهم الفتيات عاديات المظهر، بينما أنت مثيرة جدًّا لدرجة تُشعر أيّ أم بعدم الراحة.

لا تغضبني المغازلات الجنسية، في الواقع تعمدت أن أبدو مثيرة هذا اليوم، قضيت وقتًا طويلًا في اختيار حمالة الصدر والقميص المفتوح اللذين اشتريتهما قبل ثلاثين دقيقة لأظهر صدري مثيرًا أمامه، وكنت أقدِّر المجاملة حتى لو كانت مبتذلة قليلًا.

عندما خرجت لملء شاحنة صديقك بالغاز، فكرت في الفتاة ذات المظهر العادي التي كسرت قلبها لمجرد أنني وافقت على الذهاب في موعدٍ معك، وشعرت أنني الأفعى الشريرة التي خربت حياتها، لكن على الرغم من شعوري هذا فإنني لم أنتوِ تركك؛ أحببت طاقتك كثيرًا، ورغبت في امتلاكك أبدًا.

عندما أخبرني ليدجر باسمه وهو يقبِّلني في وقتٍ سابقٍ الليلة، كدتُ أقول: "ليدجر صديق سكوتي؟" لكن السؤال بدا بلا جدوى،

لأنني كنت أعرف أنه هو، لا يحمل الكثيرون هذا الاسم، لم أقابل أحدًا يحمله من قبل.

كنت أملك الكثير من الأسئلة له، لكن ليدجر قبَّلني ومزَّقني نصفين لأنني أردت تقبيله مرة أخرى، أردت أن أسأله عنك، أردت أن أسأله: "كيف كان سكوتي وهو طفل؟ ماذا كنت تحب فيه؟ هل تحدث عني معك من قبل؟ هل ما زلت تتحدث مع والديه؟ هل قابلت ابنتي؟ هل يمكنك مساعدتي في جمع أجزاء حياتي المهشمة معًا مرة أخرى؟".

لكنني لم أستطع التحدث لأن صديقك المقرب وضع لسانه الحار الحارق في فمي، وشعرت أنني موصومة بالخيانة، لا أعرف لماذا شعرت بذلك؟ أنت ميت منذ خمس سنوات، كما أنني قبَّلت حارس السجن من قبل، لم يكن الأمر كما لو أنه أول رجل أقبِّله بعدك، لكن قبلتي مع حارس السجن لم تشعرني بالخيانة، ربما لأنه ليس صديقك المفضل.

أو ربما شعرت بذلك لأنني أحببت قبلة ليدجر، هزَّتني وأثارتني كما كانت قبلاتك تفعل، لكن الأهم من ذلك، ما جعلني أشعر أنني خائنة وكاذبة ووضيعة، أن ليدجر لا يعرف من أكون، بالنسبة إليه كنت مجرد فتاة عابرة لم يستطع التوقف عن التحديق إليها طوال الليل، بالنسبة إليَّ كان الساقي المثير الذي مات أفضل أصدقائه بسببي.

كل شيء يتهاوى داخلي، شعرت أنني محطمة، سمحت لليدجر أن يلمسني وأنا أعلم جيدًا أنه ربما سيفضِّل طعني بسكين إن عرف من أنا، التوقف عن تقبيله بدا كأنه مثل محاولة إطفاء حريق في غابة بقنبلة

نووية. أردت أن أعتذر، أردت الهرب، انهرت، فكرت أن ليدجر ربما عرفك أكثر مما عرفتك، كرهت أن الشخص الوحيد الذي صادفته في هذه المدينة هو الرجل الوحيد الذي يجب أن أتجنَّبه.

لكن ليدجر لم يبتعد عندما بكيت، لقد فعل ما كنت ستفعله، طوقني بذراعيه وتركني أفرغ انفعالي من دون أن يوقفني، ارتحت بين يديه لأن لا أحد طمأنني هكذا منذ أن رحلت أنت.

أغمضت عينيّ وتخيلت لو كان صديقك المفضل حليفي، لو أنه بجانبي، لو أنه يأخذ صفي على الرغم مما فعلته بك، لو أنه يساعدني على الشفاء.

لقد سمحت أيضًا بحدوث ذلك لأنه إذا كان قد عاد إلى هذه البلدة، ولا يزال يقود الشاحنة التي التقيت بك فيها طوال كل تلك السنوات الماضية، فهذا يعني أنه متمسك بروتين حياته، وهناك احتمالٌ كبيرٌ أن تكون ابنتنا جزءًا من حياة ليدجر، هل من الممكن أن أكون على بُعد شخصٍ واحدٍ فقط من ديم؟

إذا كان في إمكانك رؤية الصفحات التي أكتب هذه الرسالة فيها، سترى بقع الدموع عليها، يبدو أن البكاء هو الشيء الوحيد المتبقي في الحياة الذي أجيده، البكاء واتخاذ قرارات سيئة، وبالطبع كتابة الشعر الساذج لك.

سأنهي هذه الرسالة بقصيدة كتبتها لك خلال رحلة الحافلة وأنا عائدة إلى هذه المدينة:

لديَّ ابنة لم أحملها ولو مرة..

لديها رائحة لم أشمها ولو مرة..

لديها اسم لم أنادِها به ولو مرة..

لديها أم فشلت قبل حتى أن تقابلها ولو مرة..

حبي،

كنا

الفصل الثامن

ليدجر

لم أوقف سيارتي في الجراج عندما وصلتُ إلى المنزل الليلة الماضية لأن أول ما تفعله ديم بعد استيقاظها في الصباح هو النظر من نافذتها والتأكد من أنني عدت إلى المنزل، وعندما أوقف شاحنتي في الجراج، تعتقد أنني لم أعُد بعد، تقول جريس إنها تصنع وجهًا حزينًا بملامحها.

أعيش على الجانب الآخر من الشارع منذ أن كانت ديم في عمر الثمانية أشهر، ولكن إذا لم أحسب السنوات التي غادرت فيها هذا المنزل وعشت في دنفر، سأكون قد عشت تقنيًا في هذا المنزل طوال حياتي.

لا يعيش والداي هنا منذ عدة سنوات، على الرغم من أنهما يرقدان كأنهما مغشيٌّ عليهما اليوم في غرفة الضيوف. فقد اشتريا مقطورة سكن متنقلة بعد تقاعد أبي، يتنقلان بها في كل مكان، اشتريت منهما المنزل بعد عودتي إلى البلدة، فأخذا مقطورتهما وانطلقا. اعتقدت أن هذا الجموح سيستمر لمدة عام على أقصى تقديرٍ، لكنهما لا يزالان يتنقلان بها بين الولايات منذ أكثر من أربع سنوات حتى الآن، ولا يبدو أن لديهما أيَّ نية للتوقف عن ذلك والاستقرار في مكانٍ واحدٍ.

أتمنى فقط أن يحذِّراني قبل ظهورهما. ربما يجب أن أحمِّل تطبيق GPS على هاتفيهما حتى ينبِّهني قبل وصولهما في المستقبل، لا يعني ذلك أنني لا أحب زياراتهما، لكن سيكون من الجيد أن أستعد لها.

لهذا السبب ركَّبتُ بوابة خاصة في منزلي الجديد الذي أبنيه، يسير البناء ببطء شديد لأنني أعمل عليه أنا وورومان فقط. كل يوم أحد من الشروق حتى غروب الشمس، أقود السيارة حتى شيشاير ريدج مع رومان ونظل نعمل حتى ننهار. عملت على مشاريع أصعب من هذا البيت، لكن القيام بالعمل وحدنا أخذ منَّا وقتًا طويلًا، بعد عامين من أيام الأحد، أوشكنا أخيرًا على الانتهاء، ربما أنتقل إليه بعد ستة أشهر من اليوم.

- إلى أين تذهب؟

صاح بي أبي بمجرد أن وصلت إلى باب الجراج، كان واقفًا خارج غرفة نوم الضيوف بملابسه الداخلية فقط.

- ديم لديها مباراة تي-بول[1] اليوم، هل تودَّان المجيء؟

- لا، إننا مرهقان جدًّا للتعامل مع الأطفال اليوم، ثم أننا يجب أن نغادر.

- هذه السرعة؟



---

(1) التي-بول: هي لعبة جماعية بنفس قواعد البيسبول إنما بشكلٍ مبسطٍ، يمارسها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 4 و6 سنوات لتطوير ممارستهم للعبة منذ الطفولة.

"سنعود في غضون أسابيع قليلة" عانقني أبي، وأكمل: "أمك لا تزال نائمة، لكنني سأقول لها إنك قلت وداعًا".

- أو ربما عليك إبلاغي قبل الزيارة المقبلة لآخذ اليوم عطلة وأقضيه معكما.

هزَّ أبي رأسه يمنة ويسرى وقال: "لا، نحن نحب رؤية وقع المفاجأة عليك".

تركني أبي متوجهًا نحو الحمّام وأغلق الباب خلفه، فمشيت عبر الجراج باتجاه منزل باتريك وجريس على الجانب المقابل من الشارع. آملت ألا تكون ديم في مزاجٍ للثرثرة لأن تركيزي معدومٌ، كل ما أمكنني التفكير فيه هو الفتاة من الليلة الماضية، وكم أود رؤيتها مرة أخرى. تساءلت هل سيكون غريبًا جدًّا لو تركت ملاحظة على باب بيتها؟

طرقتُ الباب الأمامي لباتريك وجريس ثم دخلت. تعوَّدنا على زيارة بعضنا كثيرًا خلال اليوم الواحد، وتعبنا من ترديد جملة الباب مفتوح، إنه مفتوح دائمًا.

كانت جريس في المطبخ مع ديم. جلست ديم على منتصف المائدة بساقين مربعتين وطبق من البيض على حجرها، لا تفضِّل ديم الجلوس على المقاعد، تفضِّل أن تكون على قمة كل شيء، مثل مسند الكنبة، بار المطبخ، مائدة المطبخ، كانت متسلقة صغيرة.

- ما زلتِ بملابس النوم يا دي؟

سألتُها، وأنا أرفع طبق البيض من فوق ساقيها، أكملت مشيرًا نحو الردهة: - اذهبي فورًا لارتداء ملابسك، لا بد أن نذهب حالًا.

جرت ديم إلى غرفتها لارتداء ملابسها الرياضية، بينما قالت جريس:

- ظننتُ أن المباراة في العاشرة، وإلا لكنت طالبتها بأن تجهز.
- إنها كذلك، لكن عليَّ استلام طلبية من العصير من المتجر، ثم سنمرُّ على رومان لاصطحابه.

انحنيت على بار المطبخ لالتقاط ثمرة يوسفي، قشَّرتها بينما بدأت جريس في تشغيل غسالة الأطباق، أزاحت خصلة شعر عن وجهها قائلة:

- ديم تريد بيت ألعاب الغابة، مثل ذلك الذي كنتَ تمتلكه في فنائك الخلفي، حصلت صديقتها نايلا من المدرسة على واحدٍ، وأنت تعرف، لا نستطيع أن نقول لا، إنه عيد ميلادها الخامس.
- لا تقلقي، ما زلت أحتفظ به.
- حقًّا؟ أين؟
- وضعته في السقيفة بعد فكِّه، لكن يمكنني مساعدة باتريك في إعادة تجميعه مرة أخرى، لن يكون الأمر صعبًا للغاية.
- هل تعتقد أنه لا يزال في حالة جيدة؟
- كان كذلك عندما فككته.

لم أجرؤ أن أخبرها بأن سكوتي هو السبب، فككته لأنني كنتُ أغضب في كل مرة تقع عيناي عليه بعد وفاته. وضعتُ فصًا آخر من ثمرة اليوسفي في فمي وأعدت توجيه أفكاري، قلت لجريس: "لا أصدق أنها ستتم الخامسة".

تنهدت جريس: "نعم يبدو الأمر كله غير حقيقي.. وغير منصف".

دخل باتريك المطبخ، وربت على رأسي كأنني لستُ أطول منه بثلاث وثلاثين بوصة، ثم التقط ثمرة يوسفي، وقال:

- يا ولد.. هل أخبرتك جريس أننا لن نستطيع حضور المباراة اليوم؟

"لم أفعل بعد"، نظرت إليَّ، كانت عيناها منزعجتين، وأكملت:

- أختي في المستشفى، تجري عملية تجميل جديدة، هي بخيرٍ لكن علينا أن نذهب إلى منزلها لإطعام قططها.

- ما الذي ستغيره هذه المرة؟

لوَّحت جريس بيدها قائلة: "لا أعرف، شيئًا ما لعينيها، إنها أكبر مني بخمس سنوات، لكنها تبدو أصغر مني بعشر سنوات".

غطى باتريك فم جريس بيده مازحًا: "لا تقولي هذا، أنت مثالية".

ضحكت جريس، ودفعت يده بعيدًا.

لم أرهما يتشاجران من قبل، ولا حتى عندما كان سكوتي طفلًا. يتشاجر الوالدان كثيرًا، وغالبًا ما يكون الأمر ممتعًا، لكنني لم أرَ جريس وباتريك بيكر يتشاجران خلال العشرين سنة التي عرفتهما فيها. تمنيت حياة مثل هذه في يومٍ ما، ليس لديَّ وقت لذلك الآن؛

أعمل كثيرًا وأشعر كأنني أتحرك بالتصوير البطيء، أحتاج إلى إجراء تغييرٍ كبير في حياتي إذا كنت أرغب في الاستقرار مع فتاة لفترة طويلة، وأن أحظى معها بما يمتلكه باتريك وجريس.

صاحت ديم من غرفة نومها: "ليدجر، ساعدني!".

أسرعت إلى غرفتها لتفقدها فوجدتها جاثية على ركبتيها تفتش داخل خزانة ملابسها.

- لا يمكنني العثور على فردة حذائي، أحتاج إليها حالًا.

كانت تحمل فردة من حذاء رعاة البقر الأحمر وتبحث عن الأخرى، سألتها:

- لماذا تريدين ارتداء البوت؟ أنت في حاجة إلى حذاء البيسبول.
- لا أريد أن أرتدي حذاء البيسبول اليوم، أريد أن أرتدي هذا البوت.

كان حذاؤها بجوار سريرها، فحملته، وقلت:

- لا يمكنك ارتداء بوتِ رعاة البقر للعب البيسبول، هيًا اجلسي على السرير حتى أتمكَّن من مساعدتك على ارتداء حذائك.

نهضت وهي تحمل فردتيْ البوت بيديها صائحة: هيييه.. وجدتها تسلقت سريرها وهي تضحك وبدأت في ارتداء البوت، قلت:

- ديم.. أنت ذاهبة إلى لعب التي-بول، الناس لا يرتدون بوت رعاة البقر للعب التي-بول.
- أنا، أنا سوف ألعب بالبوت اليوم.
- لا، لا يمكنك...

ثم صمتُّ، فكرتُ أنني لا أملك وقتًا لمجادلتها، وعلمت أن بمجرد وصولنا إلى الملعب ورؤيتها لجميع الأطفال في أحذية البيسبول، ستسمح لي بخلع هذا البوت ومساعدتها على ارتداء حذائها المناسب، فساعدتها على ارتداء البوت، ثم حملتها بيدٍ وفي اليد الأخرى حملت الحذاء الآخر، وغادرنا الغرفة.

التقينا جريس عند الباب، ناولت ديم علبة من العصير وقبّلتها على وجنتها:

- مباراة ممتعة يا دي.

ثم نظرت إلى البوت في قدميها، فقلت وأنا أفتح باب المنزل: "لا تسألي".

- وداعًا يا نانا!

صاحت ديم قبل أن نغادر، فخرج باتريك من المطبخ مسرعًا باتجاهها قائلًا: "ألن تودعي نونو؟".

أراد باتريك أن تناديه ديم بابا بمجرد أن بدأت في الكلام، لكنها لسببٍ ما، أطلقت على جريس اسم نانا وعلى باتريك اسم نونو كان الاسمان مضحكين جدًّا لدرجة أننا جميعًا تمسَّكنا بهما إلى اليوم.

قالت ديم، وهي تضحك:

- نعم نعم.. وداعًا نونو.

قالت جريس: "قد لا نعود قبلكما، أنت لن تمانع في إبقائها معك اليوم؟".

لا أعرف لماذا تسألني جريس دائمًا، لم أقل لا من قبل على هذا الأمر، أجبتها: "لا، خذي وقتك.. سنذهب إلى تناول الغداء بعد المباراة".

أنزلت ديم على الأرض خارج المنزل، وهي تقول: "ماكدونالدز!".

- أنا لا أحب ماكدونالدز.

رددتُ ونحن نعبر الشارع باتجاه الشاحنة، فتحت بابها الخلفي وساعدتها على الجلوس في مقعد الأطفال.

- لا..ماكدونالدز!

- ما رأيك في طعام مكسيكي؟

- ماكدونالدز!

- طعام صيني؟ لم نتناول الطعام الصيني منذ فترة طويلة.

- ماكدونالدز!

- لنعقد اتفاقًا، سنتناول الطعام في ماكدونالدز إذا وافقت على ارتداء أحذية البيسبول الخاصة بك.

هزَّت رأسها رافضة: "لا، لا أريد أن أرتديه، لا أريد طعامًا أصلًا، أنا شبعانة.

- ستجوعين بحلول موعد الغداء.

- لن أجوع، أنا أكلت تنينًا.. سأشبع إلى الأبد.

أحيانًا أقلق بسبب الأشياء التي تختلقها، لكني أيضًا أنبهر بخيالها، لا أعرف في أي عمر يجب أن يميِّز الطفل بين الكذب والخيال،

لذا تركت هذا الأمر لجريس وباتريك ليتعاملا معه، لم أرد أن أوقف قصصها الممتعة.

- أكلت تنينًا؟ تنينًا كاملًا؟

- نعم، لكنه تنين صغير، لأن معدتي صغيرة.

- أين وجدت تنينًا صغيرًا؟

- وول مارت.

- هل يبيعون التنانين الصغيرة في وول مارت؟

شرعت في إخباري بكل شيء عن كيفية بيع التنانين الصغيرة في وول مارت، وكيف يجب أن تملك قسيمة خاصة، ولا يسمح بتناولها سوى للأطفال، عندما أشرفنا على الوصول إلى مطعم رومان كانت لا تزال تشرح طريقة طهوها.

- نطهيها مع الملح والشامبو.

- ليس من المفترض أن نأكل الشامبو.

- لا نأكله، نستخدمه لطهي التنين فقط.

- أوه، ما أغباني!

ركب رومان الشاحنة، كان متحمسًا بنفس قدر حماس شخص ذاهب إلى جنازة! يكره رومان مباريات التي-بول، يبدو أنه لم يكن طفلًا من قبل. السبب الوحيد الذي جعله يساعدني في التدريب هو أن لا أحد من الآباء الآخرين قبل أن يفعل ذلك، وبما أنه يعمل معي، فقد وضعت هذه المهمة ضمن مهام عمله، إنه الشخص الوحيد الذي أعرفه

ويتقاضى أجرًا لتدريب التي-بول للأطفال، ولم يكن يشعر بالذنب حيال ذلك.

"أهلًا يا رومان"، قالت ديم من المقعد الخلفي بطريقتها المنغمة.

- لم أتناول سوى فنجان واحد من القهوة؛ فلا تتحدثي معي.

يبلغ رومان من العمر سبعة وعشرين عامًا، لكنه عقليًا لا يكبر ديم سوى ببضع سنوات، علاقتهما علاقة حب-كره، يبدوان كأنهما في عمر الثانية عشرة.

دقَّ رومان جبهته بيده مرددًا: "استيقظ..استيقظ.. استيقظ".

ثم نظر إليَّ، وقال:

- كل هذا الهراء الذي تفعله لمساعدة الأطفال في وقت فراغك لن يدخلك الجنة، لأن الدين هو بناء اجتماعي خلقته المجتمعات التي تريد إخضاع شعوبها، الجنة هي أن نكون نائمين الآن.

- يا إلهي.. أكره أن أراك قبل تناولك القهوة، ثم إذا كانت الجنة هي النوم، فما هو الجحيم؟

- ملعب التي-بول.

الفصل التاسع

كينا

قضيت الصباح في البحث عن عملٍ، زرت ستة أماكن مختلفة من دون فائدة، لم تكن الساعة قد بلغت العاشرة صباحًا بعد، وكنت بالفعل قد رُفضت من الجميع؛ كلهم طلبوا مني ملء استمارة، ثم سألوني عن خبرتي، كان لا بد أن أخبرهم أنني لا أملك أيَّ خبرة، وكان لا بد أن أخبرهم بالسبب.

كانوا يعتذرون فورًا، لكن ليس قبل أن ينظروا إليَّ باستغرابٍ، يتفحصونني من رأسي حتى قدميَّ، كنت أعرف ما يفكرون فيه، إنه نفس الشيء الذي قالته روث، صاحبة المنزل، عندما رأتني للمرة الأولى "لم أكن أتوقع أن تبدي هكذا".

يعتقد الناس أن النساء اللائي يدخلن السجن لهنَّ شكلٌ معينٌ، يتعاملن بطريقة معينة، لكننا في النهاية أمهات وزوجات وبنات.. مجرد بشرٍ، كل ما نريده هو الحصول على فرصة.. فرصة واحدة فقط.

المكان السابع الذي زرته كان متجرًا للبقالة، أبعد مما كنت أود عن البيت، ما يقرب من ميلين ونصف، لكني رُفضت من كل مكان آخر بين شقتي وهذا المتجر.

دخلت من الباب وأنا أتصبَّب عرقًا، لذا عرجت على الحمام لأستعيد نشاطي، بينما أغسل يديَّ دخلت امرأة قصيرة ذات شعرٍ أسود ناعم، لم تفعل شيئًا، سندت بظهرها إلى الحائط، وأغمضت عينيها، لديها شارة على ملابسها باسم إيمي.

عندما فتحت عينيها وجدتني أحدق إلى حذائها، كانت ترتدي خفَّين جميلين مزيَّنين بالخرز الأحمر والأبيض على شكل دائرتين.

- هل أعجباك؟

قالت وهي ترفع قدمها وتميلها من جانب إلى آخر، فقلت: "نعم، جميل جدًّا".

- صنعتهما جدتي لي، من المفترض أن نرتدي حذاء رياضيًّا لكن المدير لم يقل شيئًا عن خفيَّ، أعتقد أنه خائفٌ مني.

نظرت إلى حذائي الرياضي الموحل وشعرتُ بإحراج، لم ألحظ أنني أتجوَّل بهذين الحذاءين القذرين، لا يمكنني التقدمَ إلى وظيفة وأنا أرتديهما، لذا خلعت الفردة اليمنى وبدأت بغسلها على الحوض.

قالت المرأة: "أنا مختبئة.. أنا لا أتسكع في الحمامات عادة، ولكنَّ هناك سيدة عجوزًا في المتجر تشتكي دائمًا من كل شيء، وأنا بصراحة لست في مزاجٍ مناسبٍ لهذا الهراء اليوم، لديَّ طفلة تبلغ من العمر عامين ولم تنم طَوال الليل، وددت لو طلبت إجازة اليوم لكنني رئيسة الوردية، رؤساء الورديات لا يأخذون إجازات مرضية، يجب أن يأتوا إلى العمل".

- ويختبؤون في الحمامات.

ابتسمت قائلة: "بالضبط".

ارتديتُ فردة الحذاء، وخلعت الأخرى لأغسلها، قلت وفي صوتي غصة:

- هل لديكم وظيفة شاغرة؟ أنا أبحث عن عملٍ.
- نعم، ولكن ربما لا تناسبك.

سألت نفسي أليست قادرة على رؤية اليأس على وجهي؟ سألتها: "ما هي الوظيفة؟".

- تعبئة المشتريات، إنها وظيفة بسيطة ليست حتى بدوام كاملٍ، عادة ما يشغلها المراهقون من ذوي الاحتياجات الخاصّة.
- أوه، حسنًا، لا أريد أن آخذ وظيفة من أي شخص.
- لا، ليس الأمر كذلك، ليس لدينا الكثير من المتقدمين بسبب ساعات العمل المنخفضة، لكننا حقًّا في حاجة إلى مساعدة بدوامٍ جزئي، تقريبًا نحو عشرين ساعة في الأسبوع.

لا يكفي هذا لدفع الإيجار حتى، لكني فكرت أنني إذا عملت بجدٍ، فمن المحتمل أن أشق طريقي إلى منصبٍ مختلفٍ.

- يمكنني أن أشغلها حتى يتقدَّم شخصٌ من ذوي الاحتياجات إلى الوظيفة، أحتاج حقًّا إلى المال.

تفحَّصتني إيمي من أعلى إلى أسفل، وقالت: "لماذا أنت يائسة هكذا؟ المرتب سيئ جدًّا".

ارتديت فردة حذائي الأخرى وانحنيت لعقدها، قلتُ بسرعة وبصوتٍ حاولت أن أجعله غير مبالٍ كأن الأمر لا يزعجني بقدر ما

يزعجني فعلًا: "لقد خرجت توًّا من السجن.. لكني لست.. أنا قادرة على شغل هذه الوظيفة، لن أخذلك ولن أسبِّب أي مشاكل".

ضحكت إيمي بصوتٍ عالٍ، لكنها توقفت عندما لم أشاركها الضحك، عقدت ذراعيها على صدرها، وسألتني: "اللعنة! هل أنت جادة؟".

أومأت برأسي: "نعم.. لكن إن كان هذا ضد قوانين المكان فلا بأس.. أتفهم ذلك".

شوَّحت بيدها قائلة: "أي قوانين؟ لا قوانين في هذا المكان، إنها مجرد بقالة، يمكننا توظيف أيِّ شخص نريده، وبصراحة.. أنا مهووسة بمسلسل Orange Is the New Black، لذا سأوظفك بشرط، أن تخبريني إذا كان ما يعرضه لنا من داخل السجن حقيقيًّا أم مجرد هراء".

كدت أن أبكي، لكني زيَّفت ابتسامة، وقلت: "لقد سمعت الكثير من النكات عن هذا المسلسل، يبدو أنني في حاجة إلى مشاهدته".

أومأت موافقة: "نعم يجب عليكِ.. إنه أفضل مسلسل في العالم، تعالي معي".

تبعتها إلى مكتب خدمة العملاء في المتجر، بحثَتْ في درج المكتب حتى أخرجت استمارة طلب وظيفة، وسلَّمتني إياها مع قلم.

- إذا ملأتِها الآن، فربما يمكنك بدء العمل يوم الاثنين.

تناولتُ الاستمارة وأنا أود معانقتها، وأن أخبرها بأنها ستغيِّر حياتي، لكني اكتفيتُ بالابتسام، وانسحبت بهدوءٍ حتى جلست على مقعدٍ بجوار الباب الأمامي.

كتبتُ اسمي الكامل في الاستمارة، لكني وضعت علامات تنصيص حول اسمي الأوسط ليعرفوا أنني أود أن ينادوني به، لا يمكنني ارتداء بطاقة تعريف باسم كينا في هذه البلدة، سيتعرَّف عليه شخصٌ ما ثم تنتشر المعلومة.

كنتُ قد وصلت إلى منتصف الصفحة الأولى عندما امتدت يدٌ لتقبض على أصابعي التي تمسك بالقلم، سمعت صوته يناديني:

"يا..".

رفعتُ رأسي ببطء، رأيت ليدجر يقف أمامي بعربة بقالة مليئة بنحو اثنتي عشرة عبوة من عصير جاتوريد.

قلبت الاستمارة على ظهرها على أمل أنه لم يلتقط اسمي الكامل، ابتلعتُ ريقي وحاولت أن أبدو رصينة، لأمحو من رأسه حالتي ليلة أمس، قلتُ وأنا أشير إلى عربة التسوق: "من أجل الحانة؟".

بدا كأنه ارتاح لتبادلي الحديث معه، ربما توقَّع مني أن أنهره، أو أن أطلب منه الابتعاد، أمسك عبوة عصيرٍ، وقال: "من أجل الأطفال في مباراة تي-بول، أنا مدربهم".

أبعدتُ نظري عن وجهه، لأن هذه الإجابة بدت مريبة، إنه لا يشبه مدربي التي-بول للأطفال، يا للأمهات المحظوظات! ماذا لو كان جادًّا؟ هل هو مدرب للأطفال فعلًا؟ هل لديه طفل؟ طفل وزوجة؟ هل كدت أن أنام مع مدرب تي-بول متزوج؟

ضغطتُ القلم بتوترٍ، وتمتمت: "هل أنت، أمم.. أنتَ لست متزوجًا أليس كذلك؟".

ابتسامته أجابتني.. لكنه لم يكتفِ بها، هزَّ رأسه نافيًا، وقال: "أعزب".

ثم نظر إلى الاستمارة في يدي، وسألني: "هل تتقدمين إلى وظيفة؟".

- نعم.

ألقيت نظرة سريعة على مكتب خدمة العملاء، رأيتُ إيمي تراقبنا، أحتاج إلى هذه الوظيفة جدًّا، لذلك خشيت أن تعتقد بأن الرجال المثيرين قادرون على تشتيت انتباهي في أثناء ساعات العمل، أدرتُ وجهي بعيدًا، وتساءلت إن كان حديثي مع ليدجر يضرُّ بفرصتي. قلبت الاستمارة على وجهها، لكن بزاوية تجعله غير قادرٍ على لمح اسمي، عدت لملئها على أمل أن يبتعد.

لكنه لم يفعل، دفع عربته إلى جانب الحائط حتى يتمكن الزبائن من العبور، ثم أسند كتفه اليمنى إلى الحائط، وقال: "كنت أتمنى أن ألتقيك مرة أخرى".

لن أفعل هذا الآن..

لن أمنحه أملًا بينما هو لا يملك أي فكرة عن هويتي، لن أخاطر بهذه الوظيفة أو أجعلهم يعتقدون بأنني أغازل الزبائن، همست بصوتٍ عالٍ بما يكفي ليسمعني: "هل يمكنك أن تذهب؟".

عقد حاجبيه، وقال: "هل فعلتُ شيئًا خاطئًا؟".

- لا، لكني مشغولة جدًّا وأريد الانتهاء من ملء الاستمارة.

جزَّ على أسنانه، وضغط بيده الحائط قائلًا: "في الواقع أشعر أنك غاضبة، وأشعر بالسوء تجاه ما حدث الليلة الماضية...".

- أنا بخير.

ألقيت نظرة أخرى على مكتب خدمة العملاء، كانت إيمي لا تزال تحدق إلينا، فاستدرت إلى ليدجر وقلت متوسلة: "أنا في حاجة شديدة إلى هذا العمل، ومديرتي المحتملة تحدق إلينا، لا أقصد الإهانة لكن جسمك مغطى بالوشوم وتبدو كأنك شخصٌ مثيرٌ للمتاعب، وأنا لا أريدها أن تظن بأنني يمكن أن أسبِب أي مشاكل، لا يهمني ماذا حدث الليلة الماضية، ما حدث تم بإرادتي، وكان جيدًا".

هزَّ رأسه ببطء، وقال وهو يمسك بمقبض عربة تسوقه: "كان جيدًا.. نعم.. كان جيدًا..".

كرَّر الجملة وبدا كأنه يشعر بالإهانة، للحظة شعرت بالسوء من أجله، لكني لن أكذب عليه، لقد وضع يده داخل بنطلوني الجينز، لو لم تتم مقاطعتنا لأنتهى بنا الأمر متضاجعين في شاحنته، يا له من موقفٍ رائع!

لكنه علَى حقٍّ، كان الأمر أكثر من جيدٍ، لا أستطيع حتى النظر إليه من دون أن أحدق إلى شفتيه، إنه مُقبِّل جيد، وهذا كافٍ لتشتيتي، وأنا لديَّ الكثير من الأمور المهمة الآن، أمور أهم من شفتيه.

وقف صامتًا لبضع ثوانٍ ثم مدَّ يده في كيس في عربته، وسحب زجاجة بنية اللون: "اشتريت الكراميل، في حال لو عدت إلى الحانة".

ألقى الزجاجة في العربة، وأكمل: "على أي حالٍ، حظًّا طيبًا وفقك الله".

بدا مضطربًا وهو يستدير ويخرج من الباب، حاولت الاستمرار في ملء الاستمارة، لكن يديَّ لم تتوقفا عن الارتعاش، شعرتُ كأن داخلي قنبلة بعدَّاد زمني، كلما اقترب مني أكثر، اقتربت ساعة انفجارها لتفشي أسراري كلها أمامه.

انتهيت من ملء الاستمارة، بخطٍ سيئ جدًّا بسبب ارتعاشة يدي، عدت إلى خدمة العملاء وسلَّمتها إلى إيمي، سألتني: "هل هذا حبيبك؟".

تظاهرت بالغباء متسائلة: "من؟".

- ليدجر وارد.

وارد؟ لقبه وارد، هل يملك الحانة؟ هززت رأسي نافية: "لا، بالكاد أعرفه".

- خسارة، إنه مثير جدًّا، وبائس منذ انفصاله عن ليا.

تقولها كأن يفترض بي أن أعرف من هي ليا. يبدو أن في مدينة بهذا الحجم، يعرف كل الناس أخبار بعضهم. ألقيت نظرة على الباب الذي اختفى خلفه ليدجر منذ قليل، وقلت: "لست هنا لاصطياد رجل مثير، أريد عملًا غير مثير".

ضحكت إيمي، وهي تتصفح استمارتي للحظة، وسألتني: "هل نشأت هنا؟".

- لا، أنا من دنفر، جئت إلى هنا للدراسة في الجامعة.

كنت أكذب، لم أذهب إلى أي جامعة، لكن يوجد جامعة في هذه المدينة وكنت أعتزم الالتحاق بها ذات يوم.

- أوه حقًّا؟ ما هي شهادتك؟
- لم أتخرج بعد، لهذا السبب عدت للتسجيل في النصف الدراسي الثاني.
- هذه الوظيفة مثالية لك؛ يمكنك العمل بعد دروسك، كوني هنا يوم الاثنين الساعة الثامنة لبدء التدريب، هل لديك رخصة قيادة؟

هززت رأسي بالإيجاب: "نعم، سأحضرها معي".

لم أخبرها بأنني استعدت رخصة قيادتي الشهر الماضي فقط، بعد شهور من المحاولات، قلتُ بصوتٍ حاولت أن أجعله متحمسًا: "شكرًا لك".

تسير الأمور على ما يرام حتى الآن، لديَّ شقة والآن لديَّ وظيفة أيضًا، لا ينقصني سوى العثور على ابنتي واستعادتها، استدرت للمغادرة فصاحت إيمي: "انتظري، ألا تريدين أن تعرفي كم ستتقاضين؟".

- أوه، نعم بالطبع.
- ليس أجرًا كبيرًا.. مجرد مبلغ سخيفٍ.. لكني لا أملك هذا المكان، ومع ذلك سأحاول رفعه قليلًا من أجلك.

مالت إليَّ وأخفضت صوتها: "يمكنك الحصول على وظيفة في مستودع Lowe، يدفعون ضعف ذلك".

- حاولت التقدم إلى العمل لديهم عبر الإنترنت الأسبوع الماضي؛ لم يقبلوا بتوظيفي بسبب سجلي.

- أوه، لا مشكلة، نحن نقبل بك، أراكِ يوم الاثنين.

قبل أن أذهب، طرقت بيدي المنضدة وسألتها سؤالًا ربما لا يجب أن أسأله: - آخر سؤال.. هذا الرجل الذي كنت أتحدث إليه.. ليدجر؟

- ماذا عنه؟

- هل لديه أطفال؟

- فقط ابنة أخ أو شيء من هذا القبيل، تأتي معه إلى هنا أحيانًا.. فتاة ظريفة جدًّا، لكني متأكدة أنه أعزب بلا أطفال.

ابنة أخ؟ أم يمكن أن تكون ابنة صديقه المتوفى؟ هل يتسوق هنا مع ابنتي؟

أجبرت نفسي على الابتسام رغم انفعالي، شكرتها مرة أخرى وغادرت بسرعة، على أمل أن أجد شاحنة ليدجر لا تزال بالخارج، وأن أجده فيها مع ابنتي.

نظرت حولي في ساحة انتظار السيارات، لكنه كان قد ذهب بالفعل. اعتصرت قبضة باردة معدتي، كان الأدرينالين لا يزال يسري في جسدي متخفيًا في صورة الأمل، إنه يدرب الأطفال على لعبة التي-بول، لماذا يدربهم إن لم يكن لديه أطفال؟ بالتأكيد تلعب ديم في فريقه.

فكرت في الذهاب إلى ملعب التي-بول، لكني في حاجة إلى التمهل، يجب أن أتحدث مع باتريك وجريس أولًا.

الفصل العاشر

ليدجر

وقفتُ خارج الملعب لإخراج المعدات، عندما مدَّ جريدي يده وخطف حقيبتي قائلًا: "ها؟ من هي الفتاة؟".

تظاهرت أنني لا أعرف عما يتحدث وأجبته: "أي فتاة؟".

- الفتاة التي كانت في شاحنتك الليلة الماضية.

بدت عينا جريدي محتقنتين بالدماء، يبدو أن وردية الليل هي السبب، قلت: - مجرد زبونة، كنت فقط أوصلها إلى المنزل.

جاءت زوجة جريدي، ويتني، ووقفت بجانبه، على الأقل لم تجلب بقيّة الأمهات معها، من نظرتها عرفت أن الجميع في ملعب التي-بول عرفوا بالفعل الحكاية، وأنا لا أقدر سوى على مواجهة زوجين في كل مرة، قال جريدي: "رأيت فتاة في شاحنته الليلة الماضية".

نظرتُ له شذرًا فرفع يديه بلا حول ولا قوة كأن زوجته انتزعت منه المعلومات نزعًا، كررت: "لم يحدث شيء، كنت فقط أوصل زبونة إلى منزلها".

تساءلت كم مرة سأضطر إلى تكرار هذه الجملة اليوم، سألتني ويتني: "ما اسمها؟".

- لا أحد تعرفينه.

قال جريدي: "نحن نعرف الجميع هنا".

- هي ليست من هنا.

قد أكون كاذبًا، قد لا أكون كذلك، لا أعرف سوى القليل عنها، لا أعرف سوى مذاقها الحلو الذي لا أستطيع نسيانه.

قال جريدي مغيرًا الموضوع: "تدرب داستن جيدًا على رمي الكرة، انتظر وسترى بنفسك".

يأخذ جريدي لعبة التي-بول بجدية شديدة، يريد أن يصبح ابنه موضع حسد بقية الآباء، من المفترض أن هذه لعبة ممتعة، لكن أمثاله يضعون فيها قدرًا كبيرًا من التنافسية ويدمرون الرياضة.

قبل أسبوعين، كاد جريدي أن يتشاجر مع الحكم، وربما كاد يضربه لو لم يدفعه رومان بعيدًا عن الملعب، لست متأكدًا من أن هذا الحماس جيد للعبة التي-بول، لكنه يأخذ رياضات ابنه على محمل الجد.

أنا لا أفعل، أحيانًا أتساءل عما إذا كان ذلك بسبب أن ديم ليس ابنتي البيولوجية، لو كانت كذلك هل كنتُ سأغضب إن لم تفُز في مبارياتها؟ لا أعرف إن كنت سأحب طفلي البيولوجي أكثر مما أحب ديم، لكني بالتأكيد لن أبالي بنتائج مبارياته، يفترض بعض الآباء أنني سأكون أكثر تنافسية لأنني أتولى تدريب الفريق، لقد تعاملت مع المدربين التنافسيين طوال حياتي، ربما لذلك وافقتُ على تولي هذه المهمة، لمنع أن يتولى الأمر أحمق تنافسي يصبح قدوة سيئة لديم.

كان من المفترض أن يقوم الأطفال بالإحماء، لكني رأيت ديم تقف في الملعب على جنب، وتحشو جيوبها بكرات البيسبول، وضعت اثنتين في كل جيب، وكانت تحاول دفع الثالثة حتى إن سروالها بدأ في السقوط إلى أسفل. مشيت إليها، وركعت أمامها، قائلًا: "دي، لا يمكنك أخذ كل كرات البيسبول".

- هذه ليست كراتٍ، إنها بيض تنين، أريد أن أدفنهم في الحديقة حتى تفقس وتخرج لي صغار التنانين.

أخرجتُ الكرات وألقيتُها واحدة تلو الأخرى إلى رومان: "هذه ليست الطريقة التي نعتني بها ببيض التنين، يجب أن تجلس التنينة الأم على البيض حتى يفقس".

انحنت ديم إلى الأمام لالتقاط حصاة، ولاحظتُ أن لديها كرتين أسفل التيشيرت من الخلف، فرفعته إلى أعلى لتسقطا، ثم ألقيتهما إلى رومان.

- هل خرجت أنا أيضًا من بيضة؟
- لا يا دي، أنت إنسانة، الإنسان لا يخرج من البيض، نحن نولد من...

توقفت عن الكلام، كنت على وشك أن أقول، الإنسان يولد من بطن أمه، لكنني حريص على تجنُّب الكلام عن الأمهات أو الآباء أمام ديم، لا أريدها أن تبدأ في طرح أسئلة لا أستطيع الإجابة عنها.

- من أين نولد؟ من الأشجار؟

اللعنة..

وضعتُ يدي على كتف ديم، وتجاهلت سؤالها تمامًا لأنه ليس لديَّ أي فكرة عما أخبرها به جريس أو باتريك عن إنجاب الأطفال، هذا ليس مجالي، لم أكن مستعدًا لهذه المحادثة.

صحتُ في الأطفال للتوجه إلى الملعب، لحسن الحظ جرت ديم مع صديقتها بعيدًا عني، زفرت حامدًا الله أن المحادثة انتهت عند هذا الحد.

بعد انتهاء المباراة، أوصلت رومان إلى الحانة حتى لا أورطه في رحلتنا إلى ماكدونالدز، نعم ذهبنا إلى ماكدونالدز رغم أن ديم لم ترتدِ أحذية البيسبول في أثناء المباراة، لكنها دائمًا ما تجبِرني على تنفيذ ما تريده كأنني بلا إرادة أمامها.

يقولون، اختر معاركك، لكن ماذا يحدث عندما لا تفعل ذلك أبدًا، لا خيارات أمام قرارات ديم التي قالت فجأة: "لا أريد أن ألعب كرة التي بعد الآن".

غمست أصابع البطاطس المقلية في العسل بينما تخبرني بقرارها هذا ببساطة، قطر العسل على يدها، حاولت مرارًا أن أقنعها بأن البطاطس تؤكل بالكاتشب وليس العسل، لكنها لن تكون ديم إذا لم تفعل كل شيء بأصعب طريقة ممكنة.

- أنتِ لا تريدين لعب كرة التي؟

هزَّت رأسها بالإيجاب، وهي تلعق معصمها.

- حسنًا، لكن أمامنا عدد قليل جدًّا من المباريات قبل انتهاء الموسم، كما أنك التزمت باللعب مع فريقك.

- ما هو الالتزام؟
- إنه عندما توافقين على فعل شيء ما، لقد وافقت على أن تكوني جزءًا من فريق، إذا تركته في منتصف الموسم، فسيحزن أصدقاؤك، لذا ما رأيك لو استمررت حتى نهاية الموسم ثم تفعلين ما تريدين بعد ذلك؟
- مم.. موافقة.. لكن بشرط أن تصحبني إلى ماكدونالدز بعد كل مباراة.

نظرت إليها وضيَّقت عينيَّ، قلتُ: "أشعر أنك تنصبين عليَّ".

- ماذا يعني النصب؟
- يعني أنك تحاولين خداعي لاصطحابك إلى ماكدونالدز بعد كل مباراة.

ابتسمت ديم وهي تأكل آخر إصبع بطاطس. لملمت بقايا الأكل والأوراق في كيس ثم ألقيته في القمامة، وأمسكت بيدها في طريقنا إلى الخارج، كانت يدها لزجة من العسل مثل مصيدة ذباب، الحمد لله أنني أحتفظ بمناديل مبللة في شاحنتي من أجل هذه المواقف.

بعد دقيقتين، استقرَّت في مقعد الأطفال، وبينما كنتُ أفرك يديها وذراعيها بالمنديل المبلل، قالت: "متى ستحصل أمي على سيارة أكبر؟".

- إنها تقود شاحنة صغيرة، ما هو حجم السيارة التي تحتاج إليها؟
- لا.. لا أقصد نانا، أتكلم عن ماما، سألتني سكايلر لماذا لا تأتي أمك إلى المباريات فأخبرتها أنها ستأتي عندما تحصل على سيارة أكبر.

توقفت عن مسح يديها مشدوهًا، هذه هي المرة الثانية التي تذكر فيها أمها اليوم، أعتقد أنها وصلت إلى هذا العمر الذي ستبدأ فيه بالتساؤل، وأنا ليس لديَّ أي فكرة عما أخبرها به باتريك وجريس عن كينا، ولا أعرف ما هي حكاية هذه السيارة الأكبر!

- من أخبرك أن أمك في حاجة إلى سيارة أكبر؟

- نانا، قالت إن سيارة ماما ليست كبيرة بما يكفي، ولهذا أنا أعيش هنا وليس معها.

كان هذا محيرًا جدًّا بالنسبة إليَّ، هززت رأسي وألقيت المناديل في كيس، قلت:

- لا أعلم، اسألي نانا.

أغلق بابها وأرسل رسالة نصية إلى جريس بينما أدور حول الشاحنة لأركب، كتبت: "لماذا تعتقد ديم أن والدتها ليست في حياتها لأنها في حاجة إلى سيارة أكبر؟".

بعد دقائق، اتصلت جريس، فأجبت من دون أن أضع الهاتف على مكبر الصوت: "أهلا جريس، أنا وديم في طريقنا إلى البيت".

كانت هذه طريقتي لأخبرها أنني ربما لن أتمكن من الرد على ما تقوله حتى لا تسمعني الطفلة، تنهدت جريس على الجانب الآخر، كأنها تستعد لشرح طويل: "حسنًا، سألتني ديم الأسبوع الماضي لماذا لا تعيش مع والدتها، لم أعرف ماذا أقول، فقلت لها إنها تعيش معي لأن سيارة والدتها ليست كبيرة بما يكفي لتناسبنا جميعًا، كانت هذه هي أول كذبة فكرت فيها، لأنني ذعرت يا ليدجر".

- أتفهم ذلك.

- نحن نخطط لإخبارها، لكن كيف تخبر طفلة بأن أمها في السجن؟ إنها لا تعرف حتى ما هو السجن.

- لا أحكم عليكِ، أردت فقط أن نعلم جميعًا ماذا ينبغي لنا أن نخبرها، لا بد أن تكون القصة واحدة، وربما علينا التفكير في قصة أكثر إقناعًا.

- أنت على حق، لكنها صغيرة جدًّا.

- لقد بدأت في التساؤل.. إنه سن الفضول والأسئلة.

- أنا أعرف.. فقط... إذا سألت مرة أخرى، أخبرها بأنني سأشرح لها كل شيء.

- أخبرتها ذلك بالفعل، استعدي للأسئلة.

- "عظيم"، قالت بحسرة وأردفت: "كيف سارت اللعبة؟".

- جيدة، انتعلت حذاء رعاة البقر الأحمر، وذهبنا إلى ماكدونالدز.

ضحكت: "أنت مغفل!".

- نعم، وما الجديد؟ أراك قريبًا.

أنهيت المكالمة، ونظرت إلى ديم في المقعد الخلفي، بدت سارحة في شيء مهم، سألتها: "بماذا تفكرين يا دي؟".

- أتمنى أن أعيش داخل فيلم.

- ماذا؟ هل تريدين أن تكوني ممثلة؟

- لا، أريد أن أكون داخل فيلم.

- أنا أعرف، هذا يعني أن تكوني ممثلة.

- حسنًا، أوكي، هذا ما أريد أن أكونه، ممثلة. أريد أن أمثِّل في أفلام الكارتون.

لم أجرؤ على إخبارها بأن أفلام الكارتون هي مجرد أصوات ورسومات فقلت: "أعتقد أنك ستكونين ممثلة أفلام كارتون رائعة".

- نعم.. سأكون حصانًا أو تنينًا أو حورية البحر.

- أو يونيكورن!

ابتسمت وأدارت عينيها إلى نافذتها، أحب خيالها، لم ترثه من سكوتي بكل تأكيد، كان يملك خيالًا منعدمًا، مخًّا أصلب من حجرٍ!

الفصل الحادي عشر

كينا

لم أرَ صورة ديم من قبل، لا أعرف ما إذا كانت تشبهني أم تشبه سكوتي، هل عيناها زرقاوان أم بنيّتان؟ هل ابتسامتها صادقة مثل والدها؟

هل تضحك مثلي؟

هل هي سعيدة؟

هذا هو أملي الوحيد، أريدها أن تكون سعيدة، أثق تمامًا بجريس وباتريك، أعلم أنهما أحبَّا سكوتي، ومن الواضح أنهما يعشقان ديم، لقد أحبَّاها قبل حتى أن تولد.

بدءا في القتال من أجل الحضانة في اليوم الذي قيل لهما فيه إنني حامل، لم يكن لدى الجنين في بطني حتى رئتان متطورتان بشكلٍ كاملٍ، لكنهما قاتلا بالفعل منذ لحظات تكوّنه الأولى. خسرت معركة الحضانة حتى قبل ولادة ديم؛ لا تتمتع الأم بالعديد من الحقوق عندما يُحكم عليها بالسجن لعدة سنوات.

قال القاضي بسبب طبيعة القضية، والإيذاء الذي تسببت فيه لعائلة سكوتي، لم يستطع، بضميرٍ مستريحٍ، الموافقة على طلبي بالحصول

على حقوق الزيارة، كما أنه لن يجبر والديْ سكوتي على الحفاظ على العلاقة بيني وبين ابنتي وأنا في السجن.

قيل لي إن في إمكاني تقديم التماس إلى المحكمة للحصول على حقوقي عند إطلاق سراحي، لكن منذ أن أنهيت مدتي وخرجت، لم يكن هناك الكثير مما يمكنني فعله، بين ولادة ديم وإطلاق سراحي خمس سنوات تقريبًا، لم يكن ثمة شيء يمكن لأحدٍ فعله من أجلي.

كل ما أملك هو هذا الأمل الطفولي الساذج الذي أحاول التشبث به بكل قوتي. كنت أصلي ليغفر لي والدا سكوتي، تمنيت لو كانا في حاجة إلى بعض الوقت فقط، افترضت، عن جهلٍ، أنهما سيفهمان في النهاية حاجة ديم إلى أن أكون في حياتها.

لم يكن هناك الكثير الذي يمكنني فعله من موقعي المنعزل في العالم، ولكن الآن بعد أن خرجت، فكرت طويلًا في ماذا يجب عليَّ أن أفعل، لا أتوقع شيئًا، لا أعرفهما جيدًا حتى، لم أقابلهما سوى مرة واحدة مع سكوتي، ولم يكن لقاءً جيدًا حتى. حاولت البحث عنهما عبر الإنترنت، والتلصص على حساباتهما على فيسبوك، لكن صفحتيهما كانتا مغلقتين على الأصدقاء فقط، لم ينشرا أي صورة لديم على الإنترنت، حتى إنني بحثت عن أي شيء متعلق بسكوتي، جربت البحث عن صفحات أصدقائه الذين تمكنت من تذكر أسمائهم، لكن صفحاتهم كانت خاصة أيضًا.

لم أعرف الكثير عن حياة سكوتي قبل أن نلتقي، لم أبقَ معه فترة كافية للتعرف على كل أصدقائه أو عائلته، ست سنوات من أصل اثنين وعشرين سنة عاشها.

كل من عرف سكوتي يعيش اليوم حياة منغلقة، هل هذا بسببي؟ هل هم خائفون مني؟ من ظهوري فجأة في حياتهم؟ من رغبتي في أن أكون جزءًا من حياة ابنتي؟

أعلم أنهم يكرهونني، ولهم كل الحق في ذلك، لكن جزءًا مني يعيش معهم منذ أربع سنوات في ابنتي ديم، ربما يجعلهم هذا قادرين على مسامحتي ذات يوم، الوقت يداوي كل الجروح، أليس كذلك؟ لكني لم أصبهم بجرح بسيطٍ، لقد أصبتهم في مقتل، فاجعة عمرهم، مأساة حياتهم، لن يغفروا لي ذلك أبدًا.

رغم كل شيء، كان من الصعب عليَّ ألا أتعلق بالأمل، الأمل الهش الذي يبقيني حية، كل ما أفعله وأفكر فيه وأخطط له من أجل هذه اللحظة، اللحظة التي ستعيد إليَّ حياتي أو ستدمرني، إما هذا وإما ذاك، لا يوجد وسط.

مرَّت أربع دقائق قبل أن أكتشف أنني متوترة ربما أكثر مما شعرت به في قاعة المحكمة منذ خمس سنوات، أطبقت يدي على نجمة البحر المطاطية لا إراديًّا، إنها اللعبة الوحيدة التي وجدتها في محطة الوقود بجوار شقتي. فكرت في الذهاب بسيارة الأجرة أولًا إلى محل كبيرٍ لشراء لعبة لكن كل المتاجر كانت في الاتجاه المعاكس لبيت ديم، لا أستطيع تحمُّل أجر كل هذه المسافة.

بعد انتهاء عملي في السوبر ماركت اليوم، عدت إلى البيت وغفوت قليلًا، لم أرغب في الذهاب مباشرة إلى بيت جريس وباتريك وديم ليست هناك، فكرت أن كلام إيمي صحيح، ليدجر ليس لديه أطفال ما يعني أن الفتاة الصغيرة التي اصطحبها إلى مبارة التي-بول هي بالتأكيد ابنتي، وبحسب كمية العصير التي اشتراها، بدا أنه كان يستعد ليوم طويلٍ من اللعب، ما يعني أن الأمر سيستغرق ساعات قبل عودة ديم إلى المنزل.

انتظرت بقدر ما أستطيع، أعرف أنه يفتح الحانة نحو الساعة الخامسة، إذن سيصحب ليدجر ديم إلى بيتها قبل ذلك، ثم يرحل، لذا قمت بضبط توقيت رحلتي بسيارة الأجرة لما يجعلني أصل إلى هناك قرابة الخامسة والربع.

لم أرغب في الوصول بعد ذلك لأنني لم أرد أن أفاجئهم وهم يتناولون العشاء أو بعد خلود ديم إلى النوم، أريد أن أفعل كل شيء بدقة، لا أريد أن أفعل شيئًا يجعل باتريك وجريس يشعران أنهما مهددان من وجودي أكثر مما سيشعران به فعلًا، لا أريدهما أن يطلبا مني المغادرة قبل حتى أن أتمكن من التحدث إليهما وربما الدفاع عن نفسي.

في عالم مثالي، سيفتحان بابهما الأمامي لي ويسمحان لي أن ألتقي بابنتي التي لم أحملها من قبل، في عالم مثالي... سيظل ابنهما على قيد الحياة.

حاولت تخيل كيف سيبدوان عندما يجدانني أمامهما، ماذا سأرى في أعينهما عندما يفتحان الباب وينظران إلى وجهي؟ صدمة؟ كراهية؟ اعتدت أن أتخيل نفسي مكانهما، أن أتخيل كم الكراهية التي يكنَّاها لي، كيف يفكران فيَّ من منظورهما، أحيانًا أرقد في سريري وأغلق عينيَّ وأحاول تعديد الأسباب التي تمنع جريس من السماح لي برؤية ابنتي حتى لا أكرهها أنا الأخرى.

أقول لنفسي: كينا، تخيلي نفسك مكان جريس، تخيلي أن تحظي بابن، شاب جميل ورائع تحبينه أكثر من حياتك وما بعدها، وسيم وناجح ومتحقق، والأهم، طيب ولطيف مع الجميع، الجميع يخبرونك أنهم كانوا يتمنون لو حظوا بابن مثل ابنك، وأنت تبتسمين لهم بخجلٍ لكن بفخرٍ أيضًا.

أنت فخورة به جدًّا، حتى عندما اصطحب صديقته الجديدة إلى بيتك، فتاة تسمعينها كل ليلة تتأوَّه بصوتٍ عالٍ في غرفة النوم، فتاة ترينها وهي تدير عينيها في حجرة الطعام بمللٍ بينما أنتم منخرطون في تلاوة الصلاة، فتاة ضبطتها تدخن سيجارة محشوة في فناء بيتك الخلفي، لكنك لم تقولي شيئًا، تمنيت فقط لو هجرها ابنك المثالي بأسرع وقتٍ.

تخيلي أن تأتيك مكالمة من شريك ابنك في السكن يسألك عنه، يخبرك أنه لم يعد إلى البيت ولم يذهب إلى العمل، تخيلي قلقك، لأن ابنك لا يتغيب أبدًا عن العمل، تخيلي ألا يرد على اتصالاتك الكثيرة، تخيلي ذعرك بينما تمضي الساعات بلا أي خبر عنه، عادة، كنت

تشعرين بوجوده دائمًا، في هذه اللحظات لا تشعرين بشيء، قلبك ممتلئ بالخوف والخواء.

تخيلي نفسك تجرين اتصالات بكل معارف ابنك، زملاء العمل، رؤسائه، أصدقائه، كدت أن تتصلي حتى بصديقته الحمقاء التي تكرهينها، لكنك لا تملكين رقم هاتفها.

تخيلي سماعك لصوت سيارة تقترب من المنزل، تتنهدين بارتياح معتقدة أن ابنك قد عاد إلى البيت، ثم تسقطين.. تقعين على الأرض عندما ترين سيارة الشرطة تتوقف أمام منزلك، تتحاملين على نفسك وتفتحين الباب للشرطي، تسمعينه وهو يقول عبارات مشوشة: أنا آسف جدًا على خسارتك، الحادث، السيارة انقلبت، ابنك انتهى.. لم ينج.. مات.

تخيلي.. كيف لم يتوقف قلبك في نفس اللحظة؟ لم تموتي، بل بقيت مكانك طوال الليل لا تفهمين شيئًا، لا تشعرين بشيء، يجبرونك على الذهاب للتعرف على جثته، على جسده الحبيب الخالي من الحياة.

جسد أنت خلقته، نفخت فيه من روحك، نما داخلك، خرج منك، علمته المشي والكلام والجري وأن يكون لطيفًا مع الآخرين، تخيلي نفسك تلمسين جسده البارد، وجهه البارد، تتساقط دموعك على الحقيبة البلاستيكية القبيحة التي وضعوه فيها، صرختك تختنق في حلقك، صرخة صامتة مثل التي تختنق في كوابيسك، وبشكلٍ ما تظلين حية.

بشكلٍ ما تستمرين في العيش بعده، في العيش من دون الحياة التي صنعتها، تحزنين، تعجزين حتى عن الاتفاق على جنازته، تمكثين مكانك تتساءلين كيف فعل ابنك هذا بك، كيف تهور ابنك المثالي إلى هذا الحد في القيادة ليموت وحيدًا بعيدًا عن حضنك؟

أنت محطمة، لكن قلبك يستمر في النبض، مرارًا وتكرارًا، لتذكيرك بكل دقات القلب التي لن يشعر بها ابنك أبدًا. تخيلي أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، تخيلي أنه يزداد سوءًا! اعتقدت أنك لامست القاع، وصلت إلى الحضيض، لكنك كنت مخطئة، ثمّة ما هو أسوأ، منحدر جديد ستسقطين فيه عندما يخبرونك أن ابنك لم يكن وحيدًا، وأن فتاة أخرى هي من كانت تقود السيارة، هي من سارت بسرعة كبيرة جدًّا على أرضٍ غير ممهدة، تخيلي أن يخبروك بأن الخطأ خطؤها، الفتاة التي دخنت السيجارة المحشوة في فناء بيتك، ولم تغمض عينيها في أثناء الصلاة على مائدة عشائك، وتأوهت بصوتٍ عالٍ في منزلك الهادئ، هي من كانت تقود السيارة باستهتارٍ، هي من تسبَّبت في فقدانك ابنك.

تخيلي أن يخبروك بأنها بعد الحادث، خرجت من السيارة وهربت، تركت ابنك وحيدًا يصارع الموت وعادت إلى بيتها، عثروا عليها في اليوم التالي، في سريرها، مخمورة، مغطاة بالطين والحصى ودم ابنك الطاهر.

تخيلي أن يخبروك بأن ابنك المثالي لم يمُت فور وقوع الحادث، وأن نبضه كان جيدًا، وأن الأمر لم يكن ليسير على هذا النحو لو كان

اختار فتاة جيدة ليحبها، فتاة لن تتركه مضرجًا في دمائه وتهرب، لم يمت إلا بعد ست ساعات، ست ساعات حاول فيها الزحف خارج السيارة ليبحث عنك، ليطلب مساعدتك، ست ساعات نزف فيها حتى الموت.

تخيلي أن يخبروك بأن هذه الفتاة التي تأوهت بصوتٍ عالٍ ودخنت السيجارة المحشوة في فناء بيتك كان في إمكانها إنقاذه بمكالمة هاتفية واحدة، ثلاثة أرقام فقط، لكنها اختارت ألا تفعل ذلك.

ما هي قيمة خمس سنوات تقضيها هذه الفتاة في السجن مقابل ثمانية عشر عامًا ربيت فيها ابنك، وشاهدته يتقدم في حياته لأربع سنوات أخرى، كان في إمكانك أن تعيشي معه خمسين عامًا قادمة لولا دخولها حياته.

تخيلي أن تستمري في العيش بعد ذلك، تخيلي الآن تلك الفتاة، التي كنت تأملين أن يهجرها ابنك، تخيلي بعد كل الألم الذي سببته لك، تقرر أن تظهر مرة أخرى في حياتك، تخيلي أن لديها الجرأة لتطرق بابك، تبتسم في وجهك، تسألك عن ابنتها، تتوقع أن تصبح جزءًا من حياة تلك الطفلة الجميلة التي تركها لك ابنك في معجزة لم تحسبي أنها ممكنة.

فقط تخيلي أن تضطري إلى النظر في عيني الفتاة التي تركت ابنك يزحف عدة أقدام وهو ينزف وذهبت لتنام في سريرها، تخيلي ما ستقولينه لها بعد كل هذا الوقت، كيف ستودين إيذاءها.

فكرت في كل ذلك وأنا في طريقي إلى بيت جريس، كلما اقتربت منه كرهت نفسي أكثر، لم أعد متأكدة حتى من سبب وجودي هنا من دون أن أكون أكثر استعدادًا، لن يكون الأمر سهلًا، وعلى الرغم من أنني انتظرت هذه اللحظة كل يوم لمدة خمس سنوات، لكنني لم أتدرب عليها قط.

بينما يقود سائق التاكسي السيارة إلى شارع سكوتي القديم، شعرت كأنني أغرق في المقعد الخلفي، اعتراني ثِقل لم أشعر به من قبل قطُّ، وعندما لاح منزلهم أمام عيني، أصبح لخوفي صوت، حشرجة غريبة في حلقي فاجأتني، لكنها بدت كأنها صوت دموعي التي حبستها داخلي. يمكن أن تكون ديم داخل هذا المنزل الآن، عليَّ فقط عبور الساحة التي لعبت فيها، وطرق الباب الذي فتحته بيدها.

"اثني عشر دولارًا"، طلب مني السائق.

ناولته خمسة عشر دولارًا من جيبي وطلبت منه الاحتفاظ بالباقي، غادرت السيارة كأنني أطفو في الهواء، شعور غريب جعلني ألقي نظرة على المقعد الخلفي للتأكد من أنني غادرتها حقًّا. فكرت في مطالبة السائق بانتظاري لكني شعرت بأن هذا سيكون بمنزلة اعتراف بالهزيمة قبل الأوان. سأكتشف كيفية العودة إلى المنزل لاحقًا، أما في تلك اللحظة، رغبت في التشبث بالحلم المستحيل، أن تمر ساعات قبل أن يطلبوا مني المغادرة.

ابتعد السائق بمجرد أن أغلقت الباب، وتركني واقفة في الشارع على الناحية المقابلة لمنزل باتريك وجريس، لا تزال الشمس مشرقة، بدت لي كأنها معلقة في سماء غريبة.

تمنيت لو كنتُ انتظرت حتى الظلام لأنني شعرت كأنني مكشوفة، ضعيفة أمام كل ما هو على وشك الحدوث، وددت الاختباء..

أنا في حاجة إلى مزيدٍ من الوقت..

لم أتدرب حتى على ما سأقوله.. بالطبعِ تخيلت هذه اللحظة كثيرًا، لكني لم أتدرب على ما يجب أن أقوله قطّ. بات التحكم في أنفاسي أصعب وأصعب، لدرجة أنني وضعت يدي على مؤخرة رأسي وحاولت تنظيم أنفاسي، شهيق وزفير، إلى الداخل والخارج.

ستائر غرفة معيشتهم مسدلة، ما يجعلهم غير قادرين على رؤيتي خارج منزلهم، جلستُ على الرصيف لأستجمع أنفاسي لحظة قبل أن أسير إلى هناك، شعرت أن أفكاري مبعثرة أسفل قدميّ، وعليَّ أن أجمعها وأعيدها فكرة فكرة داخل رأسي، هل يجب عليَّ أن:

1. أعتذر؟
2. أعرب عن امتناني؟
3. أتوسل إليهما للصفح عني؟

كان يجب أن أرتدي ملابس أفضل، ارتديت نفس البنطلون الجينز ونفس التيشيرت المطبوع عليه كلمة "ماونتن ديو"، اللذين ارتديتهما بالأمس. لقد كانا أنظف ملابس لديَّ، لكني أوشكت على البكاء وأنا أنظر إلى نفسي، لا أريد أن ألتقي ابنتي لأول مرة بتيشيرت

حصلت عليه من حملة دعائية لمشروب غازي. كيف يمكن أن يأخذني باتريك وجريس على محمل الجد وأنا لا أرتدي حتى ملابس مناسبة، ما كان يجب عليَّ التسرع، كان يجب أن أعطي هذه اللحظة وقتًا أكثر، أفكاري جعلتني أرتبك، بدأت أشعر بالذعر، وتمنيت لو كنت أملك ولو صديقًا واحدًا بجواري.

- نيكول؟

استدرت نحو الصوت.. صوته، التقت عيناي بعيني ليدجر، في الظروف العادية، كنت سأصدم برؤيته، لكن في هذه اللحظة لم أشعر بأي شيء، حتى أفكاري تجمدت، غمرني شعورٌ باللا مبالاة قابلت به نظراته الحادة.

أمسك بذراعي: "ما الذي تفعلينه هنا؟".

- اللعنة. اللعنة. اللعنة. لا شيء. اللعنة..

نظرت خلف ليدجر فيما أفترض أنه منزله، تذكرت أن سكوتي أخبرني بأن ليدجر عاش طوال عمره في المنزل على الناحية الأخرى من منزله، لم أتوقع أنه لا يزال يعيش فيه، لم أملك أيَّ فكرة عما يجب عليَّ القيام به، وقفت بقدمين ثقيلتين ونظرت إليه، لكنه لم ينظر إليَّ، كان ينظر عبر الشارع إلى بيت سكوتي.

لمس فكه بأصابعه، وبدا على وجهه أنه فهم كل شيء، سألني بانزعاجٍ لماذا أحدق إلى هذا المنزل، ثم نظر إلى الأرض، ثم عبر الشارعَ، ثم رفع عينيه إلى الشمس، ثم بعد ذلك تلاقت أعيننا بعد أن فشلت في الإجابة عن أسئلته، بدا شخصًا مختلفًا تمامًا عن الرجل

الذي قابلته في محل البقالة اليوم، لم يعد الرجل اللطيف الذي يحاول مغازلتي وهو يجر عربة تسوقه.

- اسمك ليس نيكول.

قالها بصوتٍ محبطٍ فجفلتُ، لقد جمّع كل القطع معًا، وبدا كأنه يتمنى لو بعثرها من جديدٍ. أشار إلى منزله وسار باتجاهه بلا كلام، بطريقته الحادة والمتطلبة في إلقاء الأوامر، لم أشعر بنفسي إلا وأنا أرتجف وهو يتقدم باتجاهي ويقلل الفجوة بيننا، لفَّ ذراعه حولي وضغط بيده القوية أسفل ظهري، بدأ بدفعي إلى الأمام، وهو يشير إلى المنزل المقابل حيث توجد ابنتي.

- ادخلي قبل أن يراك أحد.

كنتُ أتوقع أنه سيجمع القطع معًا في النهاية، فقط تمنيت أن يتأخر قليلًا، ألا يمنعني وأنا على بُعد خمسة عشر قدمًا فقط من ابنتي.

ألقيت نظرة على منزله، ثم ألقيت نظرة على منزل باتريك وجريس، لا توجد طريقة للهرب منه، ولم أرد إحداث صخب أو المزيد من الدراما. كان هدفي هو الوصول بسلامٍ وسلاسة إلى هذه اللحظة، لكن يبدو أن ليدجر أراد العكس.

"من فضلك دعني وشأني" قلتها وأنا أجزُّ على أسناني..

- ليس لك شأن بكل هذا.

- "اللعنة، بل لديَّ كل الشأن" همست.

- "ليدجر من فضلك" ارتجف صوتي من الخوف والدموع.

كنت خائفة منه، خائفة من فكرة أن هذه اللحظة أصعب بكثيرٍ مما خشيت، وإلا لماذا دفعني بعيدًا عن بيتهم.

ألقيتُ نظرة إلى منزل باتريك وجريس، لكن قدميَّ استمرتا في المشي نحو منزل ليدجر، أعرف أنني سأخوض معركة، لكنني لست مستعدة لها في هذه المرحلة، كنت أعتقد أنني مستعدة لمواجهة عائلة لاندريس عندما أخذت سيارة الأجرة وأتيت إلى هنا، لكن الآن بعد أن أصبحت هنا ورأيت غضب ليدجر، أيقنت أنني بالتأكيد لست كذلك.

لست على استعدادٍ مطلقًا لمواجهتهما، هذا واضح من الدقائق القليلة الماضية، أيقنت أن وصولي ربما كان متوقعًا، وبالتأكيد ليس مرحبًا به.

على الأرجح، تم إخطارهما بإطلاق سراحي ووجودي في سكن انتقالي، كان عليهما أن يتوقعا حدوث ذلك في نهاية المطاف.

لم تعد قدماي ثقيلتين. شعرت كأنني أطفو مرة أخرى، منتشية في الهواء مثل البالون، وأنا أتبع ليدجر كما لو أنه يسحبني خلفه بخيط. شعرت بالحرج لوجودي هنا، بأنني أسير خلف ليدجر كأنني بلا حول ولا قوة، بلا صوت ولا أفكار. لم أملك ذرة ثقة في هذه اللحظة، أرتدي تيشيرت غبيًا وبنطلونًا رخيصًا، أنا غبية لأنني اعتقدت أن هذه هي اللحظة المثالية لملاقاة ابنتي.

أغلق ليدجر بابه بمجرد دخولنا غرفة معيشته. بدا مشمئزًّا، لا أعرف من رؤية وجهي أم مما حدث الليلة الماضية، سار في غرفة المعيشة ذهابًا وإيابًا وهو يضغط بكف يده جبينه.

- هل هذا هو سبب ظهورك في حانتي؟ كنت تحاولين خداعي لأقودك إليها؟

- لا.

قلتها بصوتٍ مثيرٍ للشفقة، فغطى وجهه بيديه، ثم أنزلهما وتمتم: "اللعنة عليك".

بدا غاضبًا جدًّا مني، لماذا أتخذ دائمًا أسوأ القرارات؟ ألقى بمفاتيحه على الطاولة وقال: "حضرت إلى المدينة أمس فقط، هل اعتقدت حقًّا أن هذه هي اللحظة المناسبة؟ أن تذهبي فورًا لملاقاة ابنتك؟ عمرها أربع سنوات فقط".

لففت ذراعي حول بطني المنتفخة، لم أعرف ماذا أفعل، ماذا يمكنني أن أفعل؟ يجب أن يكون هناك حلٌّ، نوعٌ من التسوية، لا يمكنهم أن يقرروا وحدهم ما هو الأفضل لديم من دون استشارتي.

هل يمكنهم؟

نعم يمكنهم..

أنا الشخص المستهتر في هذا السيناريو، كنت خائفة جدًّا للاعتراف بذلك. أردت أن أسأله عما إذا كان هناك أي شيء يمكنني القيام به لأقنعهما بالتحدث إليَّ، الاستماع إلى ما أود قوله لهما، لكن الطريقة التي حدق بها إلى وجهي جعلتني أشعر بالذنب، تساءلت عما إذا كنت في وضع يسمح لي بطرح الأسئلة.

انصبَّ تركيزه على نجمة البحر المطاطية في يدي، مشى إليَّ ومدَّ يده، فوضعتها على كفِّه، لا أعلم لماذا سلَّمته اللعبة، ربما فكرت أنه سيتعاطف معي لو رأى أنني جلبت لديم لعبة.

- فعلًا؟ عضاضة؟

ألقى اللعبة على أريكته كأنها أغبى شيء رآه في حياته.

"إنها في الرابعة من عمرها.. ماذا ستفعل بعضاضة؟!" سآخذك إلى منزلك، انتظري حتى أخرج شاحنتي من الجراج، أنا لا أريدهم أن يروك".

لم أعد أشعر أنني أطفو، شعرت بالثقل والتجمد، كأن قدميَّ التصقتا ببلاط بيته، ألقيت نظرة خاطفة من نافذة غرفة المعيشة باتجاه بيت باتريك وجريس، أنا قريبة جدًّا، كل ما يفرقنا شارع، شارع فارغ من السيارات والبشر.

من الواضح أن باتريك وجريس يرفضان وجودي، لدرجة أن ليدجر يمنعني من الذهاب إليهما، هذا يعني أنه لن يكون هناك أي تفاوض، آملت أن يغفرا لي لكنهما لن يفعلا أبدًا، سيكرهانني إلى الأبد، هما وكل شخص آخر حولهما.

الطريقة الوحيدة التي ستمكنني من رؤية ابنتي هي عبر المحكمة، وهذا لن يحدث إلا بمعجزة، وسيتكلف مالًا لا أملكه وسنوات لا أتحمَّل فكرة مرورها، لقد فاتني الكثير من الوقت بالفعل.

إذا كنت أرغب في رؤية ديم، فهذه هي فرصتي الوحيدة، أريد فرصة واحدة لاستجداء والدي سكوتي والتوسل إليهما ليغفرا لي، الآن وإلا أبدًا.

فكرت أنه ربما لن يلاحظ ليدجر أنني لن أتبعه إلى جراج منزله لمدة عشر ثوانٍ أخرى على الأقل، قد أفعلها قبل أن يلحق بي، فتسللت إلى الخارج وجريت بأسرع ما يمكن عبر الشارع.

أنا في فناء منزلهما..

أركض على العشب الذي لعبت عليه ديم..

أطرق بيدي بابهما الأمامي..

أقرع جرس بابهما..

أحاول النظر من خلال النافذة لعلِّي أرى ولو جزءًا منها..

"من فضلكما..".

همست بتوسلٍ، طرقت بقوة، تحوَّل همسي إلى استجداء مذعور بينما أسمع خطوات ليدجر وهي تقترب مني.

- أنا آسفة..

صرخت، ضربت الباب بيديَّ، صوتي مخيف..

"أنا آسفة.. أنا آسفة" صرخت بكل طاقتي..

- من فضلكما دعاني أراها!

تم سحبي، ومن ثم نقلي، إلى المنزل عبر الشارع، حتى خلال كفاحي للتخلص من ذراعيه، كنت أحدق إلى الباب الأمامي الذي بات أصغر فأصغر، على أمل لمح ابنتي ولو لنصف ثانية.

لم أرَ أي حركة في منزلهما وأنا خارجه، عدتُ إلى منزل ليدجر فألقاني على الأريكة، أمسك بهاتفه ونقر ثلاثة أرقام فقط، كان يتصل بالشرطة.

صرخت بذعر: "لا لا لا".

اندفعت عبر غرفة معيشته محاولة خطف هاتفه، لكنه دفعني في كتفي ليعيدني إلى الأريكة، جلست ودفنت مرفقيَّ في ركبتي، عضضت أصابعي المرتعشة بأسناني.

- من فضلك لا تتصل بالشرطة.. لو سمحت.

جلستُ ساكنة لأقنعه أنني لم أعُد مصدر تهديد، على أمل أن ينظر فقط إلى عينيَّ ليشعر بألمي، التقت عيناه بعينيَّ ودموعي تنهمر على خديَّ، توقف عن إكمال المكالمة وحدق إليَّ، بدا كأنه يتفحصني، يبحث في وجهي عما أنتوي فعله.

- لن أعود إلى هناك.

قلتها بتوسل، إذا اتصل بالشرطة، فلن يكون هذا جيدًا لي؛ لا يمكنني إضافة أي شيء إلى سجلي، على الرغم من أن زيارة بيتهما لا تخالف أي قوانين أعرفها، لكن مجرد وجودي في بيت رغمًا عن أصحابه يكفي ليكون ضدي.

اقترب خطوة مني: "لا يمكنك العودة إلى هناك.. اقسمي لي بأننا لن نراك مرة أخرى، أو سأتصل بالشرطة الآن".

لا أستطيع، لا أستطيع أن أعده بذلك، ماذا يوجد في حياتي لأعيش من أجله سوى ابنتي؟ إنها كل ما لديَّ، هذا لا يمكن أن يحدث.

- من فضلك..

بكيتُ، لا أعرف حتى ما الذي أتوسل إليه من أجله، أنا فقط أريد شخصًا يسمعني، يفهم ما أنا فيه من معاناة. أريده أن يكون الرجل الذي قابلته في الحانة الليلة الماضية، أريده أن يجذبني إلى صدره، ليشعرني أن لديَّ حليفًا، أريده أن يخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام، على الرغم من أنني أعرف في داخلي أن هذا لن يحدث أبدًا.

مرَّت الدقائق ضبابية ومهزومة. داخلي فوضى من العواطف، ركبتُ شاحنة ليدجر، قادها بعيدًا عن الحي الذي ترعرعت فيه ابنتي طوال حياتها. أنا أخيرًا في نفس المدينة التي تعيش فيها بعد كل هذه السنوات، لكنني لم أشعر أنني بعيدة عنها كما في هذه اللحظة، ضغطت جبهتي زجاج النافذة وأغمضت عينيَّ، تمنيت أن أبدأ من جديد، أن أعود إلى نقطة الصفر..

أو على الأقل أصل إلى النهاية فورًا..

الفصل الثاني عشر

ليدجر

من الطبيعي أن يمجد الناس الموتى بعد رحيلهم، يجعلونهم أبطالًا ونبلاء، لكني لم أحتج إلى فعل هذا بعد رحيل سكوتي، كان كل شيء قاله عنه الجميع، لطيف، مضحك، رياضي، صادق، جذاب، ابن جيد، صديق عظيم.

لا يمرُّ يوم من دون أن أتمنى لو كنتُ مت أنا وعاش هو، يمكنني التخلي عن حياتي في لحظة من أجل عودته، من أجل أن يقضي يومًا واحدًا فقط مع ديم. ربما لم أكن لأغضب إلى هذا الحد من كينا لو كانت تسبَّبت في الحادث فقط، لكنها فعلت ما هو أفظع، قادت السيارة عندما لم يتعين عليها ذلك، كانت مسرعة، كانت تشرب، قلبت السيارة ثم غادرتها، تركت سكوتي وحده، جريحًا ينزف حتى الموت، وعادت إلى بيتها، واختبأت في سريرها، اعتقدت أنها يمكن أن تفلت من العقاب.

مات سكوتي لأنها خافت على نفسها، والآن تريد المغفرة؟ لا أستطيع التفكير في تفاصيل وفاة سكوتي الآن، ليس وهي جالسة بجانبي في الشاحنة، لأنني أفضِّل أن أموت على السماح لها بالتقرب

من ديم أو معرفة أي شيء عنها، ولو كان هذا يعني أن أقفز بالشاحنة ونحن فيها من فوق كوبري، أنا غاضب بما يكفي للقيام بذلك فعلًا.

كنتُ مستاءً من وجودها، لكني أعتقد أن غضبي تضخَّم لأنها عرفتني ليلة أمس، عندما قبَّلنا بعضنا، عندما ضممتها إليَّ، يجب عليَّ ألَّا أتجاهل حدسي بعد اليوم، كان هناك شيء مريبٌ حولها، لم أتذكرها لأن شكلها اختلف عن صورها منذ خمس سنوات، كانت تملك شعرًا أشقر طويلًا. لم أرَها قطُّ، لم أقابلها شخصيًّا، لكن كان ينبغي لي أن أتذكر وجه الفتاة التي قتلت أعز أصدقائي.

أشعر بالغباء، أنا غاضب، لقد تأذيت، أشعر بأنها استغلَّتني، حتى اليوم في المتجر، كانت تعرف من أكون، لكنها لم تعطني أي تلميح عن هويتها.

فتحت نافذتي للحصول على بعض الهواء النقي، على أمل أن يهدئني ذلك، أصابعي بدت شاحبة وأن أمسك بها عجلة القيادة، بينما حدقت هي خارج النافذة من دون تعبير، ربما كانت تبكي، لا أعرف، لا أبالي.

إنها ليست الفتاة التي قابلتها الليلة الماضية، تلك الفتاة غير موجودة، هي كانت تتظاهر بأنها شخصٌ آخر، وأنا وقعت في فخها. أعرب باتريك عن قلقه منذ عدة أشهر عندما أخبرونا بأنها خرجت من السجن، علم أن هذا قد يحدث، وأنها قد تعود من أجل ديم، حتى إنني ركبت كاميرات تريني ماذا يحدث في الفناء الأمامي، هكذا رأيتها قبل أن تقتحم البيت.

أخبرت باتريك أنه من السخف أن يقلق، لن تظهر، ليس بعد كل ما فعلت، أمسكت بعجلة القيادة بقوة أكبر، كينا هي أم ديم لكن ليس من حقها المطالبة بها.

عندما وصلنا إلى شقتها، ركنت الشاحنة وأبقيت المحرك دائرًا، لكنها لم تتحرك، توقعت أنها ستقفز من جانبي قبل حتى أن أوقف الشاحنة كما فعلت الليلة الماضية، لكن يبدو أنها أرادت أن تقول شيئًا، أو ربما خشيت العودة إلى شقتها بقدر ما تخشى البقاء إلى جواري.

حدقت إلى يديها المضمومتين في حجرها، ثم مدَّت يدها لتتحرر من حزام الأمان لكنها لم تغادر، بقيت مكانها.

ديم تشبهها تمامًا، لطالما افترضت أنها تشبهها لأنني لم أرَ ملامح سكوتي في وجهها، ولكني لم أتخيل أنهما متطابقتان إلى هذا الحد، تملكان نفس الشعر البني المحمر الناعم، بلا تمويجة ولا تجعيدة واحدة، تملكان نفس الأعين.

ربما لهذا السبب انجذبت إليها الليلة الماضية، عرفها عقلي الباطن قبل أن أفعل. رفعت كينا عينيها إليَّ، فشعرت باختناق، ديم تشبهها كثيرًا وهي حزينة، شعرت كأنني أنظر إلى ديم في المستقبل، غضبت من أن أكثر شخص أكرهه في العالم يذكِّرني بأكثر شخص أحبه في العالم.

مسحت كينا عينيها، لكنني لم أناولها منديلًا، فكرت أن في إمكانها استخدام تيشيرت ماونتن ديو الذي ترتديه منذ يومين.

- لم أكن أعرفك قبل أن أذهب إلى الحانة الليلة الماضية.. أقسم..

قالتها بصوتٍ مرتجف، ثم أرجعت رأسها إلى الخلف وحدقت إلى الفراغ، أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته بينما كنت أضغط زر فتح القفل كإشارة إليها بالمغادرة.

- لا يهمني الليلة الماضية، أنا أهتم بديم فقط.

رأيت دمعة تسيل على وجنتها وصولًا إلى فكِّها، كرهت أنني أعرف طعم دموعها، كرهت هذا الجزء داخلي الذي أراد لعقها، تساءلت هل بكت وهي تغادر السيارة وتترك سكوتي للموت في تلك الليلة؟

تحركت بحزنٍ رقيقٍ، مالت إلى الأمام، ووضعت يديها على وجهها، حركتها ملأت شاحنتي برائحة شعرها، رائحته مثل الفاكهة، كأنها استخدمت شامبو برائحة التفاح، أرحت مرفقي على إطار النافذة وابتعدت عنها، غطيت فمي وأنفي بكفِّي ونظرت من النافذة، لم أرد أن أعرف شيئًا آخر عنها، لم أرد أن أعرف رائحتها، ولا طعم دموعها، ولا أن أشعر بألمها.

- لا يريدانكِ في حياتها يا كينا.

اختلط بكاؤها بلهاثها، قالت بصوتٍ بدا كأنه ممتلئ بسنواتٍ من وجع القلب: - إنها ابنتي.

أعدت الاتصال بروحها في هذه اللحظة، اخترقني صوتها المليء بالذعر واليأس، أمسكت عجلة القيادة وضغطتها بإبهامي بينما أفكر كيف يمكن أن أشرح لها الوضع.

- ديم ابنتهما، لم يعد لديك حقٌّ فيها، اخرجي من شاحنتي، ومن ثَمَّ أسدي إلينا معروفًا جميعًا وعودي إلى دنفر.

أنا لا أعرف ما إذا كان بكاؤها حتى حقيقيًا، مسحت وجنتيها ثم فتحت الباب وخرجت من الشاحنة، واجهتني قبل أن تغلق الباب، تشبه ديم تمامًا، حتى عينيها، باتت أفتح مثل عيني ديم عندما تبكي. شعرت بشيء يهتز داخلي، لكنني فكرت أن هذا فقط لأنها تشبه ديم، أنا أتألم من أجل ديم وليس من أجل هذه المرأة.

بدت ممزَّقة بين الابتعاد أو الاستجابة لي أو الصراخ، عقدت ذراعيها حول صدرها كأنها تعانق نفسها، ونظرت إليَّ بعينيها الواسعتين المحطمتين، رفعت عينيها إلى السماء لثانية واحدة، وقالت وهي تشهق دموعها: "اذهب إلى الجحيم يا ليدجر".

بحة الألم في صوتها جعلتني أجفل، لكن شيئًا لم يبد على ملامحي، لم تصرخ أو تصيح، فقط أغلقت الباب بعنفٍ ثم خبطت بكفيها على النافذة.

"اذهب إلى الجحيم!".

لم أنتظر منها أن تقولها للمرة الثالثة، قدتُ الشاحنة في الاتجاه المعاكس وعدت إلى الشارع، تقلَّصت معدتي كأنها تحيطها بقبضتها، كلما ابتعدت عنها شعرتُ بانهيارها أكثر.

لا أعرف ما الذي كنت أتوقعه. لسنواتٍ، اعتقدت أن هذه الفتاة غير نادمة على ما فعلته، غير مهتمة بالطفلة التي جلبتها إلى العالم، ليس من السهل التخلي عن خمس سنوات من الأفكار المسبقة الراسخة.

كان لكينا تخيّل واحد في ذهني، امرأة غير مبالية، قاسية، لا تستحق الشفقة، لا يمكن أن أقتنع بأنها تملك ذرة عاطفة نحو ديم بعد كل ما فعلته في سكوتي، كيف تؤتمن على حياة طفلة وهي لم تحترم حياة سكوتي؟

قدتُ سيارتي مبتعدًا، وأنا أفكر في كل ما كان عليَّ أن أقوله لها، في مليون سؤال كان يجب عليَّ طرحه عليها، لماذا لم تطلب المساعدة؟ لماذا تخلَّت عن سكوتي؟ لماذا تركته ينزف حتى الموت؟ لماذا تعتقد أنها تستحق الغفران من الأشخاص الذين دمَّرت حياتهم؟ لماذا ما زلت أريد ضمها إليَّ؟

الفصل الثالث عشر

كينا

أشعر كأنني أعيش أسوأ سيناريو كان يمكن أن يحدث، ليس فقط لأنني لم أقابل ابنتي اليوم، ولكن لأن الشخص الوحيد الذي كان يمكن أن يساعدني، هو في الحقيقة عدوي الأول.

أنا أكرهه، أكره أنني سمحت له بلمسي الليلة الماضية، أكره الوقت القليل الذي قضيته معه، أعطيته كل الحجج ليراني كاذبة وعاهرة ومدمنة على الكحول، كأن القتل لم يكن كافيًا.

بالتأكيد سيذهب ليحكي كل شيء لجريس وباتريك، ليكرهاني أكثر، سيساعدهما في بناء حاجز أكبر وأكثر ثباتًا بيني وبينهما، جدار سميك يحول بيني وبين ابنتي، وأنا وحيدة.. بلا أحدٍ في صفي.. بلا شخصٍ واحدٍ إلى جواري.

- أهلًا.

قاطعني صوتُها وأنا في منتصف الطريق إلى شقتي، فتاة مراهقة تجلس على الدرج، لديها متلازمة داون، تبتسم لي، ابتسامتها رائعة، كأن هذا ليس أسوأ يومٍ في حياتي، ترتدي نفس القميص الذي ترتديه إيمي في محل البقالة، ففهمت أنها بالتأكيد تعمل هناك، قالت إيمي إنهم يوظِفون المراهقين من ذوي الاحتياجات الخاصة.

مسحتُ دموعي من على خدي، وتمتمت: "مرحبًا".

تجاوزتها بسرعة، وأكملت صعودي إلى شقتي، عادة ما أبدي ودًا أكبر لأتقرب من الناس خاصة إذا كنت سأعمل معهم في نفس المكان، لكني لم أملك سوى الكثير من الدموع في حلقي بدلًا من الكلمات.

فتحتُ باب شقتي، وبمجرد دخولي، أغلقته وألقيت نفسي فوق مرتبتي نصفَ المفرغة من الهواء، لا أستطيع حتى أن أقول إنني عدتُ إلى المربع رقم واحد، أشعر كأنني في المربع الصفر أو سالب واحد.

انفتح الباب فور أن جلست، ودخلت الفتاة التي كانت تجلس على الدرج بيتي دون دعوة.

- لماذا تبكين؟

قالت وهي تغلق الباب خلفها وتستند إليه، بينما تتفحص شقتي بأعين فضولية.

- لماذا ليس لديك أي أشياء؟

على الرغم من أنها دخلت للتوِّ من دون إذن، فإنني كنتُ حزينة جدًّا حتى لأنزعج من ذلك، بدا أنها لا تملك حدودًا للتعامل مع البشر، فلم أعترض على تبادل الحديث معها.

- لقد انتقلت للتوِّ.

قلتُ، موضحة لها افتقاري إلى الأشياء. سارت الفتاة إلى الثلاجة وفتحتها، لترى العلبة نصف المأكولة من مطعم Lunchables التي تركتها هذا الصباح، التقطتها وسألتني: "هل يمكن أن آكل هذا؟".

على الأقل انتظرت الإذن قبل أن تأكل!

- بالتأكيد.

أخذت قطعة من الساندوتش، وفجأة اتسعت عيناها وهي تلقي به على الطاولة، صرخت: "أوه، لديك قطة!".

انحنت لتحمل القطة، وهي تكمل: "أمي لا تسمح لي بالحصول على قطة صغيرة، هل حصلت عليها من روث؟".

في أي وقتٍ آخر، كنت سأرحب بها، وأتبادل الحديث معها، لكني كنت أضعف من أن أكون ودودة في واحدة من أسوأ لحظات حياتي، كنت في حاجة إلى انهيارٍ لائقٍ، ولا يمكنني فعل ذلك وهي أمامي.

- هل يمكنك الذهاب من فضلك؟

قلتها بلطفٍ قدر الإمكان، لكنها لم تسمعني حتى، أكملتْ: "ذات مرة عندما كنتُ في الخامسة من عمري، أنا الآن في السابعة عشرة، لكن عندما كنتُ في الخامسة، كان لديَّ قطة، ثم أصيبت بالديدان وماتت".

- أنا أسفة.

لم تغلق الثلاجة حتى، كانت تداعب القطة وتسأل: "ما اسمها؟".

- أنا لم أسمّها بعد، ألم تسمعيني أطلب منك المغادرة؟

- لماذا أنت فقيرة جدًا؟

- لماذا تعتقدين أنني فقيرة؟

- ليس لديكِ أي طعام أو سرير أو أشياء.

- لقد كنت في السجن.

قلتها على أمل أن يخيفها ذلك فترحل وتتركني، لكنها لم تبدِ أيَّ تعبير.

- أبي في السجن، هل تعرفينه؟

- لا.

- لكني لم أخبرك حتى باسمه.

- كنت في سجنٍ خاص بالنساء فقط.

- ايبل داربي، هذا اسمه، هل تعرفينه؟ لماذا تبكين؟

نهضتُ من الفراش، وسرتُ إلى الثلاجة وأغلقتها.

- هل جرحك أحد؟ لماذا تبكين؟

لم أصدق أنني أتبادل الحديث مع هذه الفتاة، شعرت أن مجرد تبادل الحديث يظهرني بخيرٍ كأنني لست مجرد امرأة مثيرة للشفقة، كأنني أملك الطاقة لتسلية مراهقة غريبة دخلت شقتي من دون إذني، لكني في نفس الوقت شعرتُ ببعض الرضا لأقول بصوتٍ عالٍ:

- لديَّ ابنة ولا أستطيع رؤيتها.

- هل هي مخطوفة؟

أردتُ أن أقول نعم، لأنه في بعض الأحيان كنت بالفعل أشعر بهذا، لكني قلت: "عاشت ابنتي مع أناس آخرين في أثناء تواجدي في السجن، ولكن الآن بعدما خرجت، لا يريدونني أن أراها.

- لكن هل تريدين أنتِ ذلك؟

- نعم.

قبّلت القطة على رأسها، وقالت: "إذن يجب أن تكوني سعيدة بهذا الشعور، أنا لا أحب الأطفال، لأن أخي يضع الفول السوداني في حذائي أحيانًا، ما اسمك؟".

- كينا.
- أنا ليدي ديانا.
- هل هذا حقًّا اسمك؟
- لا، اسمي لوسي، لكني أفضِّل ليدي ديانا.
- "هل تعملين في محل البقالة؟"سألتها مشيرة إلى قميصها.

أومأت برأسها بنعم، فقلت: "سأبدأ العمل هناك يوم الاثنين".

- لقد عملت هناك لمدة عامين تقريبًا، أنا أدخر المال لشراء جهاز كمبيوتر، ولكني لم أدخر أي شيء حتى الآن.. سأذهب إلى تناول العشاء".

ناولتني القطة، وبدأت في السير نحو باب منزلي.

- أملك بعض الألعاب النارية، عندما يحل الظلام في وقتٍ لاحقٍ، هل تريدين أن تشعليها معي؟

اتكأت على عداد البيت وتنهدت، لم أرد أن أقول لا، لكني شعرت أنني سأظل منهارة حتى الصباح على الأقل.

- ربما في وقتٍ آخر..

غادرت ليدي ديانا شقتي، فأغلقت الباب بالمفتاح هذه المرة، ثم أحضرت دفتر مذكراتي لأكتب رسالة إلى سكوتي، لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجعلني أستعيد تماسكي.

عزيزي سكوتي،

كنت أتمنى لو أني أكتب لك اليوم لأخبرك كيف تبدو ابنتنا، لكني ما زلت لا أملك أي فكرة، ربما هو خطئي لأنني لم أخبر ليدجر من أكون الليلة الماضية، بالتأكيد اعتبرني مخادعة عندما أدرك من أنا اليوم. لم أتمكن حتى من رؤية والديك بسببه؛ غضب جدًّا بمجرد رؤيتي أقف أمام باب بيتهما، أردت فقط أن أرى ابنتنا، أردت فقط أن أنظر إليها، لم أذهب لآخذها منهم، لكني لا أعتقد أن ليدجر أو والديك يفهمون ما هو معنى أن تحمل طفلًا بأحشائك لأشهر، ثم ينتزعونه منك قبل حتى أن تراه ولو لثانية.

تعرف.. بعض المسجونات يتمكَّنَّ من الاحتفاظ بأطفالهن في السجن إذا كنَّ على وشك الانتهاء من فترة عقوبتهن، أو عندما تكون المدة أقصر، يحدث هذا في أحيان نادرة.

في حالتي، كنت قد بدأت للتوِ فترة عقوبتي، لذا لم يسمحوا لي بالاحتفاظ بها، كانت طفلة مبتسرة، أنجبتها قبل موعدها، وبمجرد ولادتها، لاحظوا أن تنفسها لم يكن طبيعيًّا فنقلوها على الفور بعيدًا عني، ربما إلى الحضّانة، أعطوني بعض الأسبرين وفوطًا صحية كبيرة الحجم وأعادوني إلى السجن بأذرع فارغة، ورحم فارغ.

أحيانًا يسمحون للسجينات بضخ الحليب وتخزينه وتسليمه لتغذية أطفالهن، لكني لم أحظَ حتى بذلك، لم يسمحوا لي بضخ الحليب، لم يسمحوا لي بأي شيء يمكن أن يساعد حليبي على عدم الجفاف.

بعد خمسة أيام من ولادة ديم، كنتُ في مكتبة السجن، أبكي في الزاوية لأن حليبي بلَّل ملابسي، وكنتُ لا أزال مدمرة عاطفيًا ومنهكة جسديًا عندما قابلت إيفي، سجينة قديمة تعرف كل الحراس وكل القواعد وما يمكنها فعله لخرقها من دون عقاب، رأتني أبكي وأنا ممسكة بكتابٍ عن اكتئاب ما بعد الولادة، ثم رأت قميصي المبلل على صدري، فأخذتني إلى الحمام وساعدتني على تنظيف نفسي، طوت بعض المناشف الورقية في مربعات وناولتني إياها الواحدة بعد الأخرى لأضعها في طبقات داخل صديريتي، سألتني: ولد أم بنت؟

- بنت.
- ماذا سميتها؟
- ديم.
- هذا اسم جيد، اسم قوي، هل هي بصحة جيدة؟
- كانت مبتسرة، لذا أخذوها فور ولادتها، لكن الممرضة قالت إنها بخير.

جفلت إيفي عندما قلت ذلك، سألت: سوف يسمحون لك برؤيتها؟

- لا، لا أعتقد ذلك.

هزَّت إيفي رأسها، ولم أكن أعرف طريقتها في ترجمة كلامها إلى هزات رأس مختلفة، لكني تعلمتها بعد ذلك، في هذا اليوم هزَّت رأسها بمعنى: "هؤلاء الأوغاد".

بعد ذلك، ساعدتني في تجفيف قميصي، وعندما عدنا إلى المكتبة جلست إلى جواري، وقالت: "هذا ما ستفعلينه، سوف تقرئين كل كتاب في هذه المكتبة، هذا سيجعلك قادرة على الهرب إلى العوالم الجميلة داخل هذه الكتب، بدلًا من البقاء في عالم السجن الكئيب".

لم أكن قارئة جيدة، فلم تعجبني خطتها، أومأت برأسي، لكنها فهمت أنني لا أستمع إليها، فسحبت كتابًا من على الرف ووضعته في يدي: "نعم، أخذوا طفلتك منك، ثم؟ هل ستعيشين في حزنك أم ستموتين فيه؟ قرري الآن".

شعرت بسؤالها مثل مطرقة هوت على بطني، بطني التي لم تعد تحوي ابنتي، حديثها لم يكن حماسيًا، على العكس، لم تخبرني حتى إنني سأتجاوز ذلك، أو أن الأمور ستصبح أسهل، كانت تخبرني أن الحزن سيظل ملازمًا لي، سيصبح شعوري الطبيعي، وكان عليَّ إما أن أتعلَّم التعايش معه وإما أدعه يلتهمني.

ابتلعت ريقي، وقلت: "سأعيش فيه".

ابتسمت إيفي وضغطت ذراعي: "ها أنت ذا.. يا ماما..".

لا تعرف إيفي ذلك، لكنها أنقذتني في ذلك اليوم بصراحتها القاسية، كانت محقة، لم أعد نفس الشخص من حينها، لم أعد نفس الشخص منذ فقدانك ومنذ انتزع والداك ابنتي من حضني، صرت امرأة أخرى، بائسة، نفس البؤس المهزوم الذي أشعر به اليوم. لا يملك ليدجر أي فكرة عما فعله معي اليوم، لقد كسرني، كسر البقية الباقية مني. وليس لدى إيفي فكرة عما فعلته معي في تلك الليلة منذ خمس سنوات، لقد أنقذتني، جمعت القطع الباقية مني، إلى اليوم، ما زالت تنقذني بشكلٍ ما.

ربما سأسمي القطة إيفي..

حبي،

كينا

الفصل الرابع عشر

ليدجر

تلقيت ثلاث مكالمات من باتريك في أثناء عودتي إلى المنزل، لكني لم أجِب أيًا منها لأنني كنت غاضبًا جدًّا من كينا لدرجة أنني لم أتمكن من الرد على الهاتف، كنت آمل أن عائلة لاندريس لم تسمعها وهي تضرب باب بيتهم، لكن من الواضح أنهم فعلوا.

وجدتُ باتريك في انتظاري في فناء منزلي بمجرد عودتي، تحدَّث قبل أن أخرج من الشاحنة: "ماذا تريد هذه الفتاة؟ جريس في حالة مزرية، هل تعتقد أنها هنا لنزع الحضانة؟ قال المحامي إن هذا غير ممكن".

ظل يمطرني بالأسئلة وهو يتبعني إلى الداخل، رميت مفاتيحي على الطاولة وقلت: "لا أعلم يا باتريك".

- هل يجب أن نحصل على أمر تقييدي؟
- لا أعتقد أن لديك أسبابًا للقيام بذلك، هي لم تهدد أحدًا.

استند إلى المائدة، وبدا كأنه أكبر سنًّا وأصغر حجمًا، سكبت له كوبًا من الماء وناولته إياه، شربه كله ثم جلس على أحد مقاعد الحانة ووضع رأسه بين يديه.

- آخر شيء تحتاج إليه ديم هو أن تكون تلك المرأة في حياتها، بعد ما فعلته لسكوتي... لا نستطيع...".

- لن تظهر هنا مرة أخرى؛ هددتها باستدعاء الشرطة.

بدا كأن كلامي أقلقه أكثر، قال: "لماذا؟ هل أخبرتك أنها ستأخذها منَّا؟ أو أن سجلها نظيف في حال استطاعت أن تنقل الأمر إلى المحكمة؟".

- إنها تعيش في حفرة صغيرة، أشك في أن لديها المال لتوظيف محام.

- هل تعيش هنا؟

- نعم، لا أعرف منذ متى تخطط لذلك.

- تبًّا، تمتم، هذا سوف يدمر جريس، لا أعلم ماذا أفعل.

لم أملك أي نصيحة له. بقدر ما أنا منخرط في حياتهم، لكنني كذلك لست والد ديم، لم أربِّها منذ ولادتها، هذه ليست معركتي، على الرغم من أنني بطريقة ما ورطت نفسي فيها. قد لا يكون لديَّ رأي قانوني، لكن لديَّ آراء قوية حول الموقف بأكمله، لا يوجد نهاية سعيدة لأي طرفٍ في هذه القصة، لكن الحقيقة الواضحة أن كون كينا جزءًا من حياة ديم هو امتياز كونها أمها، لكنها فقدت هذا الامتياز في الليلة التي قررت فيها أن حريتها أهم من حياة سكوتي.

جريس ليست قوية بما يكفي لمواجهة كينا، قد لا يكون باتريك قويًّا بما يكفي أيضًا، لكنه على الأقل يحرص على التظاهر بذلك أمام جريس، لا يتصرف بهذا التوتر أبدًا أمامها، ينفض هذا الجانب

عن نفسه في اللحظات التي يصبح فيها موت سكوتي مؤلمًا أكثر من اللازم، يهرب إلى مكانٍ بعيدٍ ويبكي وحده. في بعض الأحيان أستطيع أن أراهما على وشك الانهيار، بالذات في شهر فبراير، شهر عيد ميلاد سكوتي، ولكن بعد ذلك، يأتي عيد ميلاد ديم في شهر مايو ليعيد إليهما الحياة من جديدٍ.

هذا ما تحتاج كينا إلى فهمه، جريس وباتريك لا يزالان على قيد الحياة فقط بسبب ديم، إنها الخيط الذي يمنعهما من التفكك، ليس هناك مكانٌ لكينا في هذه الصورة. يمكن أن نغفر بعض الأمور، ولكن في بعض الأحيان يكون الأمر مؤلمًا جدًّا لدرجة أنه لا يزال يقتل أشخاصًا بعد مرور سنوات كثيرة، باتريك وجريس متماسكان لأنني وديم نساعدهما على نسيان ما حدث لسكوتي بشكلٍ ما يكفي ليتمكنا من تجاوز اليوم بيومه، ولكن إذا ظهرت كينا، سيصفعهما موته على وجهيهما كل يوم مرارًا وتكرارًا.

أغلق باتريك عينيه، ووضع يديه أسفل ذقنه كأنه يتلي صلاة صامتة، انحنيت على الطاولة مقتربًا منه، وقلتُ بصوتٍ حاولت أن أجعله مطمئنًا: "ديم آمنة الآن؛ كينا خائفة جدًّا من استدعاء رجال الشرطة، ومفلسة جدًّا لبدء معركة قانونية على الحضانة، أنا متأكدٌ أنها ستقلص خسائرها وتعود إلى دنفر الليلة".

ظلَّ باتريك محدقًا إلى الأرض لمدة عشر ثوان، استطعتُ أن أرى الهمَّ كأنه كتلٌ صخرية على كتفيه، قال: "آمل ذلك".

توجَّه إلى الباب الأمامي، وبمجرد مغادرته أغلقت عينيَّ وزفرت. كل ما قلته له لأطمئنه مجرد كذب، بناء على ما أعرفه حتى الآن عن كينا -مهما كانت معرفتي قليلة- أُنا متأكد أن هذا لم ينتهِ بعد.

قال رومان، وهو يتناول الكأس مني ويبدأ في سكب البيرة لعميلٍ طلبها ثلاث مرات حتى الآن: "تبدو مشتَّت الذهن، ربما يجب أنْ تأخذ استراحة، أنت تبطئنا".

- أنا بخيرٍ.

يعرف رومان أنني لستُ بخيرٍ، في كل مرة أنظر إليه، كنت أراه وهو يراقبني، يحاول معرفة ما يحدث معي. حاولت العمل لساعة أخرى، لأنها ليلة السبت المزدحمة على الرغم من أن لدينا نادلًا ثالثًا في ليالي السبت، لكن رومان على حقٍّ، كنت أبطئ العمل وأجعل الأمر أسوأ، لذلك ذهبت في النهاية لأحظى بقسطٍ من الراحة.

جلستُ على درجات الزقاق، وتطلَّعتُ إلى السماء، تساءلت ماذا كان سكوتي ليفعل الآن بحق الجحيم، كان عاقلًا وهادئًا، لا أعتقد أنه حصل على ذلك من والديه، أو ربما فعل ذلك، لا أعرف، ربما يكون من الصعب التفكير بعقلٍ هادئ وقلبٍ كسيرٍ.

انفتح الباب من خلفي، نظرت من فوق كتفي، ورأيت رومان يخرج ليجلس إلى جواري، لم يقل شيئًا، هذه طريقته في فتح المجال لي للتحدث.

- كينا عادت.

- والدة ديم؟

- نعم.

- اللعنة!

فركتُ عينيَّ بأصابعي لتخفيف الصداع الذي كان يتراكم طوال اليوم، قلت: "كدت أمارس الجنس معها أمس في شاحنتي، بعد إغلاق الحانة."

لم يظهر رد فعل فوري على ذلك، فقط حدق إلى وجهي ثم وضع يديه على وجهه، ثم انتفض من جواري واقفًا في الزقاق وحدق إلى قدميه كأنه يحاول استيعاب ما قلت.

- ماذا؟

بدا مصدومًا مثلي عندما فهمت ما حدث بعد أن رأيت كينا واقفة أمام منزلي، أردف: "كنتُ أعتقد أنك تكرهها".

- لم أكن أعرف أنها هي.

- كيف لك ألا تعلم؟ كانت حبيبة صديقك المفضل، أليس كذلك؟

- لم أقابلها قطُّ، رأيت صورتها مرة واحدة، لكنها كانت تملك شعرًا أشقر طويلًا في ذلك الوقت، بدت مختلفة تمامًا.

- واو، هل عرفت من أنت؟

ما زلت لا أعرف الإجابة عن ذلك، لذلك اكتفيت بهز كتفيَّ، لم تبد متفاجئة برؤيتي خارج منزلي، بدت مستاءة.

- ظهرت وحاولت مقابلة ديم اليوم. والآن... أنا..

هززتُ رأسي. وأكملتُ: "لقد ضاجعتها يا رومان، يجب ألا يعرف باتريك وجريس هذا".

- هل لديها أي حقوق كوالدة؟

- تم إنهاء حقوقها بسبب طول سجنها، كنَّا نأمل فقط ألا تظهر وترغب في أن تكون جزءًا من حياة ديم، أعني، لقد خافا، كلنا فعلنا، أعتقد أننا فقط افترضنا أنها لن تجرؤ.

تنحنح رومان محاولًا الكلام، ثم قال: "لكن، لكي نكون منصفين، هذه هي المرأة التي أنجبت ديم، أعتقد أن هذا من حقِّها".

يحب رومان لعب دور محامي الشيطان، يطرح دائمًا وجهة النظر الأخرى، لا يفاجئني أنه يفعل ذلك الآن.

- ما هي الخطة؟ هل سيسمحان لـ ديم بمقابلة والدتها؟ هل سيخبرانها أنها تريد رؤيتها؟

- سيكون الأمر صعبًا جدًّا على باتريك وجريس إذا دخلت كينا حياتهما.

- وكيف ستشعر كينا حيال ذلك؟

- أنا لا أهتم فعلًا بما تشعر به كينا، لا يجب أن يضطر والدان إلى قبول زيارة قاتلة ابنهما.

- قاتلة؟ هذا قاس قليلًا، نعم أفعالها أدَّت إلى وفاة سكوتي لكنها لم تقتله بدمٍ باردٍ.

ركل حصاة عبر الرصيف، وأكمل: "بصراحة، اعتقدت دائمًا أن الحكم كان قاسيًا جدًّا عليها".

لم يعرف رومان سكوتي قطُّ، لم أقابله إلا بعد موته، يعرف القصة فقط، يعرف أيضًا مدى حزننا جميعًا حتى بعد مرور خمس سنوات، لكنه تجرَّأ على قول ما قاله لي على التوِّ، كدت ألكمه، لكنه مجرد رومان، محامي الشيطان، الجاهل.

- ماذا حدث عندما ظهرت؟ ماذا قالا لها؟

- لم تصل إلى هذا الحد، اعترضتُها في الشارع وأجبرتها على دخول بيتي، ثم أخبرتها أن تعود إلى دنفر.

وضع رومان يديه في جيبيه، راقبت وجهه، كأنني أنتظر حكمه عليَّ. سألني: متى حدث ذلك؟

- منذ بضع ساعات.

- أنت قلق عليها؟

- من؟ ديم؟

هزَّ رأسه بضحكة صغيرة، كأنني أتظاهر بالغباء. وقال: "أنا أتحدث عن كينا، هل لديها عائلة هنا؟ أصدقاء؟ هل تركتها بمفردها بعد أن طلبت منها المغادرة؟".

وقفت ونفضت ظهر بنطالي الجينز: "أعرف أنها منهارة، لكنها ليست مشكلتي، على الأقل هذا ما أقوله لنفسي باستمرار".

- ربما يجب عليكِ أن تذهب إلى الاطمئنان عليها.

- لا أريد الاطمئنان عليها.

بدا رومان محبطًا وهو يقول: "اعتقدت أنك أفضل من ذلك".

شعرتُ بقلبي يدق في حلقي، لا أعرف إذا كنت مستاءً منه أكثر أو من كينا، اقترب رومان إليَّ، وقال: "إنها تعيش بذنب موت شخص كانت تحبه، كما لو أن ذلك ليس صعبًا بما فيه الكفاية، ذهبتْ إلى السجن بسبب ذلك، وأُجبرت على التخلي عن طفلها، وها هي تظهر مرة أخرى على أمل مقابلتها، ثم تقابلها أنت وتفعل ما فعلته معها في شاحنتك، ثم تمنعها من الاجتماع بابنتها، وتخبرها أن تبتعد، لا عجب أنك كنت مرتبكًا طوال الليل".

سار عائدًا إلى الحانة، ولكن قبل أن يدخل استدار نحوي مرة أخرى، وقال: "أنت سبب بقائي على قيد الحياة إلى اليوم يا ليدجر، أعطيتني فرصة عندما تخلى عني الجميع، ليس لديك فكرة عن قدرك في عينيَّ، لكن الآن، يصعب عليَّ حتى النظر إليك، أنت تتصرف مثل الأوغاد".

عاد رومان إلى داخل الحانة، بينما بقيت واقفًا محدقًا إلى الباب المغلق، حتى كدت أفقد توازني وأصطدم به، اللعنة!

بدأت بالسير في الزقاق، كلما أسرعت، شعرتُ بالذنب، لقد كنت في صف باتريك وجريس بشكلٍ لا لبس فيه منذ اليوم الذي اكتشفت فيه ما حدث لسكوتي، لكن في تلك الثواني بين كلمات رومان وقراري التالي، زاد شعوري بعدم الارتياح عن كل شيء.

هناك احتمالان يدوران في رأسي الآن، الأول هو أن كينا هي ما أتخيله دومًا عنها، امرأة أنانية، ظهرت فقط لأنها لا تفكر إلا في نفسها، ولا تعبأ بما سيفعله وجودها لباتريك وجريس، أو حتى ديم.

الاحتمال الثاني هو أن كينا أمٌّ حزينة محطمة، تتألم بسبب حاجتها الشديدة إلى رؤية طفلها، وتريد أن تراها بالشكل الصحيح، وإذا كان هذا هو الحال، لا أعرف إن كنت سأسامح نفسي على الطريقة التي تعاملت بها معها الليلة.

ماذا لو كان رومان على حقٍّ؟ ماذا لو كنت قد مزقت كل ذرة من الأمل داخلها؟ إذا كان الأمر كذلك، فكيف هي الآن؟ وحدها في شقة فارغة بلا مستقبل تتطلَّع إليه؟ هل يجب أن أكون قلقًا؟

هل يجب عليَّ الاطمئنان عليها؟

تمشيت في الزقاق خلف الحانة لعدة دقائق أخرى، ثم سألت نفسي أخيرًا السؤال الذي كنت أتجنَّبه؟ ماذا كان سيفعل سكوتي لو كان في مكاني؟

لطالما رأى سكوتي الأفضل في الناس، حتى في أولئك الذين فشلت في رؤية أي خير منهم، إذا كان هنا، يمكنني أن أتخيل كيف كان سيفعل، ماذا كان سيقول بكل عقلانية..

"لقد كنت قاسيا جدًّا، ليدجر؛ كل شخص يستحق الشفقة".

"ليدجر، لن تقدر على مسامحة نفسك إذا انتحرت الفتاة".

"ليدجر..".

"اللعنة" غمغمت.. "اللعنة، اللعنة، اللعنة..".

لا أعرف شخصية كينا على الإطلاق، رد فعلها منذ ساعاتٍ يمكن أن يكون مجرد تمثيل دراماتيكي، لكنها يمكن أيضًا أن تكون

صادقة، يمكن أن تكون في أسوأ حال الآن، لا أستطيع النوم وأنا أتخيلها كذلك.

شعرتُ بعدم الاستقرار والإحباط وأنا أركب شاحنتي لأعود إلى بيتها، وبمجرد وصولي، رأيتها، ربما كان يجب أن أشعر بالارتياح لأنني أدركت لحظتها أن رومان كان مخطئًا، لكنني شعرتُ بالغضب.

كينا ليست مختبئة داخل شقتها، إنها في الخارج تنظر كأنها لا تهتم بهذا العالم، تلعب بألعابٍ نارية لعينة مع فتاة، تركضان على العشب كأنها طفلة وليست امرأةً محطمة كانت تبكي منذ ساعاتٍ كأن عالمها قد انهار.

لم ترني لأنها كانت تعطي ظهرها لساحة انتظار السيارات، لم تلحظ أنني وقفت لعدة دقائق، أراقبها تضيء شعلة أخرى للفتاة، التي تشرع بعد ذلك في قذفها بسرعة جنونية إلى الأعلى لتترك وهجًا مضيئًا ثم تختفي، لكن بمجرد أن تصبح كينا بمفردها، تضغط كفيها على عينيها وتميلها مواجهة السماء، تقف هكذا لبضع ثوان، ثم تمسح عينيها بقميصها.

وبمجرد ظهور الفتاة مرة أخرى تبتسم كينا، ثم تختفي الفتاة، فيرتد وجه كينا إلى العبوس، بدا كأنها تشغِّل ابتسامتها ثم توقفها مثل شريط فيديو، وأنا لم أحب ذلك، لم أحب أنها تتظاهر بالسعادة أمام الفتاة رغم حزنها، ربما كان رومان على حقّ.

عادت الفتاة مرة أخرى، وسلَّمت لها شعلة أخرى فأضاءتها، ثم نظرت كينا إلى الخلف ورأت شاحنتي، بدا جسدها كأنه يتضاءل،

لكنها أجبرت نفسها على الابتسام للفتاة، ودفعتها إلى التجول حول المبنى، بمجرد أن ذهبت الفتاة مرة أخرى، بدأت كينا في السير باتجاهي.

بدا واضحًا أنني كنت أقف هنا لأراقبها، لم أحاول حتى إخفاء ذلك، فتحت باب الشاحنة بمجرد اقترابها فصعدت إلى الداخل، وأغلقت الباب.

- هل أنت هنا بأخبارٍ جيدة؟

استدرت إليها وهززتُ رأسي نافيًا، ففتحت الباب وبدأت في الخروج.

- انتظري يا كينا.

توقفت، ثم أغلقت الباب وبقيت في شاحنتي، بدت هادئة جدًّا، رائحتها مثل البارود والكبريت، ثمّة طاقة غريبة داخل هذه الشاحنة واضحة للغاية حتى توقعت أن تنفجر بنا، لكن لم يحدث شيء، لم يتكلم أحدٌ. أخيرًا تنحنحت محاولًا دفع الكلام خارج حلقي، سألتها: "هل ستكونين بخيرٍ؟".

بدا صوتي قادمًا من أسفل طبقات من الحجارة الباردة، كأنني أغصب نفسي على السؤال، فحاولت كينا الخروج من الشاحنة مرة أخرى، لكنني أمسكت بمعصمها، فنظرت في عينيَّ، كررتُ سؤالي: "هل ستكونين بخيرٍ؟".

حدقت إلى وجهي بعينيها المتورمتين المحمرتين، وهزَّت رأسها بارتباكٍ: "أنت... هل أنت هنا لأنك خائفٌ من أن أقتل نفسي؟".

لا أحب كيف بدا كأنها على وشك أن تضحك من قلقي، قلت محاولًا أن أعيد صياغة سؤالها: "نعم، أنا.. أردت التأكد من أنك بخيرٍ".

أمالت رأسها قليلًا إلى اليمين، ثم أدارت جسدها بالكامل لتواجهني في مقعدها. قالت: "هذا ليس كل شيء، أنت قلقٌ لأنني إذا انتحرت ستعيش بذنبي، لأنك تعرف أنك كنت قاسيًا للغاية عليَّ، لهذا السبب عدت، أنت لا تهتم إذا قتلت نفسي فعلًا.. أنت فقط لا تريد أن تكون الدافع إلى قراري".

ارتجف جسدها، وضحكت ضحكة غريبة، قالت: "لا تقلق، لقد اطمأننت عليَّ، أرِح ضميرك، وداعًا".

استدارت كينا لتفتح بابها، فظهرت الفتاة التي كانت تلهو معها فجأة وهي تضغط أنفها بزجاج الشباك، قالت كينا: "افتح الشباك".

أدرتُ مفتاحي حتى أتمكن من إنزال الزجاج، فأدخلت الفتاة رأسها إلى الداخل وهي تبتسم لنا، سألتني: "هل أنت والد كينا؟".

لم أتمكَّن من مقاومة الضحك على سؤالها، ضحكت كينا أيضًا، تملك ديم ابتسامة سكوتي وضحكته، أما ضحكة كينا فلا مثيل لها، لم أسمع أيّ ضحكة تشبهها، ورغبت أن أسمعها مرة أخرى.

أجابت كينا الفتاة بأنني بالتأكيد لست والدها، ثم نظرت إليَّ وهي تقول: "إنه الرجل الذي أخبرتكِ عنه سابقًا، الذي يمنعني من رؤية ابنتي".

فتحت كينا بابها، وقفزت إلى الخارج، أغلقت باب شاحنتي، لكن الفتاة أدخلت رأسها مرة أخرى من نافذة الراكب، وقالت: "وغد".

أمسكت كينا بيد الفتاة وجذبتها بعيدًا عن الشاحنة، قالت: "تعالي يا ليدي ديانا، إنه ليس صديقًا لنا".

ابتعدت كينا مع الفتاة من دون أن تنظرا إلى الوراء، شعرت أن عقلي يذوب، مهما كنت أريد أو لا أريد أن أمارس الجنس معها، فلست متأكدًا أنني قادرٌ على أن أكون إلى جانبها حتى لو أردت ذلك؛ الوضع كله معقدٌ ومتشابك، الكثير من الزوايا والأفكار ووجهات النظر، اختيار أحد الجانبين سيكون بداية السقوط لنا جميعًا.

الفصل الخامس عشر

كينا

إليكم الوضع..

لا يهم إذا كنتُ الأم المثالية أم لا، لا يجب أن يهم إذا كنت قد ارتكبت خطأ فظيعًا واحدًا في الماضي، أو الكثير من الأخطاء الصغيرة؛ إذا أرادت أمٌّ أن ترى طفلها، فيجب أن يُسمح لها برؤيته، حتى لو لمرة واحدة فقط.

أعلم من التجربة أنه إذا كنت ستكبر مع أم غير مثالية، فمن الأفضل أن تكبر وأنت تعرف أنها تقاتل من أجلك، بدلًا من أن تكبر وأنت تعتقد أنها لا تهتم بك.

كانت هناك سنتان من حياتي -غير متتاليتين- قضيتهما في داريْ رعاية، لم تكن والدتي مدمنة على المخدرات أو على الكحول، هي فقط لم تكن أمًّا جيدة جدًّا؛ تم التحقق من صحة إهمالها عندما كنتُ في السابعة من عمري وتركتني وحدي لمدة أسبوع عندما التقت بشخصٍ ما في الوكالة التي كانت تعمل بها، عرض عليها أن تسافر معه إلى هاواي، فسافرت.



لاحظ أحد الجيران أنني وحدي في المنزل، ورغم أن والدتي أخبرتني أن أكذب إذا سألني أحدٌ، فإنني لم أتمكن من الكذب عندما سألني، بعد ساعاتٍ ظهر موظف الشؤون الاجتماعية عند بابنا، ووُضعت في بيت أسرة حاضنة لمدة تسعة أشهر بينما كانت أمي تسعى إلى استعادتي. كان هناك الكثير من الأطفال، والكثير من القواعد، وشعرت كأنني في معسكرٍ صيفي صارمٍ، لذلك عندما استعادت أمي أخيرًا الوصاية عليَّ، شعرت بالارتياح.

في المرة الثانية التي وُضعت فيها في دار رعاية، كنت في العاشرة من عمري، كنت الطفلة الوحيدة المتبناة، التي تم وضعها مع امرأة في الستينيات من عمرها تُدعى منى، مكثتُ معها لمدة عام تقريبًا.

لم تكن منى أمًّا رائعة جدًّا، بل كانت مجرد أمٍّ، تشاهد الأفلام معي بين الحين والآخر، وتعد لي العشاء كل ليلة، وتغسل ملابسي أكثر مما كانت تفعل أمي. منى كانت متوسطة، هادئة، لم تكن مضحكة للغاية، لم تكن ممتعة، لكنها كانت حاضرة؛ منحتني الاهتمام والرعاية.

أدركتُ خلال العام الذي قضيته مع منى أنني لستُ في حاجة إلى أن تكون أمي مذهلة، أو حتى رائعة، أنا فقط أردتها أن تكون جيدة بما يكفي لئلَّا تتدخل الدولة في تربيتها لي.

هذا ليس طلبًا مبالغًا فيه من الأم التي وهبتني الحياة، فقط أن تكن كافية لأبقى على قيد الحياة، ألا تتركني وحدي. عندما استعادت أمي الوصاية عليَّ للمرة الثانية واضطررتُ إلى ترك منى، كان الأمر مختلفًا عن المرة الأولى التي عدت فيها إليها، لم أكن متحمسة لرؤيتها، كنت

قد بلغت الحادية عشرة من عمري عندما عدت معها إلى البيت، بكل مشاعر طفلة في الحادية عشرة من عمرها مضطرة إلى أن تعيش مع أمٍّ مثل أمي.

كنت أعلم أنني سأعود إلى بيئة يجب فيها أن أهتم بنفسي، ولم أكن سعيدة، كنت أعود إلى أم لم أشعر أبدًا أنها أمٌّ حقيقية، لم تعد علاقتنا إلى المسار الصحيح بعد ذلك قطُّ. لم نتمكن من إجراء محادثة من دون أن تتحوَّل إلى قتالٍ، بعد بضع سنواتٍ من العذاب، عندما كان عمري نحو أربعة عشر عامًا، توقفتْ في النهاية عن محاولة تربيتي، وبدلًا من ذلك شعرتُ أنني أصبحت عدوًّا لها.

لكنني كنت مكتفية ذاتيًا بحلول ذلك الوقت، ولم أكن في حاجة إلى حضور والدتي إلى البيت مرتين أسبوعيًا لتتظاهر برعايتي، بينما هي لا تعرف أيّ شيء عن حياتي أو من أكون. عشنا معًا حتى تخرجت في المدرسة الثانوية، لكننا لم نكن صديقتين، ولم يكن ثمّة علاقة بيننا، كل حديثها إليَّ عبارة عن إهانات، لذا، توقفت في النهاية عن التحدث إليها، فضَّلت الإهمال على الإساءة اللفظية.

بحلول الوقت الذي قابلتُ فيه سكوتي، كان قد مرَّ عامان منذ أن سمعت حتى صوتها، اعتقدت أنني لن أتحدث إليها مرة أخرى، ليس بسبب الكراهية، ولكن لأن علاقتنا كانت عبئًا، وأعتقد أن كلتينا شعرنا بالتحرر عندما انهارت تلك العلاقة.

لم أدرك مدى اليأس الذي سأصبح عليه يومًا ما، كان قد مرَّ ما يقرب من ثلاث سنوات من دون أن نتحدث عندما جاءت إلى زيارتي في السجن، كنتُ يائسة، امرأة حاملًا في الشهر السابع، تقدمت جريس وباتريك بالفعل بطلب الحضانة، وبسبب طول مدة عقوبتي، اكتشفت أنهما طالبا أيضًا بإنهاء حقوقي الأبوية.

لقد فهمت لماذا فعلا ذلك، سيحتاج الطفل إلى مكان يذهب إليه، وقد فضَّلت أن يذهب إلى عائلة سكوتي على أي شخصٍ آخر أعرفه، وخاصة والدتي. لكن معرفة أنهما أرادا إنهاء حقوقي بشكلٍ دائم أرعبني، هذا يعني أنني لن أرى ابنتي مرة أخرى حتى بعد إطلاق سراحي من هذه العقوبة الطويلة، ولم يكن هناك أي شخص آخر يمكنني منحه الحضانة، لذا كان عليَّ التواصل مع فرد العائلة الوحيد الذي يمكن أن يساعدني.

ظننتُ أنه ربما، إذا حاربت والدتي من أجل حقوق الزيارة باعتبارها جدة الطفلة، يمكن أن يترك لي على الأقل بعض السيطرة على ما سيحدث لابنتي في المستقبل. وربما إذا كانت والدتي تتمتع بحقوق الزيارة لي، فسيمكنها إحضار طفلتي إلى السجن بعد ولادتها حتى أتمكن على الأقل من التعرف عليها.

عندما دخلت والدتي غرفة الزيارة في ذلك اليوم، كان على وجهها ابتسامة متعجرفة، لم تكن ابتسامة تقول: لقد اشتقتُ إليك، كينا، بل كانت ابتسامة تقول: وجودك في السجن لا يفاجئني.

بدت جميلة رغم ذلك، كانت ترتدي ثوبًا أنيقًا وشعرها مصفف بعناية، مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ آخر مرة رأيتها فيها، لذا كان من الغريب رؤيتها وأنا امرأة مثلها ولست مجرد مراهقة.

لم نتعانق، كان لا يزال هناك الكثير من التوتر والعداء بيننا، ولم نعرف حتى كيف نتفاعل. جلست وأشارت إلى بطني، سألتني: "هذا هو طفلك الأول؟".

أومأت، لم يبد أنها متحمسة لأن تكون جدة.

قالت: "لقد بحثت عنك على جوجل".

كانت هذه طريقتها في القول إنها قرأت ما فعلته. ضغطت بكف يدي كفَّ يدي الأخرى لأمنع نفسي من قول شيء سأندم عليه، لكن كل كلمة أردت قولها كنت سأندم عليها، لذا جلسنا صامتتين وقتًا طويلًا، بينما أحاول معرفة كيف أبدأ. نقرت بأصابعها الطاولة بنفاد صبرٍ، وسألتني: "لماذا أنا هنا يا كينا؟ أشارت إلى بطني، أنت تحتاجين إليَّ لتربية طفلك؟".

هززتُ رأسي، لم أكن أريدها أن تربي طفلي، أردت أن يربيه الوالدان اللذان ربيا سكوتي، لكنني أردتُ أيضًا أن أرى طفلي، بقدر ما أردت النهوض والمشي بعيدًا عنها في تلك اللحظة، لم أفعل، قلت: "لا، حصل جدًّاها من طرف الأب على حق الحضانة عليها، ولكن...".

كان فمي جافًا، شعرت بشفتيَّ تلتصقان ببعضهما عندما قلت: "كنت أتمنى أن تتقدمي بالتماسٍ للحصول على حقوق الزيارة كجدتها".

مالت والدتي رأسها، وسألتني: "لماذا؟".

تحركت الطفلة في تلك اللحظة كما لو كانت تتوسل إليَّ ألَّا أطلب من هذه المرأة أن يكون لها أي علاقة بها، شعرتُ بالذنب، لكني لم أملك الكثير من الخيارات. ابتلعت ريقي ووضعت يدي على بطني، قلت: "يريدان إنهاء حقوقي، إذا فعلا ذلك، فلن أتمكن من رؤيتها أبدًا، ولكن إذا كان لديك حقوق كجدة، يمكنك إحضارها إلى هنا لرؤيتي بين الحين والآخر".

بدوتُ مثل نسختي البالغة من العمر ست سنوات، خائفة منها، ولكني ما زلت أحتاج إليها.

قالت والدتي إنها استغرقت خمس ساعات بالسيارة للوصول إلى هنا، لم أفهم إلى أين تتجه بهذا التعليق، فأكملت: "لديَّ حياة يا كينا، ليس لديَّ الوقت لأخذ طفلتك في رحلاتٍ مدتها خمس ساعات لرؤية أمها في السجن كل أسبوع".

- "أنا... ليس من الضروري أن تحضريها أسبوعيًّا.. فقط كلما استطعت".

نهضت والدتي من مقعدها، بدت غاضبة مني، أو متضايقة. كنت أعلم أنها تنزعج من القيادة، لكنني اعتقدت أنها عندما تراني في هذا الموقف، ربما تفكر أن القيادة تستحق العناء. كنت على الأقل أتمنى

أن تفكر بأنها ستطهر نفسها من ذنبي إن ساعدتني، أنها ستصبح جدة، وربما ستشعر كأنها حصلت على فرصة جديدة لتصبح أمًّا أفضل.

- لم أتلقَّ مكالمة هاتفية واحدة منك منذ ثلاث سنوات يا كينا، أنت الآن تطلبين مني خدمة؟

لم أتلقَّ مكالمة هاتفية واحدة منها أيضًا، لكنني لم أقل شيئًا، كنت أعلم أن هذا سيغضبها، بدلًا من ذلك قلت: "من فضلك، سيأخذون طفلتي".

لم تجفل أمي حتى، لم تلتمع عيناها بأي تعاطفٍ أو حبٍّ أو شفقة. أدركت في تلك اللحظة أنها سعيدة لأنها تخلصت مني، ولم يكن لديها أيّ رغبة في أن تكون جدة، كنت أتوقع ذلك، كنت فقط آمل أن يكون ضميرها قد استيقظ في السنوات الماضية منذ أن رأيتها آخر مرة.

- الآن ستعرفين كيف شعرت في كل مرة أخذتك فيها الدولة، لقد مررت بالكثير لإعادتك في المرتين، لكنك لم تقدِّري ذلك قطُّ، لم تشكريني حتى.

هل فعلًا أرادت مني أن أشكرها كونها أمًّا سيئة جدًّا لدرجة أن الدولة أخذتني منها مرتين؟ وقفت وغادرت الغرفة في تلك اللحظة، قالت شيئًا قبل أن تغادر لكني لم أستطع سماعها لأنني كنت غاضبة جدًّا منها، وغاضبة أكثر من نفسي لكوني يائسة بما يكفي للاتصال بها، لم تتغير، هي كما هي، نفس الأنانية، نفس النرجسية، امرأة كبرت معها لكني كنت بمفردي تمامًا، حتى الطفل الذي ما زال ينمو في بطني لم يكن لي.

الفصل السادس عشر

ليدجر

بدأت أنا وباتريك في تركيب بيت الألعاب في الباحة الخلفية للمنزل، لا يزال متبقيًا على عيد ميلاد ديم بضعة أسابيع، لكننا فكرنا أننا لو تمكَّنًا من تركيب البيت قبل الحفل، فستتمكن ديم وأصدقاؤها من اللعب به يومها.

بدت كخطة جيدة، لكننا لم نكن نعلم أن تركيب بيت ألعاب يشبه بناء منزل كامل، تناثرت القطع في كل مكانٍ، ولم نملك كتيب إرشادات، ما جعل باتريك يلعن اليوم كله ثلاث مرات على الأقل، نادرًا ما كان يتفوَّه بالألفاظ البذيئة، لكنه كان متوترًا، فقد تجنبنا الحديث عن كينا حتى هذه اللحظة، لم يفتح الموضوع فلم أحاول التطرق إلى الأمر، لكنني كنت أعلم أنه وجريس لا يفكران في شيء إلا في كينا منذ أن ظهرت في شارعنا ليلة أمس.

لكنه فجأة قرر أن الصمت حول هذا الموضوع لا بد أن ينتهي، لأنه توقف عن العمل وقال: "حسبًا"..

يستخدم باتريك هذه الكلمة الغريبة بدلًا من كلمة "حسنًا"عندما يضطر إلى بدء محادثة لا يرغب في خوضها، أو عندما يوشك على قول شيء يعلم جيدًا أنه لا يجب أن يقوله، لاحظتُ ذلك منذ كنتُ مراهقًا.

كان يدخل غرفة سكوتي ليخبرني أن وقت الذهاب إلى المنزل قد حان، لكنه لا يقول ذلك مباشرة فهو لا يقول فعليًا ما يرغب في قوله، يلمِح فقط، كان يطرق الباب ومن ثَمَّ يتنهد ويقول حسبًا، أعتقد أن لديكما مدرسة في الصباح".

جلس باتريك على كرسي في الفناء، ووضع الأدوات على الطاولة، وقال: "الجو هادئ اليوم".

تعلمت استبطان ما يريد إخباري به من دون أن يفعل، فهمت أنه يلمِح إلى أن كينا لم تظهر مرة أخرى اليوم، ولم تتخذ موقفًا بعد.

- كيف حال جريس؟
- على حافة الانهيار، تحدثنا إلى المحامي أمس، طمأننا بأنها غير قادرة قانونيًا على فعل شيء، لكنني أعتقد أن جريس خائفة من أن تفعل شيئًا غبيًا مثل اختطاف ديم من تدريبها مثلًا في لحظة سهوٍ منا.
- كينا لن تفعل ذلك أبدًا.

ضحك باتريك قائلًا: "نحن لا نعرفها يا ليدجر، نحن لا نعرف حتى ما هي قادرة على فعله أو لا".

أعرفها أكثر مما يتخيل، لكن من المستحيل أن أخبره بذلك. من الممكن أن يكون باتريك على حقٍّ، فأنا أعرف عنها أشياء تافهة، أعرف طعم قبلتها ولكن ليس لديَّ أي فكرة عما هي عليه كإنسان، نواياها تبدو طيبة لكني أعتقد أن سكوتي قد ظنَّ ذلك أيضًا قبل أن تتركه وترحل في أشد لحظاته احتياجًا إليها.

أنا في خضم صراعٍ داخلي، في لحظة أشعر بالأسى على باتريك وجريس وبعدها أشعر بالأسى على كينا، يجب أن يكون هناك حلٌ يرضي جميع الأطراف من دون أن تدفع ديم الثمن.

شربتُ رشفة من الماء لأبرِّر صمتي، ثم تنحنحت قائلًا : "ألا تشعر بفضولٍ لمعرفة ما تريده كينا؟ ماذا لو كانت تريد فقط رؤية ديم ولا تخطط لأخذها منكما؟".

- "لا أهتم"، قال باتريك بحسمٍ.
- ماذا لو؟
- لا أفكر سوى في المعاناة التي سنعانيها لو دخلت كينا روان إلى حياتنا وحياة ديم، ستفسد كل شيء.

نظر إلى الأرض كما لو كان يحاول استجماع أفكاره وأكمل: "لا أقول إنها أمًّا سيئة أو جيدة، لكن تخيل ماذا سيكون أثر ظهورها في حياتنا على جريس؟ ماذا ستشعر لو اضطرَّت إلى مشاركة طفلتنا هذه المرأة؟ لو توجب عليها أن تنظر في عينيها مرة كل أسبوع؟ أو تخيل الأسوأ، ماذا لو استطاعت كينا أن تثير شفقة القاضي ليحكم لها بحضانة كاملة لديم؟ ماذا سيكون وقع ذلك عليَّ وعلى جريس؟ لقد خسرنا سكوتي، ولن نتحمل خسارة ابنته أيضًا، لن نستطيع تحمُّل ذلك".

أفهم ما يقوله باتريك تمامًا، لكني أيضًا شعرت من خلال معرفتي بكينا في الأيام السابقة أن كرهي لها بدأ في التحوُّل إلى شيء آخر، ربما إلى تعاطفٍ أو شفقة. فكرت أنه ربما يحدث نفس الشيء مع

باتريك وجريس لو أعطوها فرصة، لكن باتريك فهم ما أفكر فيه قبل حتى أن أنطقه فأردف: "لقد قتلت ابننا يا ليدجر، لا تجعلنا نشعر بالذنب لأننا غير قادرين على غفران ذلك".

ارتجفتُ فور سماعي رد باتريك، بطريقة ما أصبت نقطة حساسة لديه بصمتي، لكني لم أقصد أن أشعره هو وجريسٍ بالذنب بسبب قرارهما، لم أفعل ولن أفعل، قلت: "لم أقصد ذلك قطُّ".

- أريدها خارج حياتنا وخارج تلك المدينة، لن نشعر بالأمان إلا لو تم ذلك.

تغيَّر مزاج باتريك تمامًا، شعرت بالذنب لأنني حتى حاولت اقتراح أن يتفهَّما أسباب كينا، هي جاءت إلى هنا بنفسها، وبدلًا من أن تتوقع أن يتكيَّف كل شخص في حياة سكوتي مع وضعها، سيكون الأسهل والأقل ضررًا بالنسبة إليها هو قبول عواقب أفعالها واحترام القرار الذي اتخذه والدا سكوتي.

تساءلتُ، ماذا كان سيفعل سكوتي لو رأى ما انتهينا إليه، نعلم جميعًا أن موته كان حادثًا غير مقصودٍ، حتى لو كانت قادرة على إنقاذ حياته ولم تفعل، لو كان معنا، هل كان سيغضب منها لأنها تخلَّت عنه؟ هل كان سيخبرها أنه مات وهو يكرهها؟ أم هل كان سيشعر بالخزي مني، ومن والديه لإبقاء كينا بعيدة عن ديم؟

لن أستطيع أبدًا معرفة الإجابة، لا أحد يستطيع، لذا كنت أحاول إبعاد تفكيري عن سكوتي وكيف كان سيتصرف، حاولت إيقاف نفسي عن التساؤل إن كنَّا نتصرف بما يرضي سكوتي أو العكس.

اتكأت على الكرسي بينما أحدق إلى بيت الألعاب الذي نتمنى أن يجهز قريبًا، وبينما أنظر إليه، فكرت في سكوتي، بدا باتريك كأنه يقرأ كل أفكاري، لأنه قال: "لهذا السبب أزلت بيت الألعاب؟".

- دخنت مع سكوتي سيجارتنا الأولى هنا، كنَّا في الثالثة عشرة.

ضحك باتريك، واتكأ على كرسيه، بدا مرتاحًا بأنني غيَّرت الموضوع.

- من أين حصلتما على السجائر وأنتما في الثالثة عشرة؟

- من شاحنة والدي.

هزَّ باتريك رأسه مبتسمًا، فأكملت: "شربنا أول زجاجة هنا، ودخلنا أول لفافة ماريجوانا، وأعتقد أن قبلة سكوتي الأولى حدثت هنا أيضًا".

سألني باتريك: من كانت؟

- دانا فريمان، كانت تعيش في نهاية الشارع، كانت أول فتاة أقبِّلها أيضًا، وهي سبب الشجار الوحيد بيني وبين سكوتي.

- من قبَّلها أولًا؟

- أنا، لكنَّ سكوتي خطفها مني مثل صقرٍ لعينٍ، أغضبني هذا جدًّا ليس لأنني كنت أحبها لكن لأنها فضَّلته عليَّ، لم نتحدث بسبب هذا لمدة ثماني ساعات كاملة.

- حسنًا، هذا عادل لأنه كان أوسم منك.

ضحكتُ، وتنهد باتريك وبدأنا معًا بالتفكير في سكوتي ما أضفى كآبة على الأجواء، أكره تلك اللحظات عندما يحدث ذلك، فكرت متى سيأتي اليوم الذي نتوقف فيها عن تذكره.

"هل تعتقد أن سكوتي تمنَّى أبًا غيري؟" سألني باتريك.

- ماذا تقصد؟ أنت أب عظيم.

- لقد عملت طوال حياتي في مكتبٍ مملٍّ أحاول تحقيق الرقم المطلوب مني في المبيعات، أتساءل لو كان سكوتي تمنى أبًا أفضل، رجل إطفاء أو رياضيًا محترفًا، لم أكن الأب الذي يمكن أن يتفاخر به.

صُدِمت من اعتقاد باتريك أن سكوتي أراد أبًا غيره، استعدت كل المحادثات التي دارت بيني وبين سكوتي حول المستقبل، تذكرت واحدة حول هذا الأمر بالذات.

- لم يرد سكوتي أن يرحل بعيدًا عنك، كان يحلم بلقاء فتاة والزواج بها وإنجاب أطفال سعداء يأخذهم إلى السينما في عطلة الأسبوع، وإلى مدينة ديزني كل صيفٍ، عندما أخبرني بذلك اتهمته بالحمق، لأن أحلامي كانت أكبر بكثيرٍ، تمنيت أن أكون لاعب بيسبول، وأن أسافر حول العالم، وأن أحظى بمشاريعي الخاصة، وأن يكون لديَّ دخلٌ ثابتٌ ومستقرٌّ.

أكملت: "عندما أخبرته بذلك، وأنني أريد أن أصبح رجلًا مهمًّا، قال إنه لا يريد أن يكون مهمًّا، لا يريد حياة ضاغطة، يريد حياة هادئة مثل حياة أبيه، لأنه في كل مرة تعود فيها إلى البيت ليلًا، تكون سعيدًا جدًّا".

صمت باتريك لحظاتٍ، ثم قال: "ما هذا الهراء؟ لم يقل سكوتي ذلك طبعًا".

ضحكت: "أقسم لك، كان يتحدث هكذا طوال الوقت، لقد أحبك كما أنت".

انحنى باتريك إلى الأمام، وحدق إلى الأرض ثم عقد ذراعيه فوق صدره وقال: "شكرًا لك أنك أخبرتني بذلك، حتى لو كنت كاذبًا لعينًا".

- لم أقل سوى الحقيقة.

بدا باتريك حزينًا، حاولت تذكر حكاية طريفة عن سكوتي لإبهاجه، قلت : "ذات يوم، كنت أنا وسكوتي نتسكع في بيت الألعاب، ثم فجأة، هبطت حمامة أمامنا، كانت تبعد مسافة ثلاثة أو أربعة أقدام عنا، نظر سكوتي إليها بدهشة، وقال: أهذه حمامة لعينة؟".

لا أعلم لماذا انفجرنا في الضحك، كنَّا منتشين يومها، بكينا من شدة الضحك، ولسنوات حتى وفاته، في كل مرة يحدث شيء لا يفهمه أو يراه غير منطقي، كان يقول: "أهذه حمامة لعينة؟".

ضحك باتريك: "هذه هي القصة وراء جملته الغريبة تلك؟".

أومأت بنعم.

ضحك باتريك بشدة، ضحك حتى دمعت عيناه، ثم بدأ بالبكاء فعلًا، في تلك المواقف، عندما ينغمس باتريك في أحزانه بهذا الشكل، أفضِّل تركه وحده، لأنه ليس من النوع الذي يحب أن يبكي أمام أحد، ولا ينتظر شخصًا ليواسيه، يفضِّل الانعزال عندما يحزن، يود فقط أن يُترَك وشأنه.

دخلت المنزل، وأغلقت الباب خلفي، تساءلت متى سيلتئم جرحا باتريك وجريس، مرَّت خمس سنوات بالفعل، ولا يزالان يبكيان كلما تذكرا ابنهما، هل سيظلان يبكيان بعد عشر سنوات؟ بعد عشرين؟

أردت بشدة أن يتعافيا، لكن فقد ابن هو جرح لا يلتئم أبدًا، فكرت إن كانت كينا تبكي كما يبكي باتريك وجريس.

هل شعرت بنفس الحزن عندما أخذوا ديم منها؟

لأنه لو كانت تشعر بذلك فعلًا، فلا يمكن أن يتركها باتريك وجريس تعاني مثلهما، لقد جرَّبا هذا الشعور، ولا يمكن أن يقدرا على تحمُّل فكرة أنهما السبب في أن يشعر شخصٌ آخر بهذا.

الفصل السابع عشر

كينا

عزيزي سكوتي،

بدأتُ أول وظيفة لي اليوم، أنا في العمل بالفعل، تحديدًا أنا في الجلسة التعريفية بالعمل وهي مملّة جدًّا؛ لقد مرَّت ساعتان وأنا أشاهد فيديوهات عن كيفية تعبئة البقالة في الأكياس، وكيفية رص البيض، وكيف تفصل بين أنواع اللحوم. أحاول جاهدة فتح عينيَّ لكنني لم أنم جيدًا، لحسن الحظ اكتشفت أنه يمكن تصغير شاشة الفيديو من دون أن يتوقف، أكتب لك هذه الرسالة على برنامج ميكروسوفت وورد.

استخدمت طابعة المكان لطباعة كل الرسائل القديمة المخزنة على وثائق جوجل التي كتبتها عندما كنتُ في السجن، ووضعتها في حقيبتي وخبَّأتها في خزانة الموظفين الخاصة بي، لأنني أشك أنه من المسموح لي طباعة أي شيء خاص.

تقريبًا كل شيء أتذكره عنك كتبته، كل محادثة مهمة حظينا بها، وكل لحظة مؤثرة مرَّت عليَّ بعد وفاتك. ظللت طيلة خمسة أعوام أكتب تلك الرسائل إليك، أحاول أن أسترجع ذكرياتنا معًا في حال أرادت ديم أن تعرف عنك أكثر يومًا ما. أعلم أن والديك لديهما ما هو

أكثر ليشاركاه إياها، لكني ما زلت أشعر أن الجزء الذي أعلمه عنك يستحق الحكي.

منذ أيام قليلة وبينما أسير في وسط المدينة لاحظتُ اختفاء محل الأنتيكات الذي كان هناك، حلَّ محلّه متجر لبيع أدوات الكومبيوتر، ذكّرني ذلك بأول مرة دخلنا إلى هناك واشتريت لي كل تلك الأيادي المطاطية الصغيرة، كنّا على بُعد أيامٍ من ذكرى ارتباطنا لمدة ستة أشهر، ولكننا قررنا الاحتفال بها مبكرًا لأنك ستضطر إلى العمل في عطلة الأسبوع، ولن تستطيع أن تأتي في الميعاد لنحتفل معًا، لقد تخطينا في تلك المرحلة خجل قول أنا أحبك. ومرّت قبلتنا الأولى بسلام، كذلك أول مرة نمارس فيها الحب، وأول شجار بيننا.

كنّا قد تناولنا الطعام في مطعم سوشي جديد في وسط المدينة، ثم قررنا استكشاف محلات الأنتيكات، غالبًا من خلف الزجاج لأن الليل لم يكن قد حلَّ بعد. نمسك بأيدي بعضنا، وكل حين وآخر كنت تتوقف وتقبّلني.

كنّا في تلك المرحلة من علاقتنا، مرحلة لم أصل إليها مع أحدٍ قبلك، سعيدين يعشق أحدنا الآخر، ممتلئين بالرغبة وممتلئين بالأمل، كنا في نعمة، نعمة ظننا أنها ستستمر إلى الأبد، سحبتني فجأة نحو محل الأنتيكات ونحن نسير وقلت: "اختاري شيئًا، وسأدفع ثمنه".

- لا أحتاج إلى شيء".

- هذا ليس متعلقًا بك بل بي، أريد أن أشتري لك شيئًا.

كنت أعلم أنك لا تملك الكثير من الأموال، كنتَ على وشك التخرج في الكلية، وكنتَ تخطط لبدء الدراسات العليا، وكنتُ ما زلتُ أعمل في محلات دولار دايز بمرتبٍ ضئيلٍ.

لذا ذهبت إلى ركن الحلي على أمل أن أجد شيئًا رخيصًا، ربما سوارًا أو قرطين، لكن خاتمًا لفت نظري، كان أنيقًا وذهبيًا كأنه خرج من يد امرأةٍ تعيش في عام 1800م، مرصعًا بحجرٍ وردي في المنتصف، تمكّنت بسهولة من معرفة أن الخاتم أعجبني لأنني تسمَّرت أمامه.

- أعجبك؟

سألتني، كان في حقيبة مع خواتم أخرى، لذا طلبت من أحد العاملين أن يرينا الخاتم، فأخرجه الرجل من الحقيبة وناولك إياه، وفورًا قمت بوضعه في إصبع يدي اليمنى، كان يناسبني تمامًا فقلت: "جميل جدًّا".

وقد كان بالفعل أجمل خاتم رأيته في حياتي، سألت الرجل: "كم سعره؟".

- أربعة آلاف، لكن يمكنني النزول بالسعر بضع مئات لأنه هنا منذ شهور ولم يشتره أحد.

صعقت عندما سمعت السعر، فسألت بدهشة: أربعة آلاف ؟؟ أهو حمامة لعينة؟

انفجرت في الضحك لأنه ليس لديَّ فكرة لماذا تكرر تلك الجملة، لقد كانت المرة الثالثة التي أسمعك تقولها، وأنت ضحكت

أيضًا لأن الخاتم كان بأربعة آلاف دولار، ليس لديَّ فكرة إن كنت ارتديت أي شيء في حياتي قيمته أربعة آلاف دولار.

أمسكت يدي، وقلت: "اخلعيه بسرعة قبل أن تكسريه أو أي شيء".

سلَّمناه للرجل فورًا، بعدها رأينا أيادي صغيرة من المطاط معروضة في الفاترينة، أيادي يمكن أن ترتدي الواحدة في الإصبع فيبدو كأنك تملك خمس أيادٍ في كل يد، سألت الرجل: "كم ثمن هذه؟".

- دولارين.

اشتريتَ لي عشرًا منها، واحدة لكل إصبع، كانت أغبى هدية اشتراها لي أحد، ولكنها أيضًا كانت الأجمل. عندما خرجنا ضحكنا معًا، قلتَ: "أربعة آلاف دولار؟ هل سيمنحونا سيارة مع الخاتم؟ هل كل الخواتم غالية هكذا؟ هل عليَّ أن أبدأ في الادخار من أجل خاتم خطبتنا؟".

كنت تضع الأيادي المطاطية في أصابعي بينما تشكي حول أسعار الحلي، لكن شكواك جعلتني أبتسم لأنها كانت المرة الأولى التي تذكر فيها خطبتنا. أظن أنك لاحظت ذلك أيضًا لأنك صمتَّ بعدها وبعد أن وضعت كل الأيادي المطاطية في أصابعي، لمست وجنتيك بأصابعي الجديدة، فابتسمت بينما تضع يديك على معصمي، وقبَّلت كفيَّ. فقلت: "لديَّ الكثير من الأصابع الآن، كيف ستتمكن من شراء خمسين خاتمًا لكل يد؟".

ضحكت وسحبتني نحوك، قائلًا: "سأجد حلًّا، قد أسرق بنكًا أو أسرق صديقي المقرب، سيكون غنيًّا قريبًا، هذا الوغد المحظوظ".

كنت تتحدث عن ليدجر على الرغم من أنني لم أكن أعلم وقتها لأنني لم أقابله قطُّ، كان قد وقّع حينها عقدًا مع نادي برونكس، لا أعرف الكثير عن الرياضة، وأيضًا لم أعرف شيئًا عن أصدقائك.

كان أحدنا مشغولًا بالآخر جدًّا لدرجة أننا لم نجد وقتًا لأي شخصٍ آخر. كنتَ تدرس معظم الوقت، وكنتُ أعمل معظم الوقت، لذا لمْ يكن لدينا سوى وقتٍ قليلٍ لنقضيه معًا، لكني علمت أن ذلك سيتغير قريبًا. كنَّا في تلك اللحظة من علاقتنا التي نرى فيها الطرف الآخر أولوية، ولم يزعجنا ذلك، بل كان شعورًا جميلًا.

أشرت إلى شيء في شباك المحل في الناحية الأخرى من الشارع، وأمسكتني من واحدة من الأيادي الصغيرة بينما نعبر الطريق. كان لديَّ ذلك الحلم بأنك يومًا ما ستتزوجني، وبعد أن نتزوج سننجب أطفالًا ونربيهم معًا في هذه المدينة التي تحبها، كنت سأحب أي مكان تريد أن تعيش فيه.

لكنكَ مت، ولم يعد بمقدورنا تحقيق هذا الحلم، لأن الحياة قاسية جدًّا، تختار بلا شفقة من تحطمه. عانينا كثيرًا رغم أن المجتمع أخبرنا بأننا نستطيع أن نعيش الحلم الأمريكي، لم يخبرنا أن الأحلام لا تتحقق أبدًا، لذلك يسمونه الحلم الأمريكي لا الواقع الأمريكي، الواقع أنك ميتٌ، وأنني في جلسة تعريفية لوظيفة بمرتبٍ مخزٍ، وأن ابنتنا تُربى على أيدي أشخاص غيرنا،

نعم.. الحياة كئيبة جدًّا.. مثل تلك الوظيفة..
عليَّ أن أعود إلى العمل الآن..
محبَّتي،
كينا

***

وضعتني إيمي فورًا في أجواء العمل بعد انتهائي من مشاهدة ثلاث ساعات من الفيديوهات التعريفية. كنت قلقة جدًّا في البداية لأنني توقعت أنه سيكون هناك شخصٌ يرشدني، لكن إيمي اكتفت بأن تقول لي: "احرصي على وضع الأشياء الثقيلة في الأسفل، عاملي البيض والخبز مثل الأطفال وستكونين بخيرٍ".

كانت على حقٍّ، بقيت ساعتين أضع المشتريات في الأكياس وأناولها إلى الزبائن، كانت وظيفة عادية بمرتبٍ صغيرٍ، لكن لم يحذِّرني أحدٌ من أن تلك الوظائف قد تحمل خطرًا كهذا في اليوم الأول.

كان خطر هذه الوظيفة هو ليدجر، وعلى الرغم أنني لم أره، لكنني لمحتُ شاحنته البرتقالية القبيحة في موقف السيارات، ارتفع نبضي بسرعة لأنني لم أرد أن يسبِّب لي مشكلة إذا رآني.

لم أرَه منذ جاء إلى شقتي يوم السبت الماضي ليطمئن عليَّ، أعتقد أنني تعاملت معه كما يستحق، بدا نادمًا على طريقة تعامله معي، وأنا حاولت الحفاظ على هدوئي والتصرف كأنه لم يظهر قطُّ على الرغم من أنه أربكني، ومنحني بعضَ الأمل لفكرة أنه ربما يشعر بالندم على

ما فعله، أو أن هناك فرصة لأن يتعاطف معي، قد تكون فرصة صغيرة لكنها ما زلت فرصة.

ربما لا يجب عليَّ تجنُّبه؛ وجودي جانبه قد يجعله يدرك أنني لست الوحش الذي يظنه. مشيت إلى داخل المتجر لأعيد عربة تسوق إلى مكانها، كانت إيمي تجلس خلف مكتب خدمة العملاء، فسألتها: "هل يمكنني الذهاب إلى الحمام؟".

- ليس عليكِ أن تأخذي الإذن للتبول، هل تذكرين كيف تقابلنا؟ أنا أتظاهر بالرغبة بالدخول إلى الحمام كل ساعة، هذه هي الطريقة الوحيدة حتى لا أفقد عقلي.

هذه المرأة تعجبني فعلًا..

لم أرِد أن أدخل الحمام، أردتُ فقط أن أتجول في المتجر لأرى إن كان ليدجر هنا، جزء مني يتمنى أن يكون هنا مع ديم رغم أنني متأكدة أن هذا لن يحدث، هو يعرف أنني تقدَّمت إلى وظيفة هنا وسيفكر أنني ربما حصلت على العمل.

في النهاية وجدته في قسم الحبوب، كنت أخطط للتجسس عليه من بعيدٍ لأبقيه تحت نظري، لكنه لاحظني بمجرد أن رأيته. كنَّا على بُعد أربعة أقدام من بعضنا ، يقف حاملًا علبة كورن فليكس فروتي بابلز، تساءلت إن كانت من أجل ديم.

- إذن فقد حصلتِ على الوظيفة.

قال ليدجر من دون أن يبدو على ملامحه إن كان سعيدًا أم منزعجًا من هذا. أنا متأكدة أنه لو كان قلقًا من الأمر لقام بالتسوق في مكان

آخر، لو كان منزعجًا فعليه أن يبحث عن متجرٍ جديدٍ يتسوق فيه لأنني لن أترك العمل هنا أبدًا، لن يقبل أيّ مكان آخر تعييني. نظرت إليه ثم تمنيتُ لو أنني لم أفعل، كان يبدو مختلفًا اليوم، ربما بسبب إضاءة المكان الجيدة أو حقيقة أنني أتعمّد عدم النظر إليه عندما ألقاه، لكن هنا في قسم الحبوب، غمرته الإضاءة فبدت ملامحه الوسيمة واضحة أمامي، أكره أنه يبدو أوسم في الإضاءة الفلورسنتية الجيدة، كيف يعقل هذا؟ عيناه أكثر ودًا، وفمه مشجع على القُبل، وأنا لا أحب هذا، لا أحب أنني أفكر في الرجل الذي أبعدني عن ابنتي، بل وأراه وسيمًا.

غادرتُ قسم الحبوب وحلقي أكثر جفافًا، حاولتُ إبعاد ذهني عن التفكير فيه، لا أريد أن أبدي له أيَّ ودّ، الرجل الذي ظلَّ لخمس سنوات يطلق أحكامه عليَّ، لن أغيِّر وجهة نظره عني في خمس دقائق، خاصة وأنا أضطرب بشدة في حضوره، لن أمنحه انطباعًا جيدًا عني. حاولت أن أحسب الوقت بدقة حتى لا أكون متاحة عندما ينهي تسوقه ويتجه إلى الدفع، لكن كالعادة كان كل المحاسبين مشغولين فطلبوني لكي أحزم مشترياته، ما يعني أنني سأحملها حتى شاحنته، وأتحدث إليه، وأتظاهر باللطف.

لم أنظر إلى عينيه لكني شعرت بعينيه تتفحصانني وأنا أضع مشترياته في الأكياس. ثمّة شيء حميم في معرفة ماذا يشتري كل شخص في المدينة لمطبخه، أشعر أنني أستطيع معرفة كل شخص بناء على مشترياته من البقالة. المرأة العزباء تشتري الكثير من الطعام الصحي، الرجل الأعزب يشتري لحم الاستيك والأطعمة المجمدة، العائلات الكبيرة تشتري كمياتٍ كبيرة من اللحوم.

اشترى ليدجر أطعمة مجمدة جاهزة للتحضير، وستيك وصوص وريسشتر، وشيبسي برينجلز وطعام حيوانات ولبنًا ولبنًا بالشوكلاتة والكثير من مشروبات الطاقة.

بناء على اختيارته، توقعت أنه أعزب يقضي وقتًا طويلًا مع ابنتي، آخر شيء كان علب كورن فليكس سبيجتو، ما جعلني أغار لأنه يعلم ما تفضِّله ابنتي، بدا عليَّ التأثر بينما أضع تلك العلب بالذات في الكيس، وألقيها في عربة التسوق، فنظر إليَّ المحاسب بطرف عينه وليدجر يحاسبه على المشتريات.

بمجرد انتهائه من الدفع أمسكت بعربة التسوق ودفعتها أمامي، فقال: "أستطيع أن أفعلها بنفسي".

"يجب أن أقوم أنا بذلك" قلتُ بشكلٍ رسمي، وأضفت: "سياسة المحل"،

أومأ برأسه إليَّ وقاد الطريق إلى شاحنته.

أكره أنني ما زلت أشعر أنه جذاب، حاولت النظر إلى أيِّ شيء عداه ونحن نمشي عبر موقف السيارات. عندما كنت في الحانة في تلك الليلة، قبل أن أعلم أنه صاحب المكان، لاحظتُ كيف أن الموظفين من أعراق مختلفة، ما جعلني أكنُّ الاحترام لصاحب الحانة. الساقيان اريزي ورومان كلاهما من أصول إفريقية، النادلة من أصول إسبانية. أحببت أن شخصًا مثله في حياة ابنتي، أردتُها تُربى بواسطة أشخاص صالحين. وعلى الرغم من أنني لا أعرف ليدجر جيدًا، فإنه حتى الآن يبدو كرجلٍ محترمٍ.

عندما وصلنا شاحنته، أخذ ليدجر مشروبات الطاقة ووضعها في صندوق الشاحنة بينما وضعت بقية المشتريات على المقعد الخلفي.

على المقعد المواجه لمقعد الأطفال الذي تجلس عليه ديم، رأيت ربطة شعر باللونين الوردي والأبيض، أنهيت وضع الأكياس ونظرت إليها لثوانٍ قبل أن ألتقطها، رأيتَ شعرة بنية ملفوفة عليها، سحبتها من ربطة الشعر، كانت بطول سبعة إنشات وبنفس لون شعري، لقد ورثت لون شعري.

شعرتُ بليدجر يقترب مني لكني لم أهتم، أردتُ أن أبقى قرب مقعد الأطفال حتى يتسنى لي إيجاد أي شيء آخر يتعلق بها قد يمنحني أيّ معلومات عن شكلها أو كيف تحيا، التفتُّ إليه، وأنا ممسكة بربطة الشعر، وسألته: "هل تبدو مثلي؟".

نظر إليّ، واتكأ على الشاحنة، شعرت أنني محاصرة بينه وبين الباب وعربة التسوق، قال: "نعم، تبدو مثلك".

- لم يقل كيف تبدو مثلي، هل تملك عينيّ أم فمي أم شعري أم كل هذا؟ أردت أن أسأله لو كنا نملك نفس الشخصية، لكنه لا يعلم عني أي شيء. طوى ذراعيه على صدره، ونظر إلى قدمه وبدا غير مرتاح لإجابتي عن أسئلتي. أوشكت غيرتي أن تكون مسموعة، سحبت شهيقًا مرتعشًا وحاولت منع دموعي بينما أسأله سؤالًا آخر: "وشخصيتها؟".

هذا السؤال جعله يتنهد، قال: "كينا..".

هذا كل ما قاله، اسمي فقط، لكنه كان كافيًا لأفهم أنه اكتفى من الإجابة عن أسئلتي، نظر بعيدًا إلى موقف السيارات، وسألني مغيرًا الحديث إلى موضوع آخر: "هل تسيرين إلى العمل؟".

- أجل.

نظر إلى السماء، وقال: "من المفترض أن تهب عاصفة بعد ظهر اليوم".

قلتُ بسخرية: "رائع".

- تستطيعين طلب أوبر.. هل كان هناك أوبر قبل أن تذهبي إلى..

اهتزَّ صوته.. فقلت: "قبل أن أذهب إلى السجن؟ نعم كان موجودًا، لكني لا أملك هاتفًا الآن لذا ليس لديَّ هذا التطبيق".

- لا تملكين هاتفًا؟

- كان معي واحدٌ لكني فقدته الشهر الماضي، ولا أستطيع شراء هاتفٍ جديدٍ قبل أن أحصل على راتبي.

أصدرت السيارة المجاورة صوت فتح القفل عن بُعد، نظرت حولي فرأيت ليدي ديانا تتجه نحو السيارة مع رجلٍ وامرأة مسنين وعربة مليئة بالمشتريات، لم نكن في طريقهم لكني استخدمت مرورهم كعذرٍ لإغلاق الباب.

رأت ليدي ديانا ليدجر بينما تفتح باب سيارتها فتمتمت: "وغد".

جعلني هذا أبتسم، نظرت إلى ليدجر لألمحه يبتسم أيضًا، لا أحب كونه ليس وغدًا؛ كان من الأسهل أن أكرهه لو كان وغدًا.

- سأحتفظ بربطة الشعر.

قلتُ بينما أدفع عربة التسوق إلى البقالة، أردت أن أخبره أنه لو كان مصرًّا على التسوق هنا فليجلب ابنتي معه المرة القادمة، لكني عندما أكون في حضرته لا أستطيع حسم قراري، هل عليَّ أن أكون لطيفة معه لأنه الشخص الوحيد الذي يربطني بابنتي؟ أم عليَّ أن أكون وغدة لأنه الشخص الوحيد الذي يبقيني بعيدًا عنها؟

ألّا أقول شيئًا هو أفضل ما يمكن أن أفعله الآن، نظرت إليه قبل أن أعود إلى المحل، كان لا يزال متكئًا على الشاحنة ينظر إليَّ، دخلت وأعدت العربة مكانها، ثم عقدت شعري بربطة شعر ديم، وبقيت مرتدية إياها لبقية اليوم.

الفصل الثامن عشر

ليدجر

حدقت إلى دستة من كعك الشوكولاتة بمجرد دخولي إلى البار، تمتمتُ: "عليك اللعنة يا رومان".

- مثل كل أسبوع، يشتري رومان من المخبز المجاور دستة من كعك الشوكلاتة فقط ليتسنَّى له رؤية صاحبة المخبز، لكنه لا يأكلها، ما يعني أنه يترك مهمة أكلها عليَّ، آكل معظمها وأترك بعضها لديم.

أمسكتُ بكعكة في نفس اللحظة التي دخل فيها رومان من باب الحانة الخلفي، فقلتُ مازحًا: "لماذا لا تطلب منها موعدًا؟ بدلًا من شراء دستة من الكعك كل أسبوع.. لقد زاد وزنك منذ أول مرة التقيتها فيها".

قال رومان: "من المحتمل أن زوجها لن يرحب بالفكرة".

- صحيح، نسيت أنها متزوجة...

لم أحدِّثها قطُّ، لكنها تفهم أنني أشتري منها الكب كيك لأنها مثيرة، واضح أنني أستمتع بتعذيب نفسي.

- بالتأكيد تهوي تعذيب نفسك، وإلا ما كنتَ تمسَّكت بالعمل معي بلا سببٍ.

- بالضبط.

قال رومان بشكلٍ قاطعٍ، ثم مال نحوي، وقال: "ها؟ ما الجديد بشأن كينا؟".

نظرتُ من فوق كتفه، وسألت: "هل هناك أحدٌ هنا غيرنا؟".

لم أرد أن أتحدث عن كينا في ظل وجود أيّ أحد بالجوار؛ آخر شيء أريده هو أن تصل أيُّ أقاويل إلى باتريك وجريس، مثل أنني تعاملت معها أو رأيتها بعد تلك المرة التي يعرفانها.

- لا، ماري لا تأتي قبل السابعة، وريز في عطلة اليوم.

أخذتُ قضمة من الكب كيك، وأكملتُ حديثي بفمٍ مملوء بالكعك: "تعمل في محل البقالة في كانتيرال، لا تملك سيارة ولا هاتفًا، أعتقد أنها بلا عائلة حتى، تسير يوميًا من بيتها إلى العمل.. هذه الكعكات لذيذة جدًّا".

"من خبزتها ألذ.." قال رومان وأكمل: "هل قرر باتريك وجريس ماذا سيفعلان معها؟".

- وضعت بقية الكعكة في العلبة، ومسحت فمي بمنديلٍ، وقلتُ: "حاولتُ الحديث مع باتريك أمس حول الأمر لكنَّه يرفض حتى عرض الموضوع للمناقشة، هو فقط يريدها خارج المدينة وخارج حياتهم".

- وماذا عنك؟

- أريد الأفضل لديم، أردتُ دومًا الأفضل لديم، أنا فقط لم أعد أعلم إن كنت على صوابٍ في ما هو حقًّا الأفضل لها.

لم يعقب رومان على كلامي، تناول كعكة والتهمها، ثم قال: "تبًا، هل تعتقد أن طهيها بنفس جودة خبيزها؟ ربما أعرف ذلك بنفسي ذات يومٍ، لحسن حظي، تقريبًا واحدة من كل علاقتيْ زواج تنتهي بالطلاق، قالها وصوته مليء بالأمل".

- أراهن أن ويتني تستطيع أن تجد لك فتاة لطيفة عزباء لتواعدها.

همهم قائلًا: "اللعنة عليك، أفضِّل انتظار طلاق صاحبة المخبز عن هذا".

- هل تملك صاحبة المخبز اسمًا؟

- الكل يملك اسمًا.

- كانت ليلة هادئة لم نحظَ بها منذ مدة طويلة، غالبًا لأننا في يوم الاثنين ولأنها تمطر، لا ألاحظ في العادة باب الحانة وهو يُفتح، لكن لأنه لا يوجد غير ثلاثة زبائن فقط، توجّهت كل الأعين إليها وهي تنسل من الباب هربًا من المطر.

لاحظها رومان أيضًا، كلانا نظر في اتجاهها، فقال رومان: "ينتابني شعور بأن كارثة على وشك الحدوث في حياتك يا ليدجر".

مشت كينا نحوي بملابس مبللة تمامًا، وجلست على نفس المقعد الذي جلست عليه أول مرة تحضر فيها إلى هنا، سحبت ربطة شعر ديم من شعرها، وانحنت بجسدها على الحانة لتسحب بعض المناديل الورقية من العلبة.

"رحلتُ في الوقت المناسب قبل سقوط المطر" قالت هي تجفف وجهها وأيديها بالمناديل، وأردفت: "أحتاج إلى توصيلة إلى البيت".

- كنت محتارًا لأنه في آخر مرة غادرت شاحنتي: كانت غاضبة مني لدرجة أنني اعتقدت بأنها لن تركبها مجددًا، سألتها: "تريدنني أن أوصلك؟".

هزَّت كتفها قائلة: "أنت، أوبر، تاكسي، لا أهتم، فقط أعطني الآن كوبًا من القهوة، سمعت أن لديكم كارميل الآن".

بدت في مزاجٍ احتفالي، ناولتها منشفة نظيفة، وبدأت في تحضير القهوة لها بينما تجفِّف نفسها، نظرت إلى الساعة، مرَّ على الأقل عشر ساعات منذ كنتُ في محل البقالة، سألتها: "هل أنهيت عملك الآن؟".

- أجل، شخص ما اعتذر عن الحضور اليوم، فاضطررت إلى العمل ضعف الوقت.

محل البقالة يغلق في التاسعة، وغالبًا يأخذ الطريق إلى بيتها ساعة سيرًا على الأقدام، قلت: "لا يجب أن تسيري وحدك إلى البيت في هذا الوقت المتأخر".

قالت ساخرة: "إذن اشترِ لي سيارة".

نظرتُ نحوها، فرفعت حاجبيها في تحدٍّ. زيَّنتُ قهوتها بحبة كرز ومررتها لها على الطاولة، سألتني: "منذ متى تملك البار؟".

- منذ عدة سنوات.

- ألم تحترف رياضة ما؟

جعلني سؤالها أبتسم، ربما لأن السنتين التي قضيتهما لاعب بيسبول محترفًا هما الشيء الوحيد الذي يريد الناس هنا الحديث معي حوله، لكن كينا جعلته يبدو كأنه أمرٌ عابرٌ.

- نعم، كنت لاعبًا في نادي برونكوز.

- هل كنتَ لاعبًا جيدًا؟

هززت كتفي قائلًا: "لقد وصلت إلى أن أكون لاعبًا مسجلًا في المؤسسة الوطنية لكرة القدم الأمريكية، أعتقد أن هذا يجعلني جيدًا، لكنه لم يكفِ لتجديد عقدي.

- كان سكوتي فخورًا بك.

قالت وهي تنظر إلى الكوب في يديها، كانت تشبه أول مرة رأيتها فيها عندما جاءت إلى الحانة، لكن بدأت شخصيتها تعتاد المكان، أكلت الكرزة وتبعتها برشفة من القهوة. أردت أن أخبرها بأنه يمكنها الصعود إلى شقة رومان بالأعلى لتجفف ملابسها، لكني شعرت أنه من الخطأ أن أكون لطيفًا معها. كان هناك معركة محتدمة وثابتة في رأسي منذ أيام. تساءلت لماذا قد أنجذب إلى شخصٍ كرهته لفترة طويلة، ربما لأن الانجذاب قد حدث الجمعة الماضية، قبل أن أعرف حتى من هي، أو ربما لأنني بدأت في الشك بأسبابي التي دفعتني إلى كراهيتها كل تلك الفترة.

- ليس لديك أصدقاء أو أفراد عائلة يمكن أن يقلوكِ إلى البيت بعد العمل؟

أعادت كوب القهوة إلى الطاولة، وقالت: "أعرف شخصين فقط في تلك المدينة أحدهما هو ابنتي، لكن عمرها أربعة أعوام فقط ولا تستطيع القيادة، والآخر هو أنت".

- لم يعجبني فكرة أن تهكُّمها بشكلٍ ما جعلها أكثر جاذبية، أحتاج إلى أن أوقف التعامل معها، لا أريدها هنا في هذه الحانة، قد يراني أحدهم أتحدث إليها، وينقل الأمر إلى جريس وباتريك.

- سأوصلك إلى المنزل بعد أن تُنهي قهوتك.

قلتها وذهبت إلى الجانب الآخر من الحانة حتى أبقى بعيدًا عنها.

خرجت مع كينا من الحانة بعد نصف ساعة من حضورها، متجهين نحو الشاحنة. تغلق الحانة أبوابها بعد نحو ساعة من الآن، لكن رومان قال إنه سيهتم بكل شيء، أردت أن أخرجها خارج الحانة وخارج نطاقي حتى لا يرانا أحدٌ معًا.

ما زالت تمطر، لذا أمسكت بالمظلة وظلَّلت بها كينا، ليس كأنها ستحدث فرقًا كبيرًا، فهي مبتلة منذ مجيئها إلى الحانة، لكن لأني وجدت أن هذا أفضل.

فتحت باب الشاحنة لها فصعدت إلى داخلها، كان الوضع غريبًا عندما التقت أعيننا، لأنه من المستحيل أن ينسى كلانا ما حدث في المرة السابقة عندما كنَّا معًا هنا في الشاحنة.

أغلقت بابها، وحاولت ألا أفكر في تلك الليلة، ألا أفكر فيها ولا في مذاق شفتيها. رفعت كينا قدميها على الدواسة بمجرد جلوسي على مقعد السائق، وأمسكت بربطة شعر ديم بتوترٍ بينما قدت الشاحنة نحو بيتها.

- لا أستطيع التوقف عن التفكير في ما قالته عن ديم، كونها الشخص الوحيد الذي تعرفه بخلافي في المدينة، لو أن هذا صحيحٌ، فإن ديم ليست شخصًا تعرفه فعلًا، هي تعرف أن ديم تعيش هنا وأنها موجودة وحية، لكن الشخص الوحيد الذي تعرفه حقًا في المدينة هو أنا.

لا أحب ذلك، الناس يحتاجون إلى الونس والرفقة، أين عائلتها؟ أين أمها؟ لماذا لم يحاول أي أحد منهم الوصول إلى ديم والتحدث إليها؟ لطالما تساءلت لماذا لا أحد.. لا أجداد من ناحية الأم، أو خالات أو أخوال حاولوا التواصل مع جريس وباتريك ليتعرفوا على ديم؟

- ولو كانت كينا لا تملك هاتفًا، فمع من تتحدث؟

- هل أنت نادم على تقبيلي؟

تشتَّت تركيزي عن الطريق عندما سمعت سؤالها، ظلَّت تحدق إليَّ في انتظار الإجابة، لذا ركزت على الطريق مجددًا ممسكًا بعجلة القيادة. وهززت رأسي بالإيجاب، لأنني فعلًا نادمٌ على ذلك، قد يكون لسببٍ آخر غير الذي تفكر هي فيه، لكنني كنت فعلًا نادمًا. ظللنا صامتين طوال الطريق إلى شقتها، ركنت شاحنتي في الحديقة ونظرت إليها، كانت تنظر إلى ربطة الشعر في يدها ثم وضعتها حول معصمها، ومن دون أن تنظر إليَّ تمتمت:

- شكرًا لتوصيلي.

فتحتْ باب الشاحنة ونزلت قبل أن أستجمع شجاعتي لأتمنى لها ليلة هانئة.

الفصل التاسع عشر

كينا

أحيانًا أفكر في خطف ديم..

لا أعرف لماذا لم أقم بذلك بعد؟ على ماذا أخاف؟ ليس كأن هناك حياة أسوأ من تلك التي أعيشها الآن، على الأقل عندما كنت في السجن كان لديَّ سببٌ يمنعني من رؤية ابنتي.

لكن الآن، السبب الوحيد الذي يمنعني هو الأشخاص القائمون على رعايتها، يؤلمني أن أكره من يرعونها، لا أريد أن أكن نحوهم أيَّ ضغينة. عندما كنت في السجن، كان من الصعب لومهم لأنني كنت ممتنة أنها تملك أشخاصًا يرعونها.

لكن الآن وأنا وحيدة في تلك الشقة، من الصعب مقاومة التفكير في أن خطف ديم والهرب معها بعيدًا عن هنا سيكون أمرًا رائعًا. حتى لو لبضعة أيام فقط قبل أن يُقبض عليَّ، سأمنحها كل شيء وهي معي؛ المثلجات، الهدايا، وربما رحلة إلى ديزني لاند، سنحظى بأسبوعٍ طويلٍ مترف قبل أن أسلِّم نفسي، وستتذكر هي ذلك إلى الأبد.

ستتذكرني..

وبعد سنين، عندما يُطلق سراحي للمرة الثانية من السجن، ستكون قد كبرت، وربما ستسامحني وتقبَلني، لأنه من الصعب ألا تغفر لأمٍ خاطرت بالعودة إلى السجن مرة أخرى في سبيل قضاء أسبوع واحدٍ رائع مع ابنتها.

الشيء الوحيد الذي يمنعني من خطفها هو احتمالية أن باتريك وجريس قد يغيِّران رأيهما يومًا ما، ماذا لو فعلا ذلك وسمحا لي بمقابلة ديم من دون أن أخرق القانون؟

وهناك أيضًا حقيقة أنها لا تعلم من أنا، هي لا تحبني لأنها لا تعرفني، سأنتزعها من الأهل الوحيدين الذين عرفتهم، وبينما تبدو تلك الخطة سعيدة لي، قد تكون مرعبة لديم.

لا أرغب في اتخاذ قراراتٍ أنانية، أود أن أصبح قدوة لديم، لأنه يومًا ما ستعرف من أنا وستقدِّر رغبتي في أن أكون جزءًا من حياتها. قد تمرُّ ثلاثة عشر عامًا قبل أن تقرر إن كانت تريدني في حياتها أم لا، ولهذا السبب فقط سأكافح من أجل أن أعيش الثلاثة عشر عامًا القادمة بشكلٍ يجعلها فخورة بي.

تقوقعتُ على نفسي وضممت جسدي في وضع الجنين محاولة النوم لكني لم أستطع، تدور الكثير من الأفكار في رأسي ولا تمنحني فرصة للراحة، أنا مصابة بالأرق منذ موت سكوتي، أقضي الليالي مستيقظة أفكر في ديم وسكوتي، والآن بتُّ أفكر في ليدجر أيضًا. جزء مني لا يزال غاضبًا لأنه تدخل ومنعني من رؤية ابنتي الأسبوع الفائت، لكن جزءًا مني يشعر ببعض الأمل عندما أكون إلى جواره، لا أشعر أنه

يكرهني، ربما ندم على تقبيلي لكني لا أهتم، لا أعلم حتى لماذا سألته عن هذا، ربما كنت أريد أن أفهم إذا كان نادمًا لأنه صديق سكوتي المفضل، أم أنه نادمٌ بسبب ما فعلته أنا مع سكوتي؟ ربما الاثنان.

تمنيت لو يراني ليدجر بأعين سكوتي، ربما وقتها يتحوَّل ليصبح في صفي. من المؤلم جدًّا أن تكون وحيدًا، بلا أصدقاء سوى مراهقة وقطة صغيرة.

كان يجب عليَّ أن أبذل جهدًا أكبر عندما التقيت جريس لأول مرة مع سكوتي، أحيانًا أتساءل لو كان هذا سيصنع فارقًا اليوم، فالليلة التي قابلت فيها والدي سكوتي كانت من أغرب ليالي حياتي، لم أعتد مقابلة عائلات كتلك، لا أراهم إلا في الأفلام والمسلسلات، بصراحة لم أتخيل قطُّ وجود عائلات بهذا الشكل، أب وأم منسجمان ومحبّان وعطوفان.

قابلانا أمام جراج المنزل، لم يريا سكوتي منذ ثلاثة أسابيع فقط لكنهما بدوا كأنهما لم يقابلاه من سنواتٍ، عانقاه بقوة، ليس عناقًا عاديًّا كالذي نفعله عند السلام، بل هو عناق يقول "نشتاق إليك كثيرًا"، عناق يقول: "أنت أفضل ابن في العالم".

عانقاني أيضًا لكنه كان عناقًا مختلفًا، سريعًا وترحيبيًّا، عناقًا يقول: "تشرفنا بمعرفتك".

عندما دخلنا المنزل، قالت جريس إنها تحتاج إلى إنهاء تحضير العشاء، أعرف أنه كان عليَّ عرض المساعدة لكنني لم أعتد الطهي في المنزل وكنت خائفة أن تلاحظ انعدام خبرتي، بدلًا من ذلك التصقت

بسكوتي كالغراء. كنت متوترة جدًّا، وشعرت أنني لا أنتمي إلى هذا العالم، وجودي مع سكوتي كان أقرب ما أمكنني الوصول إليه في مفهوم البيت والأسرة والعائلة.

لقد قاموا حتى بالصلاة قبل العشاء، تلى سكوتي الصلاة بنفسه. كان شيئًا صادمًا ومفاجئًا لي أن أجلس على طاولة عشاء أستمع إلى رجل يتلو صلاة الشكر إلى الرب لأنه منحه الطعام والعائلة وأنا. اندهشت لدرجة أنني لم أتحمَّل إبقاء عينيَّ مغمضتين، أردت أن أشعر بكل شيء وأرى كل شيء، أرى كيف يبدو الناس وهم يصلون صلاة العشاء، أن أحدق إلى هذه العائلة لأستوعب أنني ربما سأصبح جزءًا منها لو تزوجت سكوتي، أنني قد أحظى بأبوين وبوجبة أشارك في طهيها، وأن أتعلم أن أشكر الرب على الطعام والعائلة وسكوتي، أردت ذلك جدًّا، تمنيته من كل قلبي.

لم أعِش حياة طبيعية قطّ، لكنهم لم يعرفوا ذلك، رأيت جريس تسترق النظر إليَّ فور انتهاء الصلاة، ضبطتني وأنا أنظر حولي بينما يصلون، فأغلقت عينيَّ في نفس اللحظة التي قال فيها سكوتي : "آمين".

شعرتُ طوال العشاء أن جريس قد كوَّنت عني رأيًا سلبيًّا بالفعل، كنت خائفة جدًّا وصغيرة جدًّا لأعرف كيف في إمكاني أن أغيِّر لها رأيها هذا. لاحظت أن باتريك وجريس يتفاديان النظر إليَّ خلال العشاء، وفهمت أنني لم يكن عليَّ ارتداء هذا القميص، كان مفتوحًا جدًّا على الصدر، ارتديته لأنه المفضَّل لدى سكوتي لكني لم أضع

حسبانًا لأهله، ظللت طوال العشاء منحنية على طبقي أحاول مداراة صدري، وأشعر بالحرج من نفسي ومن كل ما عجزت أن أكون عليه.

بعد العشاء، ذهبت مع سكوتي إلى سيارته البورش المركونة بالخارج، كان والداه قد ناما، وفي اللحظة التي انطفأت فيها أضواء غرفتهما تنفَّست الصعداء، قال سكوتي وهو يناولني سيجارته: "امسكي بهذه، أحتاج إلى التبول".

كان يدخن من حين إلى آخر، أنا لا أدخن لكني لم أمانعه، كان الظلام قد حلَّ عندما عاد إلى المنزل، بينما وقفتُ مستندة إلى السيارة ممسكة بالسيجارة، فجأة ظهرت أمه أمام الباب، استقمت وحاولت إخفاء السيجارة خلف ظهري، لكنها كانت قد رأتها بالفعل. عادت إلى داخل البيت للحظات ثم ظهرت مجددًا أمامي لتناولني كوبًا أحمر، وتقول: "استخدمي هذا من أجل رماد السجائر، لا نملك مطفأة سجائر، فلا أحد منَّا يدخن".

كنتُ في غاية الحرج، كل ما استطعت قوله هو: "شكرًا لك"، ثم أخذت منها الكوب، وأغلقت هي الباب فورًا، بعدها عاد سكوتي من أجل سيجارته، فقلت له وأنا أناوله السيجارة والكوب: "أمك تكرهني".

- "لا.. هي لا تكرهك"، قبَّلني على جبهتي، وأكمل: "أنت وهي ستصيران صديقتين مقربتين يومًا ما".

سحب آخر أنفاس سيجارته ثم أطفأها وعدنا إلى المنزل. حملني وهو يصعد السلم الداخلي، رأيت صورًا معلقة على جدار السلم فطلبت منه أن يتوقف عند كل صورة ليتسنى لي رؤيتها. كانت صورًا مبهجة، الطريقة التي تنظر بها أمه له منذ طفولته لم تتغير إلى أن صار بالغًا. سألته وأنا أشير إلى صورته طفلًا: "من هذا الطفل اللطيف؟ كان عليهما أن ينجبا مثلك على الأقل ثلاثة".

- لقد حاولا، لكن أمي عانت من متاعب صحية منعتها من الإنجاب، كنت بمنزلة الطفل المعجزة، رغم أنهما تمنيا أن يحظيا بسبعة أو ثمانية أطفال على الأقل.

جعلني هذا حزينة على جريس، وصلنا غرفة سكوتي فوضعني على السرير، وقال: "لم تحدثيني قط عن عائلتك".

- لم أحظَ يومًا بعائلة.
- ماذا عن والديك؟
- أبي.. في مكان ما لا أعرفه، لقد تعب من الإنفاق علينا فغادرنا، وأنا وأمي علاقتنا سيئة، لم أحدثها منذ بضع سنوات.
- لماذا؟
- أنا وهي غير متوافقتين.
- ماذا تقصدين؟

سألني سكوتي بينما يتمدد بجانبي على السرير، كان يبدو صادقًا في رغبته في معرفة المزيد عن حياتي، أردت إخباره بالحقيقة لكني

لم أرد إخافته فيبتعد عني، رجل كبر في منزل كهذا، لم أعرف كيف سيشعر عندما يعلم أنني لست مثله، قلت:

- طوال عمري وأنا وحيدة، أهملتني أمي لدرجة أنهم وضعوني في مركز رعاية الأطفال مرتين، وفي كل مرة كانت تستردني وأعود للعيش معها، لقد كانت أمًّا سيئة، لكنني لم أفهم ذلك. أعتقد أنني بعد أن كبرت ورأيت العائلات الأخرى، بدأت في إدراك أنها لم تكن أمًّا جيدة، ولا حتى إنسانة جيدة، كان من الصعب عليَّ العيش معها، كانت تعاملني معاملة النِدّ، كأنني منافستها أو عدوتها ولست ابنتها. حياتي كانت جحيمًا، بعدما غادرت المنزل، توقفنا عن التواصل لفترة، توقفت عن الاتصال بي، وتوقفت أنا أيضًا عن الاتصال بها، لم نتحدث منذ عامين.

نظرت إلى سكوتي، كان وجهه حزينًا، لكنه لم يقل شيئًا، فقط مشَّط شعري بأصابعه وظل صامتًا، فسألته: "كيف هي الحياة مع عائلة رائعة؟".

- لم أكن أعلم أن عائلتي رائعة إلا الآن.

- نعم، لديك والدان رائعان وبيت رائع.

ابتسم بلطفٍ، وقال: "لا أعرف إن كنت قادرًا على الشرح، لكن وجودي هنا.. يجعلني أعيش حقيقتي أكثر من أي مكان آخر، أستطيع أن أبكي وأن أكون في مزاج سيئ، أن أجلس وحدي حزينًا أو سعيدًا، كل الأمزجة مقبولة هنا، لا أشعر هكذا في مكان آخر.

- الطريقة التي وصفت بها مشاعرك جعلتني أكثر حزنًا لأنني لم أحظَ بهذا.

انحنى سكوتي عليّ وقبَّل يدي:

- سأمنحك كل شيء، سنحظى ببيتٍ يومًا ما، وسأجعلك تختارين كل شيء فيه، تستطعين دهان البيت بأي لون تحبينه، تستطيعين إغلاق الباب والسماح فقط بمن تريدين لهم بالدخول؛ سيكون أجمل من أي مكان عشتِ فيه من قبل.

ابتسمت قائلة: "كأنك تصف لي الجنة".

قبَّلني، وبدأنا في ممارسة الحب، حاولت أن أكون هادئة قدر استطاعتي لكن البيت كان هادئًا جدًّا لدرجة أن أي صوتٍ يقطع سكونه مثل دوي الرعد. في الصباح التالي وبينما كنَّا مغادرين، لم تنظر جريس إلى وجهي، شعورها بالاستياء تسرَّب إليّ، وعلمت يقينًا في تلك اللحظة أنها لا تحبني.

في سيارته، سندت رأسي إلى زجاج النافذة، وقلت: "كان هذا مذلًّا، أظن أن أمك سمعتنا البارحة، ألم تلاحظ توترها؟".

- يبدو أنها مصدومة، هي أمي بعد كل شيء، لا تستطيع أن تتخيلني أضاجع أي فتاة، الأمر ليس شخصيًّا معك.

سندت ظهري إلى المقعد، وقلت: "أحببت أباك".

ضحك سكوتي: "ستحبين أمي أيضًا، المرة القادمة قبل زيارتهما سأحرص أن أضاجعك قبل أن نصل إلى هناك حتى تتمكن أمي من التظاهر أمام نفسها أنني لا أفعل مثل تلك الأشياء".

- وربما عليك التوقف عن التدخين أيضًا.

أمسك سكوتي يدي، وقال: "أستطيع فعل ذلك، المرة القادمة ستحبك جدًّا لدرجة أنها ستستعجلنا من أجل أن نتزوج وننجب لها أحفادًا".

قلتُ بحزنٍ: "ربما، لكني أشك في هذا، الفتيات مثلي لا يناسبن مثل هذه العائلة".

الفصل العشرون

ليدجر

مرَّت ثلاثة أيام منذ زيارة كينا لحانتي، وثلاثة أيام منذ قابلتها في محل البقالة، قلت لنفسي إنني لن أذهب إلى هناك مرة أخرى. قررت أنني سأبدأ بالتسوق في سوبر ماركت "ولمارت" مجددًا، لكن بعد تناول العشاء مع ديم أمس. قضيت الليل كله أفكر في كينا، منذ عودتها إلى المدينة، لاحظت أنني كلما قضيت وقتًا أطول مع ديم ازداد فضولي حول كينا. أصبح لديَّ شيء لأقارن به تصرفات ديم الغريبة، أصبحت شخصيتها مفهومة أكثر الآن. لأنها لا تشبه سكوتي، شخصية سكوتي كانت واضحة ومحددة، لأنه لم يملك خيالًا خصبًا مثل ديم، وكنت أرى ذلك ميزة كبرى فيه، أراد دومًا أن يفهم كيف تعمل الأشياء ولمَ بمنطقية. لم يضيع وقته على تفسيرات غير قائمة على العلم. أما ديم فعلى عكسه تمامًا، وكنت أتساءل ممن ورثت ذلك؟ هل تملك كينا شخصية عقلانية مثلما كان سكوتي، أم تحب استخدام مخيلتها مثل ديم؟ هل هي فنانة؟ هل تحلم بلم شملها مع ابنتها؟ والأهم هل هي شخص جيد؟

سكوتي كان طيبًا، وكنت أميل إلى أن كينا ليست كذلك بسبب ما حدث في تلك الليلة، لم أظلمها لكنني كنت أضع السبب والنتيجة. السبب هو القرار المريع الذي اتخذته وقتها، لكن ماذا لو كنًّا نبحث عن شخصٍ لنلومه بسبب شدة ألمنا؟ لم يخطر ببالي لو للحظة أن كينا تتألم مثلنا.

لديَّ العديد من الأسئلة لها، أسئلة لا أريد لها إجابة، لكنني أريد أن أفهم ماذا حدث بالضبط في تلك الليلة؟ ماذا كانت نواياها؟ ما سر تصرفها؟ لديَّ شعورٌ بأنها لن تغادر المدينة من دون قتال، وعلى الرغم من رغبة باتريك وجريس في التخلص منها، فهي لن ترحل بسهولة، ربما لذلك أنا هنا، جالس في شاحنتي أتابعها وهي تضع المشتريات في عربات الزبائن، لست متأكدًا إن كانت لاحظتني وأنا أتلصص عليها لنصف ساعة كاملة، على الأغلب لاحظت، ليس من الصعب ملاحظة شاحنتي وسط السيارات المحيطة بها.

سمعت طرقًا على نافذة الشاحنة جعلني أقفز من مكاني، التفتُّ لأرى جريس وهي تحمل ديم على كتفها، ففتحت بابي فورًا:

- ماذا تفعلين هنا؟

نظرت إليَّ جريس بريبة، وبدا أنها لم تتوقع مني رد الفعل غير المرحب هذا، قالت: "كنَّا نشتري البقالة ورأينا شاحنتك".

صاحت ديم وهي تلقي نفسها عليَّ: "أريد أن أذهب معك".

انحنيت باتجاهها لأحملها بدلًا من جريس، وأنا أتلفَّت حولي لأتأكد من أن كينا ليست بالخارج، قلت لجريس: "يجب أن تغادرا فورًا".

"ما الخطب؟" سألت جريس.

كانت قد ركنت سيارتها أمام شاحنتي فأسرعت باتجاهها، وقفت أمام السيارة ونظرت إلى جريس محاولًا اختيار كلماتي جيدًا: "إنها تعمل هنا".

بدت الحيرة على وجه جريس للحظات قبل أن تفهم من أقصد، شحب وجهها، وقالت بصوتٍ مرتعشٍ: "ماذا؟".

- هي في مناوبتها الآن، عليك أن تغادري فورًا مع ديم.

صاحت ديم مرة أخرى: "لكني أريد أن أذهب معك".

- سأعود من أجلك لاحقًا.

قلتها وأنا أجذب مقبض الباب، لكن السيارة كانت مغلقة. نظرت إلى جريس لتفتحها فرأيتها متجمدة في مكانها كما لو كانت غير واعية. فصحت: "جريس!".

صيحتي أعادتها إلى وعيها، فبدأت بالبحث عن مفاتيحها في حقيبتها، كان هذا عندما رأيتُ كينا، وكان هذا عندما رأتني كينا.

- أسرعي.

قلتُ بصوتٍ منخفضٍ، وأنا أرى يد جريس ترتعش بينما تفتح الباب. توقفت كينا عن السير في منتصف ساحة الانتظار وهي تحدق إلينا، بدت كأنها تحاول استيعاب أن ابنتها على بُعد أمتار منها، ثم

سرعان ما تحركت، تخلَّت عن عربة التسوق الخاصة بالزبونة الواقفة معها، وبدأت بالركض في اتجاهنا.

فتحت جريس قفل السيارة أخيرًا، فجذبت مقبض الباب الخلفي، ووضعت ديم في مقعدها. لا أعلم لماذا شعرت بأنني أسابق الزمن، ليس كأن كينا ستنجح في نزع الطفلة من بين أيدينا نحن الاثنين، لكني لم أرد أن تواجه جريس الآن، ليس أمام ديم، كما أن هذا ليس الوقت ولا المكان المناسبين لتقابل فيه كينا ابنتها لأول مرة، سترتعب ديم، وسيتحول الأمر إلى فوضى.

- انتظروا!

سمعت كينا تصرخ، لم تكن ديم مثبتة في مقعدها بالكامل عندما طلبت من جريس الابتعاد وأغلقت الباب، تحركت جريس بالسيارة إلى الخلف لتخرج من مكان ركنتها، بمجرد أن وصلت كينا كانت جريس قد انطلقت فركضت خلف السيارة، رغبت في الإمساك بها وسحبها إلى الخلف بعيدًا عن باب السيارة إلا أنني لم أقدر، شعرت كأن يديَّ مشلولتان، ربما لأنني ما زلت أندم على طردي لها من أمام باب منزلهم.

اقتربت كينا من السيارة بما يكفي لتطرق عليها بقبضتيها، وهي تتوسل:

- انتظري! جريس انتظري أرجوكِ!

لم تنظر إليها جريس حتى، ابتعدت بالسيارة بينما تصر كينا على الركض خلفها، عندما أدركت أخيرًا أنها لن تتمكن من اللحاق بهما توقفت، والتفتت نحوي بوجه مغطى بالدموع.

غطّت فمها بيديها وانتحبت، كانت مشاعري متناقضة، ارتحت لأنها لم تصل إلينا في الوقت المناسب، وتألّمتُ لأنها لم تفعل. أردت لكينا أن تقابل ابنتها، ولكني لم أرد لديم أن تقابل أمها، حتى ولو كان الأمران شيئًا واحدًا ومتماثلًا، أشعر بأنني شيطان في عيني كينا، رغم أني الملاك الحارس لديم، كانت كينا على شفا الانهيار، ليست في حالة تسمح لها بإنهاء مناوبتها، فأشرت إلى شاحنتي، وقلت: "سأوصلك إلى المنزل، ما اسم مديرتك؟ سأخبرها بأنكِ لستِ بخيرٍ".

مسحت دموعها بيديها، وقالت: "إيمي" ثم سارت بظهرٍ منحنٍ نحو شاحنتي. أعتقد أنني أعلم أي إيمي تعني، أظنني رأيتها في المتجر من قبل.

كانت العربة التي تركتها كينا لا تزال في نفس المكان، بجوارها تقف السيدة العجوز ومشترياتها لا تزال بجانب سيارتها، تنظر إلى كينا بدهشة وهي تتسلق إلى داخل شاحنتي، بدا أنها تتساءل عن سبب كل هذه الضجة بحق الجحيم!

أسرعت نحو العربة، ودفعتها إلى سيارة السيدة وقلت وأنا أضع مشترياتها في صندوقها الخلفي: "آسف على ما حدث".

أومأت السيدة، وأغلقت غطاء السيارة، وقالت: "أتمنى أن تكون بخيرٍ".

- هي كذلك.

انتهيت من مساعدتها، ثم دفعت العربة إلى المتجر، واتجهت نحو مكتب خدمة العملاء لأجد إيمي واقفة، حاولت أن أبتسم لها، لكن في تلك اللحظة كان هناك الكثير من الاضطراب داخلي يمنعني حتى من تزييف ابتسامتي. قلت وأنا أتحاشى النظر إلى عينيها: "كينا ليست بخيرٍ، سأوصلها إلى منزلها، أردت أن أخبرك فقط".

- أووه لا، ماذا حدث؟

- ستكون بخيرٍ، هل تعلمين لو كان لديها أيّ شيء أحتاج إلى أخذه من أجلها؟ حقيبة مثلًا؟

أومأت إيمي: "أجل، هي تستخدم الخزانة رقم اثني عشر في غرفة الاستراحة".

أشارت إلى الباب خلف مكتب خدمة العملاء، دُرت حول المكتب، وتحركت إلى الباب المؤدي إلى غرفة الاستراحة. رأيت الفتاة جارة كينا تجلس على الطاولة، نظرت إليّ عابسة، وقالت: "ماذا تفعل في غرفة استراحتنا أيها الوغد؟".

لم أحاول الدفاع عن نفسي، هي بالفعل حسمت رأيها عني، وفي تلك اللحظة، كنت أتفق معها. فتحت بابَ الخزانة رقم اثني عشر وأمسكت حقيبة كينا، كانت شنطة يدٍ صغيرة مفتوحة من الأعلى، لذا رأيت حزمة سميكة من الأوراق محشورة بداخلها، بدت كخطاباتٍ، حاولت ألا أنظر لكن عينيَّ وقعتا لا إراديًّا على أول سطر من أول صفحة..

عزيزي سكوتي..

أردت أن أكمل القراءة، ولكني أغلقت الحقيبة احترامًا لخصوصيتها. خرجت من غرفة الاستراحة، وقلت للفتاة: "كينا مريضة، سأوصلها إلى المنزل، لكن هل يمكنك أن تطمئني عليها هذا المساء؟".

تفحصتني الفتاة بشكٍ، ثم قالت: "حسنًا أيها الوغد".

أردت أن أضحك، لكن كان هناك الكثير من الأشياء التي تمنعني. عندما عدت إلى إيمي، قالت: "أخبرها أنني حسبت لها اليوم كإجازة، وأن تتصل بي لو احتاجت إلى أي شيء".

لا تملك كينا هاتفًا، لكني أومأت قائلًا: "حسنًا سأفعل، شكرًا لك يا إيمي".

عندما وصلت إلى الشاحنة رأيت كينا منكمشة في مقعدها تستند برأسها إلى النافذة. ارتبكتْ عندما فتحتُ الباب، فوضعتُ حقيبة يدها بيننا، سحَبَتها ناحيتها وهي لا تزال تبكي ولكنها لم تقل أي شيء، لذا لم أقل شيئًا، لا أعلم حتى ماذا أقول؛ أنا آسف؟ هل أنت بخيرٍ؟ هل أنا حقًّا وغد؟

خرجت من ساحة الانتظار، ولم أكد أتحرك نصف ميل حتى سمعت كينا تتمتم بشيء يشبه: "توقف/اركن هنا"، نظرت إليها، ولكنها كانت تنظر من النافذة، وعندما لم ألتفت إلى كلامها، ردَّدت نفس الجملة: "توقف هنا"، بصوتٍ أعلى.

- ستكونين في المنزل خلال دقيقتين.

ركلت لوحة القيادة الشاحنة وصاحت: "توقف هنا!".

لم أقل شيئًا، فعلت كما قالت، توقفت وركنت بجانب الطريق فأمسكت بحقيبتها وغادرت الشاحنة ثم أغلقت الباب بقوة، وبدأت بالمشي نحو شقتها. عندما ابتعدت عدة أمتار تتبعتها بالشاحنة حتى صرت بجوارها، ثم أنزلت زجاج السيارة، وقلت: "كينا.. عودي إلى الشاحنة".

- أنت أمرتها أن ترحل، رأيتني قادمة فأخبرتها أن ترحل! لماذا تستمر بفعل هذا بي؟

ظللت أقود بنفس سرعة حركتها فتوقفت ونظرت إليَّ من خلال النافذة:

- لماذا؟

ضغطت الفرامل ويدي ترتعش، ربما بسبب الإدرينالين، ربما بسبب شعوري بالذنب أو الغضب: "هل تظنين حقًّا أن ساحة انتظار السيارات لمحل البقالة هي أنسب مكان لمواجهة جريس؟".

- حسنًا، حاولت فعل ذلك في منزلهم لكن كلينا يعلم كيف انتهى الأمر.

هززت رأسي، لا أعلم بالموافقة على كلامها أو الإنكار، حاولت تجميع أفكاري لكني كنت مرتبكًا جدًّا لأنني بشكلٍ ما أعرف أنها على حق، هي حاولت الاقتراب منهم بطريقة لائقة في أول مرة، لكني أوقفتها حينها أيضًا.

- هما ليسا مستعدين لِمَا أنت هنا من أجله، حتى لو لم تكوني هنا لأخذها منهما، هما ليسا بالقوة الكافية لمشاركتك إياها، لقد منحا ديم حياة جيدة، كينا، هي سعيدة وآمنة، أليس هذا كافيًا؟

بدت كينا كأنها توقفت عن التنفس، لكنها شهقت فجأة، ثم سارت إلى خلف الشاحنة حتى لا أتمكن من رؤية وجهها، وقفت ثابتة للحظة ومن ثم تحركت نحو العشب على جانب الطريق وجلست، رفعت ركبتيها وضمَّتهما إليها محدقة إلى الحقل الفارغ. لم أعرف ماذا عليَّ أن أفعل، أمنحها عدة دقائق أو أقترب منها؟ انتظرت لدقائق لكنها لم تتحرك، لذا قررت أخيرًا أن أخرج من الشاحنة، عندما وصلت إليها لم أقل شيئًا، جلست صامتًا إلى جوارها.

استمرت السيارات والعالم في الحركة من خلفنا، لكن أمامنا كان كل شيء ثابتًا، الحقل الواسع والأفق الممتد، نتأمله دون أن ننظر إلى دون أن ينظر أحدنا إلى الآخر. بعد لحظات.. انحنيتُ واقتلعتُ زهرة صفراء من العشب وأعطيتها إياها، داعبتها بأصابعها فلم أستطع رفع عيني من عليها، أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته بحرارة، وبدأت في الكلام:

- أخبرتني الأمهات اللاتي مررن بنفس التجربة كيف سيكون الوضع، قلن أنهم سيأخذونني إلى المستشفى للولادة، وسيمنحونني يومين معها، يومين كاملين فقط أنا وهي.

انسابت الدموع من عينيها، وأكملت: "لن أستطيع أن أصف لك كم كنت أتوق إلى هذين اليومين، لم أتطلع إلى شيء آخر سواهما،

لكنها ولدت قبل موعدها، لا أعلم إن كنت تعرف ذلك، لكنها كانت طفلة مبتسرة، ولدت قبل ستة أسابيع من ميعادها، لم تكتمل رئتاها..".

زفرت كينا، وأكملت: "بعد ولادتها نقلوها إلى الحضانة في مستشفى آخر، قضيت اليومين وحدي في غرفة الإفاقة مع حارسٍ مسلحٍ يراقبني، وعندما مرَّ اليومان، أعادوني مجددًا إلى السجن، لم أتمكَّن من حملها وضمِّها، لم أحظَ بفرصة النظر إلى أعين الطفلة التي صنعناها أنا وسكوتي".

- كينا...

- لا تقل شيئًا، أيًّا كان ما أنت على وشك قوله.. لا تقله، أكذب لو قلت أنني لم آتِ إلى هنا بأملٍ سخيف بأنه سيتم الترحيب بي في حياتها، وحتى منحي دورًا ما فيها، ولكني أيضًا أعرف جيدًا أنها في المكان الذي تنتمي إليه. لذا كنت سأمتن لأي شيء. كنت سأمتنُّ لمجرد النظر إليها، حتى ولو كان ذلك هو كل ما سأحصل عليه، سواء كنت أنتَ أو والدا سكوتي تعتقدون أنني أستحق ذلك أم لا.

أغلقت عينيَّ لأن صوتها كان مؤلمًا بما يكفي، رؤيتها ورؤية المعاناة على وجهها يجعلان الأمر أسوأ.

- أنا شاكرة جدًّا لهما، صدقني.. طيلة الوقت الذي كنت حاملًا فيه لم أشك قط بأنهما الأفضل لتربيتها، هما من ربيا سكوتي، وسكوتي كان مثاليًّا.

سكتت لبضع ثوانٍ، لذا فتحت عينيَّ، رأيتها تنظر إليَّ، هزَّت رأسها، وقالت بصوتٍ نادم: "أنا لست سيئة يا ليدجر، أنا لست هنا لأنني أظن بأنني أستحقها، آردت فقط أن أراها هذا كل شيء".

مسحت عينيها بقميصها، وأكملت: "أحيانًا أفكر فيما كان سكوتي ليعتقد لو كان قادرًا على رؤيتنا اليوم، جعلني هذا أتمنى بأن لا توجد حياة أخرى بعد الموت، لأنها لو كانت موجودة فأعتقد أن سكوتي هو الشخص الوحيد الحزين في الجنة.

أصابتني هذه الكلمات في مقتلٍ، لأنني مرتعبٌ من أن تكون على حقٍ، هذه هي أكبر مخاوفي منذ ظهرت مجددًا، وبدأت في النظر إليها على أنها المرأة التي أحبها سكوتي، وليست المرأة التي تركته ليموت. وقفتُ وتركتُ كينا وحيدة على العشب، مشيت نحو شاحنتي لجلب هاتفي، ثم عدت إليها، جلستُ بجانبها، وفتحت معرض الصور ثم الملف الذي يحوي كل فيديوهات ديم، فتحت آخر مقطع، الذي سجلته الليلة الماضية حين اصطحبتها إلى العشاء ثم ناولت كينا الهاتف. لم أتخيل كيف سيكون إحساس أم ترى ابنتها للمرة الأولى، كان المشهد مؤثِّرًا جدًّا، لم تقوَ كينا على التقاط أنفاسها بمجرد أن رأت ديم على الشاشة، وضعت يدها على فمها وانخرطت في البكاء. بكت بشدة لدرجة أنها اضطرَّت إلى وضع الهاتف على ساقيها لتمسح دموعها بقميصها، بدت كأنها امرأة أخرى، كما لو أنني أشهد تحوُّلها إلى أم. أعتقد أن هذا هو أجمل مشهد رأته عيناي، وشعرت بأنني أسوأ إنسان في العالم، لأنني لم أساعدها على عيش تلك اللحظة في الحقيقة، تمتمت لنفسي: أنا آسف يا سكوتي.

شاهدتْ أربعة مقاطع من الفيديو، وهي جالسة على العشب على جانب الطريق، بكت كثيرًا ولكنها ابتسمت كثيرًا، كانت تضحك في كل مرة تتكلم فيها ديم، تركت هاتفي معها لتشاهد المزيد من الفيديوهات بينما أقلها إلى منزلها.

صعدت معها الدرج حتى وصلت إلى شقتها، لأنني رغبت أن أترك هاتفي معها لأطول وقتٍ ممكنٍ. ظلَّت تشاهد الفيديوهات لمدة ساعة كاملة تحوَّلت فيها من الضحك إلى البكاء، من الحزن إلى السعادة. لم أعرف كيف سأستعيد هاتفي منها، لا أعلم إن كنت حتى أريد ذلك. بقيت معها لمدة لم أتبيَّنها لدرجة أنني وجدت نفسي جالسًا وقطة كينا نائمة في حضني. أنا على طرف الأريكة وكينا على الطرف الآخر، لا أفعل شيئًا سوى مراقبتها وهي تشاهد فيديوهات ديم، أشعر بفخر أب لأن كينا ترى ابنتها بصحة جيدة، قادرة على التعبير عن نفسها، مرحة وسعيدة ومثالية، لكني في نفس الوقت أشعر بالذنب لأنَي أخون اثنين من أهم الأشخاص في حياتي.

لو علم باتريك وجريس أنني هنا الآن، أدع كينا تشاهد فيديوهات عن لحظات حياة الطفلة التي ربياها. من المرجح أنهما لن يكلماني مجددًا، ولن ألومهما على ذلك. لا يوجد طريقة للخروج من هذا الموقف بطريقة تجعلني لا أشعر بالذنب بشكلٍ ما، فأنا أخون كينا بمنعها عن ديم، وأخون باتريك وجريس بسماحي لكينا رؤية لمحات من حياة ديم، أشعر أنني أخون سكوتي أيضًا من دون أن أعرف كيف بعد، ما زلت أحاول فهم من أين يأتي هذا الشعور بالذنب تجاهه.

قالت كينا: "إنها سعيدة جدًّا".

- نعم.. هي سعيدة، سعيدة جدًّا.

نظرت كينا إليَّ ومسحت دموعها بمنديلٍ مكرمش أعطيتها إياه في الشاحنة: - هل سألت عني من قبل؟

- ليس بالضبط، لكنها بدأت تتساءل من أين جاءت، الأسبوع الماضي سألتني إن كانت قد خرجت من شجرة أم بيضة تنين!

ابتسمتْ كينا فأكملتُ: "هي ما زالت صغيرة لتفهم بشكلٍ كاملٍ مما تتكوّن العائلة، لديها أنا وباتريك وجريس، لكني لا أعلم إن كانت تشعر بأنها تفتقد أحدًا، لا أعلم إن كان هذا ما تريدين سماعه لكني فقط أقول الحقيقة".

هزَّت كينا رأسها: "بالعكس، هذا يشعرني بالراحة كونها لم تدرك أنني غائبة عن حياتها بعد".

شاهدت فيديو آخر قبل أن تمرِّر إليَّ الهاتف، واتجهت إلى الحمام وهي تقول: "أرجوك لا ترحل".

أومأت مطمئنًا إياها أنني لن أذهب إلى أي مكان، عندما أغلقت باب الحمام قفزت قطة كينا إلى الأرض، فنهضت لأبحث عن شيء لأشربه. كل هذه الدموع أشعرتني بالظمأ رغم أن كينا هي من بكت وليس أنا.

فتحت ثلاجة كينا، لكنها كانت فارغة، فارغة تمامًا، خرجت كينا من الحمام في نفس اللحظة لتراني واقفًا أنظر داخل ثلاجتها الفارغة مثل بيتها. قالت بحرجٍ: "ليس لدي شيء بعد، أنا آسفة.. الأمر

فقط.. أنني أنفقت كل ما أملك للانتقال إلى هنا، سأستلم مرتبي قريبًا، وأخطط للانتقال إلى مكانٍ أفضل والحصول على هاتف و...

رفعت يدي عندما شعرت بأنها تعتقدني أحكم على قدرتها على الإنفاق على نفسها أو حتى على ديم: "كينا، لا داعي للشرح، أنا أحترم تصميمك الذي أوصلك إلى هنا، لكن يجب عليك أن تأكلي".

وضعت هاتفي في جيبي، وتوجهت ناحية الباب وقلت مبتسمًا: "اسمحي لي بدعوتك إلى العشاء الليلة.. لا مجال للرفض".

الفصل الواحد والعشرون

كينا

تشبهني ديم تمامًا. نملك نفس الشعر والعينين، وحتى استدارة الأصابع، ممتنة لأنها ورثت ضحكة سكوتي وابتسامته، كانت مشاهدة فيديوهاتها بمنزلة تذكرة بكيف كان سكوتي، لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ لم أرَ فيه حتى صورته وأنا في السجن، كنت قد بدأت أنسى ملامحه، لكني رأيته فيها وأنا ممتنة لذلك.

أنا ممتنة لمعرفة أن باتريك وجريس يرعيان دايم، ما زالا يستطيعان رؤية بعض ملامح ابنهما فيها، كنت دائمًا قلقة من فكرة أنها ربما تشبهني أكثر من اللازم، لأنهما قد لا يريان سكوتي فيها. ظننت أنني سأشعر باختلاف بعد رؤيتها، بأنني سأتوقف عن افتقادها، أو على الأقل سأُشبع حنيني الجارف إليها، لكن ما حدث كان العكس، كأن شخصًا حشا جُرحي بالملح، ظننت أن رؤيتها سعيدة ستسعدني لكنها بطريقة ما أحزنتني أكثر، بشكلٍ أناني جدًّا.

ليس من الصعب أن تحب طفلًا أنجبته حتى لو لم تره قطُّ، لكن من المستحيل أن ترى ملامحه وتسمع صوته وكيف يضحك ويتكلم ثم تتحمَّل بألا تكون قادرًا على رؤيته ولمسه كل يوم، أن تتركه وترحل.

لكن هذا هو ما يريده مني الجميع، أن أترك طفلتي وأذهب بعيدًا، مجرد التفكير في ذلك يقلص أمعائي، كأنها حبالٌ معقودة، وتلك الحبال على وشك أن تفك.

ليدجر على حقٍّ، أنا في حاجة إلى الطعام، لكن بمجرد أن وضعت أول لقمة في فمي حتى شعرت بالإرهاق والغثيان وبتدفق الأدرينالين والمشاعر، لا أفكر سوى في ما حدث خلال الساعات الفائتة، ولا أعلم إن كنت أستطيع الأكل.

اشترى ليدجر شطيرتين من البرجر، وجلسنا في شاحنته لنأكل. أعلم لماذا لم يرد أن يأخذني إلى مكانٍ عام. رؤيته معي غالبًا لن تمر بسلام مع جدي ديم، ليس الأمر كأنني أعرف الكثير من الناس في هذه المدينة، لكن البعض قد يتعرف عليَّ. لم أقابل ليدجر من قبل، لكني قابلت بعض أصدقاء سكوتي الآخرين، وهذه مدينة صغيرة، من السهل أن تتم ملاحظتي من قِبَل أي شخص فضولي بما يكفي ليحفظ شكلي، الناس تحب الشائعات الجيدة، وأنا مصدر غني لها.

لا ألوم أحدًا سوى نفسي، كل شيء كان سيكون مختلفًا لو لم أشعر بالذعر في تلك الليلة، لكني فعلت، وقبلت بعاقبة ذلك، قضيت أول سنتين من حبسي أعيد تقييم حياتي، وأفكر في كل قرار أخذته، وأتمنى أن أعود بالزمن إلى الخلف لأصحح كل شيء.

قالت لي إيفي ذات يومٍ: "الندم يبقيك ثابتة في مكانك، وكذلك السجن، عندما تخرجين من هنا تأكدي من ترك كل شيء خلفك حتى تتمكني من المضي قدمًا".

أنا خائفة من المضي قدمًا، لأنه ماذا لو كانت الطريقة الوحيدة لذلك هي أن أمضي قدمًا من دون ديم؟

قال ليدجر: "هل يمكنني أن أسألك سؤالًا؟".

نظرت إليه، كان قد أنهى طعامه بينما لم آكل سوى ثلاث قضمات من شطيرتي. بدا وسيمًا، وسيمًا بشكلٍ يختلف عن سكوتي، يشبه سكوتي ابن الجيران اللطيف، أما ليدجر فيشبه الشخص الذي يتنمر على ابن الجيران، مظهره قاسٍ وخشن، وحقيقة أن يملك حانة لا تحسِّن صورته، لكنه ليس قاسيًا من الداخل وهذا أهم شيء.

- ماذا ستفعلين لو منعاكِ من مقابلتها؟

شعرت بالغثيان من مجرد التفكير في ذلك، ولم أعُد جائعة، هززت كتفيَّ وقلتُ: "أعتقد أنني سأرحل بعيدًا، لا أريد أن أشعر كما لو أنني مصدر تهديدٍ".

أجبرت نفسي على أكل إصبعًا من البطاطس لأنني لم أعرف ماذا عليَّ أن أقول بعد ذلك. أخذ ليدجر رشفة من الشاي، كان المكان هادئًا وشعرت كأن اعتذارًا معلقًا في الهواء بيننا، لكني لم أعلم من عليه أن يعتذر أولًا، لكن ليدجر أنقذني من التفكير، واعتدل في مقعده قائلًا بصوتٍ نادم: "أشعر أنني مدين لك باعتذارٍ لمنعك من...".

قاطعته: "لا بأس، كنت تفعل ما ظننته في صالح ديم. على قدر غضبي من أنني لم أتمكن من رؤيتها، لكني سعيدة لأن ابنتي تمتلك أناسًا مثلكم في حياتها يحمونها بهذه القوة".

حدق إليَّ بوجه خالٍ من التعبير، فلم أعرف بما يفكر، مال برأسه قليلًا نحو طعامي الذي تركته كما هو وسألني: "ألست جائعة؟".

- أنا مرهقة جدًا حتى لتناول الطعام، سأخذه معي إلى المنزل.

وضعتُ الشطيرة في الكيس مع بقيّة البطاطس، ثم طويت الكيس ووضعته بيني وبين ليدجر. قلت: "هل يمكنني أن أسألك سؤالًا أنا أيضًا؟".

- طبعًا.

ملت برأسي نحو مقعده، ونظرت إلى وجهه: "هل تكرهني؟".

تفاجأت عندما خرج السؤال من فمي، لكني رغبت في معرفة مشاعره تجاهي. مشاعره غامضة، فمثلًا عندما كنَّا في منزله، بدا أنه يكرهني بنفس القدر الذي يكرهني به والدا سكوتي، لكن في أوقاتٍ أخرى، مثل الآن، ينظر إليَّ كأنه يتعاطف معي. أردت أن أعلم إن كان عدوًا أم صديقًا، أحتاج إلى أن أعرف إن كان هناك أي شخص في صفي، لو كان كل ما أملكه هم الأعداء، فما الذي أفعله هنا؟

مال ليدجر على الباب بجانبه، وأراح مرفقه على النافذة المفتوحة، نظر أمامه وقال، وهو يحك فكَّه: "كوَّنت رأيًا عنك بعد وفاة سكوتي، كل تلك السنين كنتِ مثل شخص افتراضي، شخص أستطيع أن أطلق عليه أحكامًا قاسية، وألقي اللومَ عليه من دون أن أعرفه، لكن الآن وأنتِ أمامي، لا أعرف إن كنت ما زلت أريد أن أقول لك كل تلك الأشياء التي رغبت في قولها مسبقًا".

- لكنك ما زلت تشعر بنفس الشعور؟

- "لا أعلم يا كينا" عدَّل جلسته ليقترب مني، وأكمل: "عندما رأيتك في حانتي لأول مرة، ظننتُ أنكِ أكثر فتاة مثيرة للاهتمام قابلتها في حياتي، لكن بعد أن رأيتك اليوم التالي أمام منزل باتريك وجريس ظننتُ أنكِ أكثر شخص مثيرٍ للاشمئزاز قابلته في حياتي".

صراحته ملأت قلبي بالحرج، لكني قلت: "واليوم؟".

نظر إلى عينيَّ: "اليوم؟.. اليوم أتساءل إن كنت أكثر فتاة حزينة قابلتها في حياتي".

ابتسمت رغم ألمي، لأنني ببساطة لم أرد أن أبكي.. قلت: "كل ما سبق".

ابتسم نفس الابتسامة الحزينة، وقال: "كنت خائفًا من هذا".

رأيت في عينيه أسئلة كثيرة، كثيرة جدًّا لدرجة أنني أشحت بنظري بعيدًا لأتجنَّبها، جمع ليدجر الأكياس الفارغة وبقايا الطعام وخرج من الشاحنة ليلقيها في صندوق القمامة. عندما ظهر مرة أخرى بجوار باب السائق لم يدخل، فقط أمسك بحافة الشباك وحدق إليَّ، ثم سألني: "ماذا سيحدث لو قررتِ الرحيل؟ ما هي خططك؟ ما هي خطوتك القادمة؟".

- لا أعلم.. لم أفكر بعد في المستقبل، كنت متمسكة بأمل أنهما سيغيران رأيهما، لكنك دونًا عن الجميع تعرف كيف يفكران.. هل تعتقد أنهما سيمنحاني فرصة؟

لم يجِب ليدجر، لم يهز رأسه بالنفي أو الإيجاب، تجاهل السؤال، وصعد إلى الشاحنة، أدارها وانطلق خارجًا من ساحة الانتظار، لكني فهمت أن عدم إجابته هي إجابة بحد ذاتها، فكرت في الأمر طيلة الطريق إلى المنزل، تساءلت متى سأتوقف عن الخسارة؟ متى سأتقبَّل أن حياتي ربما تستمر من دون ديم؟

عندما توقف أمام بنايتي كان حلقي جافًّا وقلبي فارغًا، خرج ليدجر من الشاحنة ولفَّ ليفتح لي الباب، وقف ساكنًا أمامي، ولكنه بدا كأنه يريد قول شيء، أعرفه من الطريقة التي يقف بها معقود الذراعين، يحرك قدمه إلى الأمام والخلف، وينظر في الأرض.

- لم يبد الأمر جيدًا، تعلمين، لأبيه وللقاضي ولكل من كان في قاعة المحكمة... كنت فقط تبدين...

لم يقدر على إكمال الجملة.. فقلت: "كيف بدوتُ؟".

التقت أعيننا.. تردد لحظة ثم قال: "لا مبالية..".

أصابتني كلمته في مقتلٍ، يعتقدون أنني لم أتأثَّر؟ لقد كنت محطمة تمامًا، شعرتُ بأنني على وشك البكاء مرة أخرى، وأنا بكيت بما يكفي اليوم، أمسكت بحقيبتي وطعامي وغادرت الشاحنة، أفسح لي ليدجر لكي أمرَّ. عندما لمست قدماي الأرض مشيت بسرعة لأنني أردت التقاط أنفاسي، ولم أعرف كيف أرد على ما قاله، هل هذا ما يجعلهم رافضين رؤيتي لابنتي؟ يعتقدون أنني لا أهتم؟ سمعت خطواته تتبعني فأسرعت صاعدة إلى شقتي، تركت الباب مفتوحًا خلفي، ودخلت لأضع أشيائي على الطاولة، وقف ليدجر أمام الباب، بينما استندت أنا إلى الطاولة أحاول استيعاب ما قاله.

بعد لحظات استدرت إليه، تفصلنا الغرفة التي بيننا، وقلت: "علاقتي بسكوتي هي أفضل شيء حدث في حياتي، لم أكن لا مبالية، كنت محطمة تمامًا لأتكلم، أخبرني المحامي أن عليَّ كتابة شهادتي لكني لم أنم لأسابيع، لم أقوَ على كتابة كلمة واحدة على الورق.. كان الأمر..".

ضغطت بيدي صدري وأكملت: "كنت محطمة يا ليدجر، صدقني، كنت محطمة تمامًا لدرجة أنني لم أدافع عن نفسي، أو أهتم بما سيحدث في حياتي، لم أكن بلا مشاعر، كنت محطمة".

بكيت مجددًا، سئمت من كل هذه الدموع اللعينة، التفتُّ بعيدًا عنه لأنني متأكدة من أنه سئم منها أيضًا.

سمعت صوت غلق الباب، هل رحل؟ التفتُّ لأجد ليدجر يقف داخل الشقة ويمشي ببطء نحوي، ثم انحنى على الطاولة وعقد ذراعيه أمام صدره، ثم نظر إلى الأرض صامتًا للحظة، فالتقطت منديلًا مستخدمًا من على الطاولة لأمسح وجهي، نظر إليَّ ليدجر وسألني: "من سيستفيد؟".

انتظرت توضيحًا أكثر لأنني لم أفهم ماذا يقصد بسؤاله.. فأكمل: "لن يستفيد باتريك وجريس من مشاركتك حضانة ديم سيجعلهم هذا أكثر توترًا، ولم يتمكنا من تحمُّل الأمر عاطفيًّا. وديم.. هل ستستفيد شيئًا؟ لأنها الآن لا تشعر بغيابك عن حياتها، لديها اثنان تعتبرهما والديها وكل عائلتها التي تحبها، ولديها أنا أيضًا، ولو سمحا لكِ بالزيارة، نعم من الممكن أن يسعدها ذلك عندما تكون أكبر قليلًا..

لكن الآن.. وأرجو ألا تأخذي كلماتي بحساسية.. الآن ستفسدين حياتها الهادئة التي عملا بجدٍ للحفاظ عليها منذ وفاة سكوتي، التوتُّر الذي سيحدثه وجودك لباتريك وجريس ستشعر به ديم مهما حاولا إخفاءه عنها، لذا.. من سيستفيد من وجودك في حياة ديم؟ عداكِ؟".

ضاق صدري من كلماته، ليس لأنني غاضبة منه، لكن لأنني خفت أن يكون على حقٍ، ماذا لو كانت أفضل حالًا من دوني؟ ماذا لو كان وجودي مدمرًا لحياتها الهادئة؟

هو يعرف باتريك وجريس أكثر من أي شخص آخر، ولو قال إن وجودي سيدمر حياتهما التي بذلا جهدهما في الحفاظ عليها فمن أنا لأعترض على كلامه؟ كنت أملك أصلًا مخاوف تشبه كل ما قاله، لكن كان من المؤلم والمحرج سماع ذلك منه، هو على حقٍ. بالفعل وجودي هنا أناني جدًا، هو يعلم هذا، كلهم يعلمون هذا. أنا لستُ هنا لأملأ فراغًا ما في حياة ابنتي، أنا هنا لأملأ فراغًا بداخلي، أغمضت عينيَّ لأوقف دموعي، وأخذت نفسًا عميقًا.

- لم يكن عليَّ العودة إلى هنا، أنت على حقٍ، لكني لا أستطيع أن أتوقف وأرحل هكذا، لقد تطلَّب وصولي هنا كل شيء أملكه والآن أنا عالقة، لا أملك مكانًا لأذهبِ إليه، ولا مالًا لأنتقل به، حتى عملي في محل البقالة ما هو إلا عمل بعقدٍ جزئي.

بدت ملامح الشفقة على وجهه لكنه ظلَّ صامتًا، فأكملت: "لو لم يريداني هنا فسأرحل، سيأخذ الأمر بعض الوقت لأنني لا أملك المال الكافي، وكل أصحاب الأعمال في المدينة رفضوا تعييني بسبب ماضيَّ".

دفع ليدجر الطاولة ليعتدل وشبَّك يديه خلف رأسه ثم رجع بعض الخطوات إلى الخلف، لا أريده أن يعتقد بأنني أطلب منه مالًا، سيكون هذا أسوأ نتيجة نصل إليها من هذه المحادثة، لكن لو عرض المال لست متأكدة إن كنت سأرفض، لو أرادوا رحيلي لدرجة أن يدفعوا لي لأرحل، سأوقف نزيف خسارتي وأرحل.

- أستطيع منحك عملًا في حانتي لمدة ثماني ساعات يومي الجمعة والسبت.

بدا كأنه نادمًا على عرضه بمجرد أن خرج الكلام من فمه، لكنه أكمل: "ستقومين ببعض الأعمال البسيطة، على الأغلب غسيل الأطباق فقط، لكن عليكِ البقاء في المطبخ، لا يجب أن يعرف أحدٌ أنك تعملين لديَّ، لو علمت عائلة لاندريس بذلك سأتوقف عن مساعدتك".

لاحظت أنه يعرض عليَّ تلك الفرصة لكي يجعلني أرحل من المدينة بشكلٍ أسرع، هو لا يقدِّم إليَّ معروفًا، هو يفعل ذلك من أجل باتريك وجرايس، لكني لم أفكر كثيرًا، قلت: "لن أخبر أحدًا.. أقسم لك".

عكست نظرة التردد على وجهه ندمه، بدا كأنه على وشك أن يتراجع لذا أسرعت وشكرته قبل أن يقول شيئًا: "أنهي دوامي الساعة الرابعة يومي الجمعة والسبت، أستطيع أن أصل إلى الحانة في تمام الرابعة والنصف".

أومأ قائلًا: "ادخلي من الباب الخلفي، وإذا سألك أحدٌ عن اسمك، قولي نيكول، هذا ما سأخبر به بقيّة الموظفين".

- موافقة.

هزَّ رأسه كأنه ارتكب جرمًا، ثم توجه إلى الباب، وقال بصوتٍ مهزوزٍ: "ليلة هانئة".

أغلق الباب من خلفه بينما وقفت في مكاني للحظة، حكَّت إيفي كاحلي فانحنيت وحملتها، قربتها إلى صدري، أعرف أن ليدجر عرض عليَّ تلك الوظيفة لأغادر المدينة، لكنني جلست وأنا أبتسم على الأريكة لأنني تمكنت من رؤية وجه ابنتي اليوم. بغض النظر عما حدث في هذا اليوم الكئيب، لكني على الأقل حصلت على شيء لطالما تمنيه وصليت من أجله طوال خمس سنوات.

أمسكت بدفتر ملاحظاتي، وكتبت أهم خطاب قد أكون كتبته لسكوتي..

عزيزي سكوتي،

تشبهنا ديم، كأنها مزيجٌ مدهشٌ منّا، لكنها تضحك مثلك.

إنها أجمل طفلة في العالم..

أنا آسفة جدًّا لأنك لم تتمكّن من مقابلتها.

محبَّتي

كينا

الفصل الثاني والعشرون

ليدجر

من المفترض أن تظهر كينا في أي لحظة، لم يأتِ رومان للعمل منذ اليوم الذي وظّفتها فيه، لذا لم يكن لديّ فرصة لإخباره عن توظيفي لها، وكنت آمل أن أغيّر رأيي قبل أن تبدأ العمل لكني لم أفعل.

وصل رومان قبل أن تحضر كينا، كانت قد قالت إنها ستكون هنا في الساعة الرابعة والنصف، ففكرت أن الآن هو الوقت المثالي لإخباره، وقفت خلف الحانة أقطع الليمون والبرتقال للحصول على مقبلات كافية للمشروبات الليلة، وقف رومان إلى جواري، فسارعت بالقول: "لقد أفسدت الأمر".

قصدت أن أقول: "لقد عيّنتُ كينا" لكني شعرت أن للجملتين نفس المعنى. نظر إليّ رومان باستغراب، فوضعت السكين جانبًا لأستطيع أن أكمل المحادثة من دون أن أجرح أصابعي، وأكملت: "وظّفتُ كينا، بدوام جزئي، لا يجب أن يعلم أحدٌ من هي، لذا نادِها نيكول أمام الموظفين".

حملت السكين مجددًا لأنه من الأفضل النظر إلى الليمون عن النظر إلى تعبيرات وجه رومان الآن.

- هممم.. لماذا فعلت ذلك؟

- قصة طويلة.

سمعت صوت مفاتيحه وهاتفه بينما يلقيهما على البار، ثم جلس أمامي قائلًا: "من الجيد أننا اليوم نعمل معًا حتى منتصف الليل، ابدأ بالحكي".

سرتُ ناحية طرف الحانة، ونظرت إلى المطبخ لأتأكد أننا وحدنا، لم يأت أحد بعد لذا أخبرته ملخصًا سريعًا لما حصل في موقف سيارات محل البقالة، وكيف أريتها فيديوهات ديم ثم ذهبنا إلى تناول البرجر، وبشكلٍ ما شعرتُ بالأسف تجاهها، فعرضتُ عليها العمل لمساعدتها في الخروج من المدينة.

أخبرته القصة بأكملها، وظلَّ هو صامتًا طوال الوقت.

- طلبت منها أن تبقى في الخلف بعيدًا عن الزبائن، لا أستطيع المخاطرة بأن يكتشف جريس وباتريك أنها تعمل هنا، أنا لست قلقًا حول مجيئهما هنا لأنهما لن يفعلا، لكني ما زلت أفضِّل أن تبقى في الخلف، تستطيع غسل الأطباق ومساعدة أريون.

ضحك رومان: "إذن لقد وظَّفتَ نادلة لا يمكنها العمل في الحانة وتقديم المشروبات، يمكنها فقط العمل في المطبخ؟".

- هناك الكثير من العمل في المطبخ لإبقائها مشغولة.

سمعت رومان يسحب مفاتيحه وهاتفه من على البار، قبل أن يختفي خلف باب المطبخ، وهو يقول: "لا أريد أن أسمع شكوى أخرى حول الكب كيك مجددًا".

كان قد ذهب قبل أن أخبره أن هوسه بصاحبة المخبز المتزوجة قد يكون مختلفًا قليلًا عن منح كينا وظيفة لتغادر البلدة أسرع.

فتح باب المطبخ مجددًا بعد عدة دقائق، وقال "الموظفة الجديدة وصلت".

وقفت كينا على الباب حاملة حقيبتها وممسكة معصمها بيدها الأخرى، بدت متوترة لكن مختلفة، شفتاها لامعتان كأنها تضع مرطب شفاه أو شيئًا كهذا، لا أعلم، لكنه جعلني لا أركز سوى على شفتيها، بلعت ريقي ونظرت بعيدًا قائلًا: "مرحبًا".

- مرحبًا.

أشرت إلى الخزانة حيث يضع الموظفون حقائبهم وهم في الدوام: "يمكنك وضع حقيبتك هنا".

سلَّمتها مريلة، وحاولت أن أحافظ على المهنية قدر المستطاع: "سآخذك في جولة سريعة الآن في المكان".

تبعتني في صمتٍ بينما أريها المطبخ، شرحت لها كيف تُرص الأطباق بعدما تنتهي من غسلها، ثم ذهبنا إلى المخزن وأريتها مكتبي، ثم خرجنا إلى الساحة الخارجية لتعرف أين يقع صندوق القمامة الخاص بنا. وفي طريق عودتنا إلى المكان قابلنا أرون، توقف عندما رآني واقفًا مع كينا في الساحة: "أرون، هذه نيكول، ستساعدك في المطبخ".

تفحَّصها أريون من أعلى إلى أسفل ثم سأل: "هل أحتاج إلى مساعدة في المطبخ؟".

نظرتُ إلى كينا، وقلت: "قائمة طعامنا محدودة ومقصورة على العطلات الأسبوعية، وأرون يتولى الأمر كله، فقط ساعديه إذا احتاج إلى مساعدة".

أومأت كينا مرحبة بأرون: "تشرفت بمعرفتك".

ردَّ أريون السلام، وهو ما يزال يحدق إليَّ بشكٍ ودهشة، فنظرت إليها وأشرت إلى الباب ملمحًا بأنني أريد دقيقة مع أريون. فدلفت كينا إلى الداخل، التفتُّ إلى أرون قائلًا: "ستعمل هنا لبضعة أسابيع فقط على الأكثر، على سبيل المساعدة".

أمسك أرون بكتفي وضغطه قائلًا: "لا تحتاج إلى التبرير يا مدير".

تركتُ كينا مع أرون ليدربها على العمل، لم أرد الدخول إلى المطبخ مجددًا ورؤيتها، لذا دخلت من الباب الأمامي، سيقوم رومان ورازي بالعمل معظم الليلة لأنني يجب أن أغادر، نسيت أن أخبر كينا أن لديَّ خططًا أخرى الليلة، ولن أكون متواجدًا معظم الوقت. قلت لرومان: "سأعود في التاسعة، سأذهب إلى العشاء مع عائلة لاندريس قبل عرض ديم".

- ماذا أقول لماري آن عن كينا؟ كانت تنتظر أن نوظِّف ابن عمها كمساعد نادل، لن يعجبها هذا.
- فقط أخبرها أن كينا.. نيكول تعمل بشكلٍ مؤقتٍ، هذا كل ما تحتاج إلى معرفته.
- لم تفكر جيدًا في هذا الأمر يا ليدجر.
- لقد فكرت بما يكفي.

- ربما لكنك فكرت بطريقة خاطئة.

تجاهلت ملاحظاته وغادرت، كانت ديم قد قررت أنها تريد أخذ دروسٍ في الرقص منذ عدة أشهر، أخبرتنا جريس بأنها تريد تقليد صديقتها وليس لأنها تحب الرقص فعلًا، وبعد رؤية عرضها الليلة، بدا واضحًا أن الرقص ليس شغفها، كانت تتحرك على كل المسرح، لست متأكدًا إن كانت قد ركزت ولو لثانية في دروس الرقص، لأنها كانت تجري على المسرح ذهابًا وإيابًا وهي تقوم بتقليد حركات من فيلمها المفضل "The Greatest Man Show"، بينما يتحرك الأطفال الآخرون طبقًا لروتين الرقصات.

كان الحضور بأكمله يضحك عليها بينما جريس وباتريك في قمة الإحراج، وفي لحظة ما مالت جريس عليَّ، وهمست: "احرص ألا تشاهد هذا الفيلم أبدًا".

كنت أصورها بهاتفي بالطبع، أفعل ذلك وأنا متشوق لعرض الفيديو على كينا، لكني فكرت بأن حياة ديم ليست ملكي لأقرر مشاركتها أيَّ شخص. عليَّ أن أتذكر هذا، مهما كان ما شعرت به وأنا أراقب كينا وهي تشاهد لمحات من حياة ديم على جانب الطريق منذ أيامٍ.

باتريك وجريس مسؤولان قانونيًّا عن كل قرارات ديم، وهذا حقهما أيضًا، لذا لو كنت أنا محلهما واكتشفت أن هناك شخصًا يشارك معلومات حول ديم بعدما طلبت منه بوضوحٍ ألا يفعل، لن يكون غضبي عاديًّا، وسأخرج هذا الشخص فورًا من حياتي. لن أخاطر بذلك مع باتريك وجريس، أنا بالفعل أفعل ما يكفي من دون معرفتهما، يكفي توظيفي لكينا.

قالت ديم على العشاء: "لا أظن أنني أريد أن أحضر دروس الرقص مرة أخرى".

كانت ما تزال ترتدي ثوبها الأرجواني، أسقطت بعض الجبن أمامها فمسحته لأنها كانت على نفس ناحيتي من الطاولة.

ردَّت جريس: "لا يمكنك التوقف عن الدرس الآن، لقد دفعنا لثلاثة أشهر قادمة".

تحب ديم تجربة أشياء جديدة، لا أعتقد أن استعدادها للتخلي عن كل الأشياء التي تجرِّبها سمة سلبية في شخصيتها، على العكس، أراها نقطة قوة في كونها تريد تجربة كل هواية ممكنة.

- أريد أن أجرِّب اللعب بالسيوف.

قالت ديم، وهي تحرك الشوكة على طبقها، فسألها باتريك: "سلاح الشيش؟ لا يوجد أي مكان يُعلِّم سلاح الشيش في المدينة".

- ليدجر سيعلِّمني.

قلتُ: "لا أملك سيفًا ولا وقتًا، ثم أنني أدربك بالفعل على التي-بول".

- التي-بول لعبة لعينة.

انفجرتُ في الضحك، فهمست جريس: "لا تقولي هذه الألفاظ".

- هذا ما يقوله رومان، أريد الذهاب إلى الحمام.

كان الحمام على مرمى بصرنا، لذا زحفت ديم تحت الطاولة وخرجت من الناحية الأخرى متجهة إلى الحمام، راقبتها جريس حتى وصلت، كان للحمام بابٌ بقفلٍ من الداخل، وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي منع جريس من اللحاق بها.

غالبًا ما ترافق جريس ديم إلى الحمام، لكن مؤخرًا بدأت ديم بالمطالبة باستقلاليتها، ومنعت جريس من الدخول معها إلى الحمام. لذلك عندما نأتي إلى هذا المطعم، نطلب أن تكون الطاولة بجوار رواق الحمام لكي نمنح ديم الحرية لتفعل بعض الأشياء وحدها، وفي نفس الوقت تكون تحت أعيننا. عندما بدأ باتريك بالكلام، كان من الواضح أن نصف انتباه جريس مركزًا على باب الحمام.

- لقد قدَّمنا طلبًا للحصول على أمرٍ بعدم التعرض ضد أم ديم.

حاولتُ ألَّا أظهر أيَّ تعبيرٍ، وابتلعت كلامه بقضمة من طعامي ورشفة ماء، "لماذا؟".

- نريد أن نكون على استعدادٍ لأي شيء قد تفعله.

- لكن ماذا في إمكانها أن تفعل؟

هزَّت جريس رأسها كأنها تستنكر كلامي، فأكملت: "هل القاضي في إمكانه التصديق على أمر عدم التعرض ضدها ببساطة من دون أن تفعل شيئًا؟".

كنت أفكر أن لا بد وأن يحتاج الأمر إلى فعلٍ ما متهور من كينا، وليس مجرد فكرة أنها تعيش في نفس المدينة ليصدق القاضي على

أمر الإبعاد. لكنَّ جريس قاطعت أفكاري قائلة: "لقد لاحقتنا في موقف السيارات، لا أشعر بالأمان يا ليدجر".

كنتُ قد نسيت هذا الأمر، ولكني شعرت بأنني في حاجة إلى الدفاع عن كينا بشكلٍ ما كوني السبب في وقوعها في تلك الورطة في المقام الأول.

قال باتريك: "تحدثنا مع جرايدي، وقال إنه يستطيع استعجال القاضي للبتِّ في القضية، من المحتمل أن يصدر حكمًا هذا الأسبوع".

لديَّ الكثير لأقوله، لكن الآن ليس الوقت المناسب، وليس لديَّ فكرة متى سيأتي الوقت المناسب، أو إن كان يجب حتى أن أقول شيئًا. أخذتُ رشفة من شرابي ولم أرد على تلك الأخبار الجديدة، جلستُ صامتًا محاولًا ألا تظهر عليَّ علامات الخيانة، لأنني شعرت بأن هذا ما أنا عليه الآن، مجرد خائن، لا يوجد طريقة لتبرير ذلك. عادت ديم إلى الطاولة بينما قالت جريس: "دعنا نغيِّر الموضوع، كيف حال والدتك يا ليدجر؟ لم أتمكَّن من مقابلتها عندما كانت في المدينة".

- هي بخير، في طريقها إلى مدينة يلوستون مع أبي، لذا من المحتمل أن يمرَّا علينا مرة أخرى في طريق عودتهما.

صعدت ديم إلى حجر جريس التي قالت: "أود حقًّا مقابلتهما، دعونا نخطط لتناول العشاء جميعًا عندما يعودان".

- سأخبرهما بذلك.

ناولت جريس ديم إصبعًا من البطاطس، وقالت: "اقترب الموعد، كيف تشعر؟".

رمشتُ مرتين بلا فهم، أعلم أنها لا تشير إلى أي شيء له علاقة بسكوتي، لكن ليس لديَّ فكرة عمَّا تقصده، فأوضحت: "ليا؟ حفل الزفاف المُلغى؟".

- أوه تقصدين هذا الأمر؟ أنا بخيرٍ، وهي بخيرٍ والأمور أفضل هكذا.

عبست جريس قليلًا، لأنها كانت تستلطف ليا، في الغالب لأنها لا تعرفها جيدًا. ليس الأمر كأن ليا شخصٌ سيئ وإلا ما كنت تقدَّمت إلى الزواج منها، لكنها لم تكن جيدة كفاية لرعاية ديم، لو علمت جريس لشكرتني على إلغائي الزواج بدلًا من استمرارها في تذكيري بالأمر أملًا أن أغيِّر رأيي.

"ما أخبار المنزل الجديد؟" سألني باتريك.

- جيد، أظن أنني سأتمكَّن من الانتقال إليه بعد أشهر قليلة.

- ومتى ستعرض منزلك الحالي للبيع؟

ضاق صدري بمجرد التفكير في ذلك، عرضه للبيع كان بمنزلة التخلي عن جزء كبير من حياتي وذاكرتي، أجبته: "لا أعلم بعد".

صاحت ديم: "لا أريدك أن ترحل".

أصابتني تلك الكلمات الأربعة في مقتلٍ، لم أعرف كيف أرد، فقالت جريس: - سيظل في إمكانك المكوث معه في بيته الجديد، هو ليس بالبعيد.

- أحب المنزل الذي يعيش فيه الآن، أستطيع الذهاب إليه وحدي.

أطرقت ديم برأسها فأردت أن أمد يديَّ، وأسحبها من جريس لأحضنها وأخبرها أنني لن أتركها أبدًا، لكن هذا سيكون مجرد كذبة. تمنيت لو كنت انتظرت ستة أشهر فقط قبل أن أقرر بناء هذا المنزل عندما كانت ديم أصغر، ستة أشهر كانت كافية لأعلم أن تلك الفتاة الصغيرة ستتسلل إلى قلبي وتحتله كما لو كانت ابنتي أنا.

حاولت جريس طمأنتي بعدما لاحظت ارتباكي: "ستكون ديم بخيرٍ، المنزل على بُعد عشرين دقيقة فقط، بالكاد سيتغير أي شيء".

نظرتُ إلى ديم فوجدتها تنظر إليَّ، بدا لي أنني رأيتُ دموعًا في عينيها لكنها دفنت رأسها في حضن جريس قبل أن أتأكد من ذلك.

الفصل الثالث والعشرون

كينا

ترك لي ليدجر أوراق التعيين لتوقيعها فاكتشفتُ أنه سيدفع لي أكثر بكثيرٍ مما أحصل عليه من محل البقالة. بسبب ذلك، ولأن هذه أصلًا طبيعتي، لم أتوقف عن العمل لحظة، أعدتُ تنظيم كل شيء رغم أن لا أحد طلب مني ذلك، لكني أغسل الأطباق بسرعة جدًّا ما ترك لي وقتًا لإعادة تنظيم الأرفف، وغرفة الخزين، وكل الأطباق في الخزائن.

لقد أمضيتُ خمس سنوات من العمل في مطبخ السجن، لكني لم أخبر ليدجر عن هذه التجربة، لأنه من المحرج دائمًا التحدث عنها، ولأن خدمة بعض الزبائن في الحانة مجرد نزهة مقارنة بخدمة مئات السيدات في السجن.

شعرت في البداية بأنني عالقة هنا مع أرون لأنه يبدو مخيفًا، بأكتاف عريضة وحاجبين معقودين، لكن شيئًا فشيئًا اتضح لي أنه مثل دمية دب طيب. أخبرني أنه يعمل في الحانة منذ افتتاحها قبل عدة سنواتٍ، هو متزوج وأب لأربعة أولاد، عمل طوال حياته في وظيفتين ليتمكّن من سد احتياجاتهم، رجل صيانة في المدرسة الثانوية طوال الأسبوع، وفي الحانة يومي الجمعة والسبت. أطفاله كبروا وغادروا المنزل لكنه لا يزال محتفظًا بالوظيفتين ليتمكّن من ادخار المال كل عام من أجل زيارته السنوية لعائلة زوجته في الأكوادور.

يحب أرون أن يرقص في أثناء العمل، لذلك تظل الموسيقى منبعثة طوال الوقت من السماعات، كما أنه يصرخ وهو يتحدث ما يضحكني ويحرجني لأنه عادة ما يتندر في حديثه على الموظفين الآخرين. حكى لي عن ماري آن التي تواعد شابًا منذ سبع سنواتٍ، وهما على وشك إنجاب طفل ثانٍ معًا لكنها ترفض الزواج منه لأنها تكره لقب عائلته. وكشف لي أن رومان مهووس بامرأة متزوجة تملك مخبزًا في آخر الشارع، ويشتري منها كميات كبيرة من الكعك كل يوم.

كان على وشك أن يحكي لي عن رازي النادل الآخر عندما سمعت شخصًا يدخل إلى المطبخ، استدرت لأجدها ماري آن تحدق إلى المكان بدهشة قائلة: "تبًّا، هل فعلت كل هذا؟".

أومأت برأسي، فقالت: "تخيلي، لم أكن أدرك مدى الفوضى التي كان المطبخ عليها حتى رتَّبتِه أنتِ، هذا رائع، سيسعد ليدجر بذلك عندما يعود".

لم أكن أعرف حتى أنه رحل، لا أستطيع أن أرى ما يحدث خارج المطبخ ولم يأتِ أحدٌ ليخبرني، وضعت ماري آن يدها على بطنها، وتمشّت إلى الثلاجة، بدا لي أنها في شهرها الخامس من الحمل، فتحت علبة بلاستيكية وتناولت منها حفنة من الطماطم الكريزية، وضعت واحدة في فمها، وقالت: "الطماطم هي كل ما أشتهي خلال الحمل، صلصة مارينارا، بيتزا، كاتشب".

قدَّمت إليّ واحدة، لكني رفضت بلطفٍ، قالت: "الطماطم تصيبني بحرقة، لكني لا أتوقف عن أكلها".

- هل هذا هو طفلك الأول؟

- لا لديَّ صبي عمره عامان، هذا أيضًا صبي، هل لديك أي أطفال؟

لا أعرف أبدًا كيف أجيب هذا السؤال، لم أتعرض له كثيرًا منذ خروجي من السجن، لكن في المرات القليلة التي حدث فيها ذلك، كنت أجيب بنعم ثم أغيِّر الموضوع، لكني لم أرد أن تطرح المزيد من الأسئلة، لذا هززت رأسي، وأبقيت الحديث حولها، سألتها:

- ماذا ستسمينه؟

- لا أعرف بعد.

أكلت حبة طماطم أخرى ثم وضعت العلبة في الثلاجة، واستدارت إليَّ: "ما هي حكايتك؟ متى وصلت إلى البلدة؟ هل أنت متزوجة أو تواعدين أحدًا؟ كم عمرك؟".

لديَّ إجابات مختلفة لكل سؤال تطرحه، لذا أومأت برأسي مرة، وهززت رأسي مرات، انتهى بي الأمر ورأسي يتأرجح مثل دمية.

- لقد انتقلت للتوِّ إلى المدينة، أبلغ من العمر ستة وعشرين عامًا، غير مرتبطة.

رفعت حاجبيها: "هل يعرف ليدجر أنك عزباء؟".

- نعم.. أعتقد.

- أها، ربما يفسر هذا ذلك.

- يفسر ماذا؟

تبادلت ماري آن النظرات مع أرون، ثم قالت: "يفسر لماذا وظَّفك ليدجر، كنَّا نتساءل عن السبب".

- لماذا وظَّفني؟

- لا أقصد هذا بطريقة سلبية، لكنه لم يوظِف أحدًا لأكثر من عامين الآن، لم يذكر قطُّ أنه في حاجة إلى المزيد من الموظفين، لذا نظريتي تقول إنه وظَّفك ليثير غيرة ليا.

صاح بها أرون محذِّرًا: "ماري آن!".

تجاهلته مكملة: "كان من المفترض أن يتزوج ليدجر هذا الشهر، إنه يتصرف كأنه بخيرٍ رغم إلغاء حفل الزفاف، لكن هناك شيئًا يزعجه، يتصرف بغرابة مؤخرًا، حتى إنه وظَّفك فور تقدمك بطلبٍ رغم أنه لم يوظف أحدًا في الأوقات التي احتجنا فيها إلى مساعدة إضافية! لا يمكنني تجاهل ذلك.. أنت جميلة وهو مكسور القلب، أعتقد أنه يملأ فراغ قلبه".

لم أعلِّق، شعرتُ أن ماري آن من النوع الفضولي، ولم أرد أن أقول أي شيء يجعلها أكثر فضولًا بشأن وجودي هنا، قال أرون: "تجاهليها، ماري آن تعشق النميمة بقدر ما تعشق الطماطم".

ضحكت قائلة: "هذه حقيقة، أحب النميمة، لا أقصد أي شيء أنا فقط أشعر بالملل وأحب التحدث عن أي هراء".

سألتها: "لماذا لغى ليدجر حفل زفافه؟".

على ما يبدو هي ليست الشخص الفضولي الوحيد في هذا المطبخ، لكنها لم تُرضِ فضولي، ردَّت بلا مبالاة: "لا أعلم، أخبرت ليا -خطيبته السابقة- الناس أنهما اكتشفا بأنهما لا يناسبان بعضهما، أما ليدجر فلا يتحدث عن الأمر، إنه صندوقٌ أسود".

نظر رومان من خلال الأبواب المزدوجة، فصمتنا منتبهين إليه، قال: "الأولاد الصغار في حاجة إليك يا ماري آن".

قلبت عينيها إلى أعلى، وقالت: "أوف، أكره طلبة الكليات، إنهم فظيعون".

اقترح أرون أن آخذ استراحة بعد ثلاث ساعات تقريبًا من بدئي للعمل، لذلك قررتُ أن أقضيها جالسة على درجات السلم في الزقاق الخلفي، لم أكن متأكدة مما إذا كنت سأحصل على استراحة، أو ما ستكون عليه ساعات العمل الليلة، فلم أجلب معي من محل البقالة سوى كيس من رقائق الشيبسي وزجاجة مياه.

الزقاق هادئ، لكن لا يزال في إمكاني سماع صوت الموسيقى المرتفع من الداخل، كانت ماري آن قد رأتني في وقتٍ سابقٍ وأنا أسد أذنيَّ بقطع من المناديل الورقية حتى لا أستمع إلى الموسيقى، كذبت عليها وأخبَرتها بأنني أصاب بالصداع النصفي بسهولة، لكن الحقيقة هي أنني أكره الموسيقى، كل أغنية تذكرني بشيء سيئ في حياتي، لذلك أفضِل ألا أستمع إلى أي أغانٍ على الإطلاق. قالت إن لديها زوجًا من سماعات الرأس يمكنها إحضارها لي غدًا، الموسيقى هي الجزء الوحيد من هذه الوظيفة الذي لا أحبه، كان هذا الشيء الجيد الوحيد في السجن، نادرًا ما سمعت الموسيقى هناك.

فتح رومان الباب الخلفي، وبدا متفاجئًا للحظات عندما وجدني جالسة على الدرجات، لكنه مشى إلى الجانب الآخر من الزقاق، وقلب دلوًا رأسًا على عقب، ثم جلس عليه ومدَّ ساقًا إلى الأمام، ضغط ركبته، وسألني: "كيف كانت ليلتك الأولى؟".

- جيدة.

لاحظت أن رومان يعرج عندما يسير، وعندما مدَّ ساقه إلى الأمام بدا كأنه يتألم، لا أعرف ما إذا كانت إصابة جديدة، لكنني شعرت أنه إذا كانت كذلك، فقد يحتاج إلى التمهل قليلًا في أثناء العمل، لكنه نادل، ومن متطلبات وظيفته ألا يجلس أبدًا.

- هل جرحت ساقك؟

- إنها إصابة قديمة، تؤلمني في الطقس البارد.

رفع بنطاله وكشف عن ندبة طويلة على ركبته.

- أوه، كيف حدث ذلك؟

مال رومان إلى الخلف مستندًا إلى بعض قوالب الطوب المتبقية على جانب المبنى، وقال: "إصابة في أثناء لعب البيسبول".

- هل لعبت البيسبول الاحترافي أيضًا؟

- لعبت مع فريقٍ مختلفٍ عن فريق ليدجر، أفضِّل الموت على اللعب من أجل برونكو.

أشار إلى ركبته، وأكمل: "حدث هذا بعد نحو عام ونصف من احترافي، فانتهت مسيرتي الكروية".

- أنا آسفة جدًّا على ذلك.

- مخاطر متوقعة للمهنة.

- كيف انتهى بك الأمر بالعمل هنا مع ليدجر؟

نظر إليَّ قائلًا: "يمكنني أن أسألك نفس السؤال".

هذا عادل بما فيه الكفاية، لا أعلم ما يعرفه رومان عني، لكن ليدجر ذكر هذا الصباح أنه الوحيد هنا الذي يعرف من أنا، وهذا يعني أنه يعرف كل شيء.

- لا أريد التحدث عن نفسي.

لحسن الحظ، لم أضطر إلى ذلك لأن ضوء شاحنة ليدجر سطع في الزقاق وهو يوقفها في مكانها المعتاد. استغل رومان هذه اللحظة للهرب إلى الداخل، وتركني وحدي.

توترت مع اختفاء رومان وعودة ليدجر، وشعرتُ بالحرج لأنني أجلس في الخارج على الدرج. حالما فتح ليدجر باب شاحنته قلت: "كنتُ أعمل، أقسم لكَ، أنتَ جئتَ في وقت استراحتي".

ابتسم ليدجر وهو يخرج من الشاحنة كأن توضيحي غير ضروري، لا أعرف لماذا يحدث لي ذلك كلما ابتسم، كأن دوامة تدور في معدتي، حضوره يفعل ذلك بي كل مرة. هذا الطنين تحت جلدي مباشرة، كما لو كنت أعج بالطاقة العصبية، ربما لأنه رابطي الوحيد بابنتي، ربما يكون ذلك بسبب تفكيري فيما حدث بيننا في هذا الزقاق في كل مرة أغلق فيها عينيَّ في الليل، ربما لأنه رئيسي الآن، وأنا حقًّا لا أريد أن أخسر هذه الوظيفة. كل مرة أراه فيها، أكون بخير حالٍ، وفجأة أشعر كأنني حمقاء مثيرة للشفقة، كنت أعمل جيدًا عندما لم يكن هنا، كنت أكثر استرخاء.

اتكأ على شاحنته كأنه يتباطأ في الدخول إلى الحانة: "كيف الحال الليلة؟".

- جيد، كان الجميع لطفاء.

رفع حاجبه بعدم تصديق، وقال: "حتى ماري آن؟".

- نعم، لقد كانت لطيفة معي، رغم أنها تقوَّلت عليك قليلًا.

ابتسمت حتى يعرف أنني أمزح، لكنني أردت التلميح بأنها تعتقد أنه وظَّفني فقط لأنني جميلة حتى يثير غيرة صديقته السابقة. فسألته: "من هي ليا؟".

أعاد ليدجر رأسه إلى الخلف وزمجر، قائلًا: "من حكى لكِ عن ليا؟ ماري آن؟".

أومأت قائلة: "نعم، أخبرتني أنه كان من المفترض أن تتزوج هذا الشهر".

بدا على ليدجر الانزعاج، لكنني تجاهلت ذلك لأنني لم أرد قطع هذه المحادثة القصيرة، إن لم يرد التحدث عن ذلك، فهو ليس مضطرًا، لكنني أريد أن أعرف، لذا انتظرت إجابته.

- بصراحة الأمر كله يبدو غبيًا جدًّا عندما أفكر فيه، تشاجرنا بسبب أطفال ليسوا لنا حتى.

- وهذا أنهى خطوبتك؟

- نعم.

- ماذا كانت الحجة؟

- سألتني إذا كنت سأحب أطفالي في المستقبل أكثر مما أحب ديم، وقلت لا، سأحبهم جميعًا بنفس القدر.

- هذا ما جعلها تغضب؟

- أزعجها مقدار الوقت الذي أمضيه مع ديم، فقالت أن عليَّ أن أعرف بأنه إذا حصلنا على أطفالٍ ذات يوم، فيجب أن أقلِّل الوقت الذي أمضيه مع ديم لأمنحه لأطفالنا، فأدركتُ أنها لا تعتبر ديم جزءًا من عائلتنا المستقبلية، بعدها.. قررت الابتعاد.

لا أعرف لماذا توقعت أن يكون الانفصال بسبب شيء آخر، لا ينفصل الناس عادة بسبب مواقف افتراضية كهذا، لكنه يقول الكثير عن ليدجر، وأن سعادته ترتبط بسعادة ديم، وأنه لن يقبل ألا يحترم أي شخص ذلك.

- تبدو ليا كعاهرة قذرة.

قلتها بلهجة مازحة فضحك، لكن كلما فكرت في الأمر أكثر، شعرت بأنها كذلك فعلًا، فأكملت: "تبًّا لها، تعتقد أن ديم لا تستحق نفس الحب الذي يستحقه أطفالها الافتراضيون".

- بالضبط، اعتقد الجميع أنني مجنون لانفصالي عنها، لكن الموضوع بالنسبة إليَّ كان مقدمة لجميع المشاكل المحتملة التي سنواجهها في المستقبل.

ثم ابتسم لي قائلًا: "انظري إلى نفسك.. تتحدثين كأمٍ عتيدة، لا أشعر أنني مجنون تمامًا الآن".

سقط فكي عندما قال ذلك، بدا كأنه يعترف بي كأم ديم، كانت جملة بسيطة، لكنها بالنسبة إليّ كانت أجمل شيء سمعته منه، حتى لو كان لا يعنيها.

استقام ليدجر في وقته، وأغلق الشاحنة قائلًا: "من الأفضل أن أدخل إلى الحانة، موقف السيارات ممتلئ، ما يعني أن المكان مزدحمٌ الليلة".

لم يقل أين كان لعدة ساعات الليلة، لكنني شعرت بأنه كان يفعل شيئًا مع ديم، أو ربما كان في موعدٍ غرامي، ما أثار أعصابي. لا يُسمح لي أن أكون في حياة ابنتي، لكن أي فتاة يواعدها يمكنها أن تقضي الوقت معها، ما جعلني أشعر تلقائيًا بالغيرة من أي فتاة ينتهي به الأمر معها، على الأقل لن تكون ليا، سحقًا لها.

***

جلب رومان صندوقًا ممتلئًا بالكؤوس، ووضعه على الحوض بجواري، وقال: "سأغادر الآن، قال ليدجر إنه سيوصلك إلى المنزل إذا كنتِ لا تمانعين في انتظاره، أمامه ما يقرب من نصف ساعة من العمل المقرف".

- شكرًا.

خلع رومان مئزره، وألقاه في السلة حيث يترك كل الموظفين مآزرهم، لم أعرف إن كان عليّ تنظيفها أم لا، لا أعرف متطلبات عملي بعد، وليدجر لم يكن هنا لتدريبي، لذلك كنت أفعل كل ما بوسعي، وكل ما يقع تحت يدي.

قال رومان: "يوجد غسالة ومجفف في الطابق العلوي".

- ثمّة طابق علوي للحانة، لم أرَ أي سلالم تقود إليه؟

أشار إلى الباب الذي يؤدي إلى الزقاق، وقال: "السلالم في الخارج، نصف مساحة الطابق العلوي للتخزين، ونصفها الآخر عبارة عن شقة أستديو به غسالة ومجفف".

- هل عليَّ غسل المآزر؟

هزَّ رأسه نافيًا: "عادة ما أغسلها في الصباح، أنا أعيش في هذا الأستديو".

خلع قميصه، وألقاه في السلة في نفس اللحظة التي دخل فيها ليدجر إلى المطبخ ورأى رومان بلا قميصٍ، قبل أن يرتدي ملابس الخروج، حدق ليدجر إلى وجهي، أعلم أنني بدوت كأنني أحدق إلى رومان وهو يبدل ملابسه، لا يعرف أننا كنَّا نجري محادثة، شعرتُ بحرجٍ فاستدرت وركزت في غسيل الأطباق.

تبادل رومان وليدجر بعض الكلمات لكني لم أتمكّن من سماعهما، سمعت رومان فقط وهو يتمنى لليدجر ليلة سعيدة ثم يغادر، فعاد ليدجر إلى الجزء الأمامي من الحانة.

بقيت وحدي، لكني أفضِّل ذلك، يوتِّرني وجود ليدجر كثيرًا، أنهيتُ عملي وتمّمتُ على كل شيء للمرة الأخيرة. تعدَّت الساعة منتصف الليل، وليس لديَّ أي فكرة متى سينتهي ليدجر، لا أريد أن أزعجه، لكنني متعبة جدًّا ولا يمكنني المشي إلى المنزل، لذا قررت انتظاره.

التقطتُ حقيبتي وجلست إلى المنضدة، سحبتُ دفتر ملاحظاتي وقلمي، لا أعلم ما هي فائدة كتابتي لهذه الرسائل إلى سكوتي لكنها على الأقل تشعرني بالراحة.

عزيزي سكوتي،

ليدجر أحمق، هذا واضحٌ. أعني أنه الرجل الذي حوَّل مكتبة إلى حانة، أي نوع من الوحوش سيفعل ذلك. لكن.. بدأت أعتقد أن لديه جانبًا لطيفًا جدًّا، ربما لهذا السبب كنتما صديقين مقربين..

- ماذا تكتبين؟

أغلقتُ دفتر ملاحظاتي فور أن سمعت صوته، خلع ليدجر مئزره، ونظر إليَّ. وضعت دفتر ملاحظاتي في حقيبتي، وتمتمت: "لا شيء".

أمال رأسه بعينين مليئتين بالفضول: "هل تحبين الكتابة؟".

اومأت برأسي، فسألني: "هل تميلين إلى العلم أم الفن أكثر؟".

استغربت سؤاله، فهززتُ كتفيَّ، وقلت: "لا أعلم، الفن، على ما أعتقد، لكن لماذا".

أمسك ليدجر بكأسٍ نظيفة، وملأها بالماء من الصنبور، وأخذ رشفة ثم قال: "ديم لديها خيالٌ جامحٌ، كنت دائمًا ما أتساءل إن كانت ورثت ذلك منك".

امتلأ قلبي بالفخر، أحب عندما يكشف لي بعض التفاصيل عن شخصيتها، أيضًا أحب معرفة أن شخصًا ما في حياتها يقدِّر خيالها.

كان لديَّ خيالٌ جامحٌ في طفولتي، لكن والدتي خنقته، حتى شجعتني إيفي على الانفتاح على هذا الجزء من شخصيتي مرة أخرى، كان من الممكن أن يدعمني سكوتي أيضًا، لكنني لا أعتقد حتى إنه يعرف أنني أحب الكتابة، قابلني حين كان هذا الجزء مني لا يزال مدفونًا داخلي.

لكني استعدته بفضل إيفي، أنا أكتب الآن في كل وقتٍ، أكتب القصائد، والرسائل إلى سكوتي، أكتب أفكار روايات لا أعرف إن كنت سأكملها ذات يوم، قد تكون الكتابة هي الشيء الذي يحميني من نفسي.

- في الغالب أكتب الرسائل فقط.

ندمت على هذه الجملة بمجرد ما تفوهت بها، لكن ليدجر لم يبد أيَّ رد فعلٍ، قال: "أعرف.. رسائل إلى سكوتي".

وضع كأس الماء على الطاولة بجانبه، ثم عقد ذراعيه على صدره، فسألته: "كيف عرفت؟".

- رأيت رسالة، لا تقلقي، لم أقرأها، لمحتها وأنا أخرج حقيبتك من خزانتك في محل البقالة.

تساءلت عما إذا كان قد رأى تلك الكومة من الأوراق، كنت قلقة من أن يكون قد اختلس النظر، لكن إذا قال إنه لم يقرأها، فأنا أصدقه لسببٍ ما.

- كم عدد الرسائل التي كتبتِها له؟

- أكثر من ثلاثمائة.

هزَّ رأسه بدهشة، وابتسم قائلًا: "كان سكوتي يكره الكتابة، كان يدفع لي مقابل كتابة تقاريره".

أضحكني هذا، لأنني كتبت له تقريرًا أو اثنين عندما ارتبطنا. من الغريب التحدث إلى شخص كان يعرف سكوتي بنفس الطريقة التي عرفته بها، أنا بصراحة لم أختبر هذا من قبل، إنه شعورٌ جيدٌ، أن أفكر في سكوتي بطريقة تجعلني أضحك بدلًا من أن أبكي، تمنيت لو كنت عرفت المزيد عن سكوتي بعيدًا عما كان عليه وهو معي.

- قد تكبر ديم لتصبح كاتبة ذات يوم، تعشق اختلاق الكلمات، إذا لم تعرف اسم شيء تخترع له واحدًا.
- مثل ماذا؟
- مثلًا الأضواء الشمسية، تلك التي توضع على الأرصفة لتنبيه السائقين، لا نعرف لماذا لكنها تسميها (باتشل).

ابتسمت، لكني شعرت بالغيرة أيضًا، تمنيت أن أعرفها كما يعرفها هو، سألته بصوتٍ أهدأ لأنني كنت أحاول إخفاء ارتجافته: "وماذا أيضًا؟".

- ذات يوم كانت تركب دراجتها، وظلَّت قدماها تنزلقان على الدواساتَ، فقالت، "قدماي لا تتوقفان عن الـ (الشبشبة)، سألتها ماذا تعني كلمة (شبشبة)، فقالت مثلما أرتدي الشبشب وتنفلت قدماي منه، هي أيضًا تعتقد أن كلمة (غرق) تعني (جدًا)، فتقول: (أنا متعبة غرقًا) أو (أنا جوعانة غرقًا).

إنه لأمر مؤلم حتى أن أضحك على ذلك، لكني أجبرت نفسي على الابتسام نصف ابتسامة، أعتقد أن ليدجر شعر بأن القصص المتعلقة بابنتي التي لا يسمح لي بمعرفتها تمزقني نصفين، فتوقف عن الكلام ثم مشى إلى الحوض وغسل كأسه. سألني: "هل أنت مستعدة للمغادرة؟".

أومأت برأسي، وغادرنا الحانة معًا. في الطريق إلى المنزل سألني: "ماذا ستفعلين بكل هذه الرسائل؟".

- لا شيء، أنا فقط أحب كتابتها.

- ماذا تكتبين فيها؟

- كل شيء، لا شيء في بعض الأحيان.

نظرتُ من نافذتي حتى لا يستطيع قراءة الحقيقة على وجهي، لكن شيئًا ما داخلي يجعلني أرغب في أن أكون صادقة معه، أريد أن يثق ليدجر بي، لديَّ الكثير لإثباته له.

- أفكر في تجميعها ونشرها في رواية ذات يوم.

سكت للحظة ثم قال: "هل سيكون لها نهاية سعيدة؟".

كنت لا أزال أنظر من النافذة عندما قلت: "ستكون رواية تحكي قصة حياتي، لذلك لا أرى كيف يمكن أن تكون نهايتها سعيدة".

أبقى ليدجر عينيه على الطريق وهو يسألني: "هل كتبت رسالة عما حدث ليلة وفاة سكوتي؟".

سكتُّ للحظة، ثم أجبته: "نعم".

- هل يمكنني قراءتها؟

التقت عينا ليدجر بعينيَّ للحظات، ثم نظر أمامه وقلب ضوء السيارة لينحرف إلى شارعي، توقف في ساحة الانتظار وأبقى المحرك دائرًا، لم أعرف ما إذا كان عليَّ المغادرة فورًا، أو إذا بقي أي شيء يقال بيننا، فوضعت يدي على مقبض الباب، وقلت: "شكرًا لكَ على الوظيفة".

نقر ليدجر على عجلة القيادة بإبهامه قائلًا: "تستحقينها، لم أرَ المطبخ منظمًا هكذا منذ أن افتتحت هذه الحانة، كل هذا في مناوبة واحدة فقط".

منحتني مجاملته شعورًا جيدًا، فشكرته وتمنيت له ليلة سعيدة قبل أن أهبط من الشاحنة، تمنيت لو ألقيت عليه نظرة أخيرة لكني ركزت على الطريق أمامي، انتظرت أن أسمعه يغادر لكنه لم يفعل ما جعلني أعتقد أنه ظل يراقبني وأنا أسير نحو المبنى.

بمجرد وصولي إلى الداخل، ركضت إيفي نحوي على الفور، حملتها وأبقيت الأنوار مطفأة ثم اتجهت إلى النافذة لألقي نظرة خاطفة، رأيتُ ليدجر لا يزال جالسًا في الشاحنة يحدق إلى نافذتي، فابتعدت عنها بسرعة وأوليتها ظهري. أخيرًا سمعت محرك سيارته يرتفع وهو يخرج من ساحة الانتظار حتى خفت صوته. همست: "إيفي.. ماذا سنفعل الآن؟".

الفصل الرابع والعشرون

ليدجر

- "ليدجر!".

رفعت عيني عن المعدات التي أجمعها حين سمعت النداء، لكن ما رأيته جعلني أسرع أكثر في جمعها، مظاهرة من الأمهات تتوجه إليَّ، أعرف أنهن إذا تحركن في تشكيلاتٍ جماعية بهذا الشكل فإنهن يخططن لشيء. تقدَّمت نحوي أربع أمهات، كل واحدة فيهن تحمل مقعدًا عليه اسم طفلها. توقعت أن يشتكين من أنني لا أدرِّب الأطفال وقتًا كافيًا، أو أنهن رتَّبن لي لقاءً بإحدى صديقاتهن العازبات. ألقيتُ نظرة على الملعب حيث كانت ديم لا تزال تلعب لعبة المطاردة مع اثنين من أصدقائها، بينما جريس تراقبها. فالتقطت خوذة من الحقيبة لأتظاهر باللعب، إلا أن الوقت كان قد فات على التظاهر بأنني لم أراهن، بدأت ويتني الحديث: "سمعنا أن والدة ديم ظهرت من جديدٍ".

نظرت إليها نظرة خاطفة بطرف عيني، وتجنَّبت إظهار أي اندهاش تجاه معرفتهن بعودة كينا إلى المدينة، لم تعرف واحدة منهن كينا في الفترة القصيرة التي واعدت خلالها سكوتي، هن أصلًا لا يعرفن سكوتي، لكنهن يعرفن ديم، ويعرفنني، ويعرفن القصة كلها. لذا، ففي اعتقادهن أن من حقهن معرفة التفاصيل.

- من أين أتيتِ بهذه المعلومة؟

تطوَّعت بالإجابة إحدى الأمهات: "أحد زملاء جريس أخبر عمتي".

أكملت ويتني: "لا أصدق أن لديها الشجاعة لتعود، أخبرني جريدي أن جريس وباتريك حصلا على حكمٍ بالحضانة".

فضَّلت التظاهر بالغباء على الاعتراف بقَدر المعلومات المتوفرة لديَّ كي لا يتمادين في إلقاء الأسئلة : "فعلًا؟".

- ألم تكن تعرف؟

- سبق أن تحدثنا، لكنني لم أتأكد ما إذا كانا حصلا بالفعل على الحكم أم لا.

- لا يمكن أن يلومهما أحدٌ، هذا هو الحل الوحيد حتى يمنعاها من أخذ ديم.

أجبتُ وأنا ألقي بأمتعتي في حقيبة شاحنتي، وأغلق بابها بقوة : "لن تفعل".

- لن أستغرب لو فعلت، المدمنون يرتكبون أمورًا بشعة.

رددتُ بعفوية واقتضابٍ: "ليست مدمنة".

سرعان ما بدا الشك جليًا في عينيْ ويتني، وتمنيت لو أن رومان كان موجودًا في تلك اللحظة، فهو غالبًا ما يساعدني على الهرب من تجمعات الأمهات، لكنه لم يتمكن من الحضور اليوم. بعضهن صديقات ليا، ولذلك يتجنَّبن مغازلتي بشكلٍ مباشرٍ احترامًا لها، لكن رومان جريء، لذا أتركه وحده في مواجهة الذئاب كلما ظهرن.

قلت لويتني، وأنا أسير بعيدًا عنهن باتجاه جريس وديم: "أرسلي تحياتي إلى جريدي".

لا أعرف لماذا أدافع عن كينا في مثل تلك المواقف؟ ولا أعلم ما يجب عليَّ فعله، ولكني أشعر أنني غير قادر على ترك الآخرين يتحدثون عنها بهذه الطريقة أمامي.

لم أتفق مع كينا على أن أقلها اليوم إلى العمل، لكني لم أعرف أنني سأقلها إلا وأنا في طريقي إلى الحانة، عندما تذكرت أن موعد مناوبتها شارف على البدء، فأوقفت السيارة في ساحة الانتظار أمام منزلها، ولم تمر دقيقتان على انتظاري حتى رأيتها تغادر البناية. لم تلحظ وجود شاحنتي وسارت باتجاه الطريق، فقُدت السيارة قاطعًا بها ساحة الانتظار كي ألفت انتباهها. حين رأتني وأشرت إليها لتركب، بدا على وجهها عدم الارتياح -أقسم أنني لاحظت ذلك- تمتمت، وهي تفتح باب السيارة: "شكرًا".

أضافت وهي تصعد إلى الشاحنة: "لستَ مضطرًا إلى توصيلي، فأنا قادرة على السير".

- لم آت خصيصًا، لقد غادرت لتوي ملعب التي-بول وبيتك في طريقي على كل الأحوال.

وضعت حقيبتها فاصلًا بيننا، وشدَّت حزام مقعدها، وسألتني: "هل هي جيدة في التي-بول؟".

- نعم، ولكني أظن أنها تحب الاختلاط بأصدقائها أكثر من حبها للعب، إلا أن المواظبة على التمرين ستجعلها في اعتقادي في مستوى جيد.

- ما الذي تفعله إلى جانب لعب التي-بول؟

لا يمكنني لوم كينا على فضولها، فأنا المُلام بالدرجة الأولى لأنني وضعت نفسي في هذا الموقف وصرت أقدم إليها كل تلك المعلومات. والآن، أراجع نفسي بعد أن جاءت الأمهات ووسوسن في رأسي، لأنهن جعلنني أتساءل مثلهن، ماذا لو كانت تجمع مني المعلومات لتصبح على دراية بتفاصيل جدول ديم اليومي، فيسهل عليها أن تظهر في لحظة ما وتخطفها؟ أشعر بالذنب لمجرد التفكير في ذلك. مصلحة ديم هي الأولوية العظمى في حياتي، وسيجعلني ذلك ألوم نفسي أكثر على أنني لم أحرص على حمايتها.

قالت كينا: "آسفة، لا يجب إلقاء المزيد من الأسئلة التي تشعرك بعدم الراحة، ليس هذا من حقي".

أشاحت بوجهها لتنظر عبر نافذتها وأنا أقطع الطريق، ولاحظت أنها تثني أصابعها ثم تقبض بيديها على فخذيها، لدى ديم نفس عادة ثني الأصابع إذا توترت، من الغريب أن شخصين لم يتقابلا قطُّ بينهما كل أوجه الشبه تلك في السلوك.

ازداد الصخب في الشاحنة، وشعرت أن من واجبي تحذيرها، فأغلقت نافذتي، وخففت من سرعتي قائلًا: "لقد قدَّما طلبًا إلى المحكمة ضدك، أمر تقييد وعدم تعرض".

رأيتها تنظر إليّ بطرف عينها قائلة: "هل فعلا ذلك حقًا؟".

- نعم، أردت أن أخبرك أولًا قبل أن تصلك الأوراق.
- ولماذا يقدمان على أمرٍ كهذا؟
- أظن ما حدث في متجر البقالة أرعب جريس.

هزّت رأسها، وعادت لتنظر عبر النافذة من دون أن تقول شيئًا إلى أن دخلنا الحي الذي تقع فيه الحانة. شعرت أنني تسببت في تعكير مزاجها هذه الليلة، وأنه ما كان عليّ إخبارها عن إجراءات المنع القانونية قبل بدء مناوبتها. لكن من حقها أن تعرف لأنها لم تقترف إثمًا يجعلها تتلقى أمرَ إبعادٍ عن ابنتها. دافع عائلة لاندريس الوحيد وراء السعي في الحصول على هذا الحكم هو وجودها معهما في نفس المدينة. أجبتُ سؤالها الأخير الذي ترددت في الإجابة عنه: "إنها تحصل على حصصٍ في الرقص".

أوقفتُ الشاحنة، وشغّلت الفيديو الذي ترقص فيه ديم في البروفات النهائية، ثم أعطيت الهاتف لكينا. شاهدت الثواني الأولى من الفيديو من دون انفعالٍ لكنها سرعان ما انفجرت في الضحك، أكره رغبتي في مراقبة ملامح كينا وهي تشاهد فيديوهات ديم، يمنحني ذلك شعورًا رائعًا، شعورًا ليس من حقي أن أختبره، يجعلني أتساءل في كل مرة يحدث فيها هذا، كيف سيكون شعوري إذا شاهدتهما يلتقيان ويتفاعلان معًا في الحقيقة؟ شاهدت كينا الفيديو ثلاث مرات متالية من دون أن تفارق وجهها الابتسامة، ثم قالت ضاحكة: "أداؤها مريع".

امتلأ صوتها بالسعادة على غير العادة، وسألت نفسي إذا أصبحت ديم في حياة كينا، فهل تدوم تلك السعادة؟ سألتني: "هل تحب الرقص؟".

هززتُ رأسي نافيًا: "لا، بعد انتهاء البروفات طلبت أن تترك فصول الرقص، وتبدأ في التدرب على تلك الرياضة التي يتحاربون فيها بالسيوف".

- سلاح الشيش؟

- إنها ترغب في تجريب كل شيء، لكنها لا تلتزم بشيء بعينه لأنها ملولة، وتعتقد دائمًا أنها لو غيَّرت إلى شيء جديد فستشعر بالإثارة.

- يقولون إن الملل علامة على الذكاء.

- إنها بالفعل ذكية جدًّا، وربما لذلك هي ملولة.

ابتسمت ثم تلاشت ابتسامتها شيئًا فشيئًا وهي تعيد إليَّ الهاتف، أوقفت الشاحنة ففتحت بابها وترجَّلت متجهة إلى الباب الخلفي للحانة. أسرعت وفتحت لها الباب بينما وقف أرون في استقبالنا: "أهلًا يا مدير! أهلًا يا نيكول!".

سارت كينا نحوه ورفعت ذراعها لتمنحه مصافحة عالية كأنه صديقها المقرب رغم أنهما لم يقضيا معًا سوى مناوبة واحدة. ظهر رومان يسير خلفه حاملًا صينية عليها زجاجات فارغة، أومأ إليَّ برأسه، وسألني: "كيف سارت الأمور؟".

- لم يبكِ أحدهم أو يتقيأ اليوم.

إذا تحقق ذلك في أحد أيام تدريب التي-بول فإننا نعتبره يومًا جيدًا، أشار رومان لكينا قائلًا: "وجدت ما تريدين خاليًا من الجلوتين، حصلت على ثلاثة منها ووضعتها لكِ في الثلاجة".

- أشكرك.

قالتها بحماسٍ لم أره على وجهها إلا حين تتحدث عن ديم، لم أفهم ما الذي يتحدثان عنه، فقد غادرتُ المكان لبضع ساعات الليلة الفائتة، ويبدو أنها خلال هذا الوقت الذي غبت فيه وطدت علاقاتها بالجميع هنا، ولكن لماذا يشتري لها رومان ثلاثة من هذا الشيء الخالي من الجلوتين؟ والأهم لماذا أشعر بالقلق من مجرد فكرة أن تقترب كينا من رومان؟ هل انجرف إليها؟ هل من حقي أن أغار؟ حين عدت إلى الحانة ليلة أمس، وجدتهما قد حصلا على استراحتيهما في نفس الوقت، فهل تعمَّد رومان فعل ذلك؟

رأيت ماري آن قادمة لتلحق بمناوبتها هي الأخرى ولا تزال الأفكار تعتمل في رأسي حول رومان وكينا. أعطت ماري آن لكينا زوجًا من السماعات المزودة بتقنية تقليل الضوضاء، على ما أظن، فقالت لها: "لقد أنقذتِ حياتي".

- كنت متأكدة أن لديَّ زوجًا إضافيًّا بالمنزل.

مرَّت ماري آن أمامي، وقالت في طريقها إلى الداخل: "أهلًا يا مدير!".

علقت كينا السماعة حول رقبتها من دون أن توصلها بأي شيء، ولا حتى بهاتف، وربطت على خصرها المريلة. من أين لها بالموسيقى التي تريد الاستماع إليها، سألتها: "فيم ستستخدمين السماعة؟".

- لأسد أذنيَّ عن سماع الموسيقى.

- ألا تحبينها؟

- أنا أكرهها.

أجابتني وهي تقف أمام الحوض بملامح مقتضبة، إنها تكره الموسيقى، هل هذا يعقل؟

- لماذا تكرهين الموسيقى؟

لفَّت رأسها لتنظر إليَّ من دون أن تتحرك: "لأنها حزينة".

وضعت السماعات على أذنيها، وفتحت الصنبور ليجري الماء في الحوض. استغربت ما قالته، الموسيقى هي الشيء الوحيد الذي يهدىء من روعي، ولا أتخيل أن أُحرم منها، لكنها على حقٍّ، فمعظم الأغنيات تصف الفقد والحب، وهما الشيئان اللذان يصعب عليها تحمُّل الحديث عنهما بأي وسيلة. تركتها لتواصل عملها وتوجهت إلى الصالة الرئيسية لأبدأ عملي. لم يكن موعد فتح الحانة قد حان بعد، وبدا المكان خاليًا وهادئًا، ففتحت ماري آن الباب الرئيسي، بينما وقفتُ إلى جوار رومان لأسأله: "أي ثلاثة؟".

- ماذا؟

- قلت أنك وضعت في الثلاجة ثلاثة أشياء من أجل كينا.

أجابني وهو ينظر باتجاه ماري آن: "أنا ونيكول كنَّا نتحدث عن قطع الكب كيك، فذكرت أن المؤجرة التي تسكن عندها لا تستطيع تناول أي شيء يحتوي على الجلوتين، وهي تريد أن تتقرَّب إليها".

- لماذا؟

أجابني مبتعدًا ومشيحًا نظره عني: "لا أدري، شيء ما يتعلق بفانورة الكهرباء الخاصة بها".

كنتُ سعيدًا أنها وطدت علاقتها بمن حولها، رغم أنني أنَّبتُ نفسي قليلًا لرحيلي عن الحانة بالأمس لفترة طويلة من وقت مناوبتي، مما تسبب في أن يعرف الآخرون كينا أكثر مني، لا أعلم لماذا ضايقني ذلك. ذهبت إلى مشغل الموسيقى وأدرت بعض الأغنيات لأسمعها قبل أن يزدحم المكان. وحرصت أن أراجع وصف كل أغنية قبل تشغيلها لأتأكد أن كلماتها لن تذكر كينا بـ سكوتي أو ديم، فالمشغل آلي ويحتوي على آلاف الأغنيات. لكنني أدركت أنني لو استمررت في فعل ذلك فسيضيع الليل بطوله وأنا أبحث عن أغنيات تنطبق عليها تلك الشروط، ولن أجد إلا ما يعد على أصابع اليد الواحدة، كانت على صوابٍ في مسألة السماعة. بالنهاية، لو لم يكن في حياة المرء شيئًا جيدًا، سيحزن كلما سمع أيَّ أغنية بغض النظر عن موضوعها. في النهاية، ضبطتُ تشغيل الأغنيات على خاصية التنقل العشوائي للقائمة، لتتناسب مع شعوري الحالي بالعشوائية والارتباك.

الفصل الخامس والعشرون

كينا

حصلتُ على أول شيك مالي مقابلٍ الأيام التي عملتها خلال الأسبوع، مبلغ صغير لكنه كافيًا لأتمكّن أخيرًا من شراء هاتف. جلست على الطاولة البلاستيكية في الحديقة الخارجية للبناية، أحمِّل التطبيقات على الهاتف الجديد، كان لديَّ بضع ساعات بين انتهاء ورديتي المبكرة في محل البقالة ومناوبتي في الحانة ليلًا، لذا قررتُ أن أضيع بعضها في الجلوس بالحديقة ومطالعة الهاتف.

قررتُ أيضًا أن أمنح جسدي المزيد من فيتامين د، فبقيتُ خارج الشقة في الحديقة تحت ضوء الشمس لمدة خمس ساعات كاملة، فكرت أنني ربما أحتاج إلى شراء مكملات دوائية من فيتامين د لأساعد جسدي أكثر على امتصاصه.

وبينما أنا غارقة في أفكاري، رأيتُ سيارة تتوقف في ساحة الانتظار المقابلة، ومن مقعدها الأمامي، رأيتُ ليدي ديانا تلوِّح لي بحماسة، فنظرت إلى الساعة وأنا أفكر في التعارض بين أوقات مناوباتي مع أوقات عملها، وأتأسف على ذلك. كنت أتمنى لو استطعت أن أطلب من والدتها توصيلي من وإلى العمل، ولكنّ ساعات عمل ليدي ديانا أطول من ساعات عملي. وصَّلني ليدجر مراتٍ قليلة ثم لم أعُد أراه منذ أعادني إلى المنزل في ليلة الأحد بعد انتهاء مناوبتي الثانية في الحانة.

هذه المرة الأولى التي أقابل فيها والدة ليدي ديانا، تبدو أكبر مني بقليلٍ، ربما هي في منتصف الثلاثينيات، ابتسمت لي وتبعت ليدي ديانا وهي تركض على العشب متجهة نحوي. أشارت ليدي ديانا إلى الهاتف الذي أمسكه في يدي، وحدثت أمها التي جلست إلى جواري: "لديها هاتف، فلم ليس لديَّ أنا أيضًا؟".

- هي امرأة ناضجة.

أجابتها أمها وهي تنظر نحوي، ثم وجَّهت حديثها إليَّ: "أهلًا! أنا إديلين".

لم أعرف كيف أقدِم إليها نفسي، فأنا معروفة في العمل باسم نيكول، إلا أنني قدمت نفسي إلى ليدي ديانا باسم كينا حين قابلتها أول مرة، وكذلك تعرفني مؤجرة المنزل بنفس الاسم، أخشى أن الكذب سيوقعني في الخطأ ذات مرة إن لم أجد وسيلة تجعلني أتعامل مع الكذب على أنه حقيقة.

- أنا كينا، ولكنني معروفة أكثر باسم نيكول.

تلك إجابة بها من الكذب قدر ما بها من الحقيقة، قالت ليدي ديانا وهي تقفز على أصابع قدميها بانطلاقٍ وحيوية: "أصبح لي اليوم صديقٌ حميمٌ جديدٌ قابلته في العمل!".

تذمَّرت أمها بصوتٍ مسموعٍ، وسألتْها: "حقًّا؟".

- نعم، اسمه جيل، يعمل معنا، الشاب ذو الشعر الأحمر، وطلب مني أن أكون فتاته، لديه متلازمة داون مثلي، ويحب الألعاب، أظن أنني سأتزوجه.

كانت تتحدث من دون توقف، ولم تقطع جملتها الطويلة حتى لتلتقط أنفاسها. فقالت لها أمها: "على رسلك".

لم أفهم هل قصدت أن تطلب منها التروي في الحديث، أم التروي في موضوع الزواج، سألتها مجددًا: "هل هو لطيف؟".

- لديه بلاي ستيشن.
- جميل، لكن هل هو لطيف؟
- لديه الكثير من بطاقات البوكيمون.
- لا بأس، ولكن هل هو لطيف؟

هزَّت كتفيها، وأجابت: لا أعرف سأضطر إلى أن أسأله.

فابتسمت وقلت لها: "حسنًا! افعلي ذلك، لا بد أن يتزوج المرء ممن يكون لطيفًا معه".

سألتني إديلين: "هل تعرفين هذا الصبي جيل؟".

نطقت اسمه بازدراء، فضحكت وأنا أهزُّ رأسي بالنفي، وأنظر إلى ليدي ديانا : "لا أعرفه، ولكنني سأراقبه، وأتأكد مما إذا كان لطيفًا".

شعرت إديلين بالارتياح، فنهضت قائلة: "أشكرك، هل سنراك على الغداء يوم السبت؟".

- أي غداء؟
- سنعد غداءً صغيرًا هنا في يوم عيد الأم، وقد طلبت من ليدي ديانا دعوتك إلى الانضمام إلينا.



يصيبني وخزٌ حين تأتي سيرة هذه المناسبة، وطالما تجاهلت التفكير فيها، وستكون المرة الأولى التي يمرُّ فيها هذا اليوم منذ أن صرت أمًّا وأنا خارج السجن، وأسكن في مدينة واحدة مع ديم، قالت ليدي ديانا: "ابنة كينا مخطوفة، لذلك لم أدعها".

اندفعت قائلة بنبرة منهزمة: "لا، ليست مخطوفة. قلت ذلك فقط... إنها قصة طويلة! أنا محرومة من حضانتها في الوقت الراهن".

قالت إديلين: "لا بأس، فالغداء لجميع السكان هنا، والحقيقة أننا أردنا أن نعوض به روث لأنها تسكن على مسافة بعيدة من أبنائها".

أومأت برأسي قبولًا للدعوة كي لا أضطر إلى الإجابة عن أسئلة إديلين لو رفضت، بالتأكيد ستصمم على أن تعرف السبب الذي جعلني أخبر ليدي ديانا أن ابنتي مخطوفة، سألتها: "ماذا أحضر معي؟".

- لدينا كل ما نحتاج إليه، سعدت لمقابلتك.

وقبل أن تسير مبتعدة، سألتني: "هل تعرفين أحدًا يستطيع أن يوفر لنا طاولات ومقاعد؟ الحقيقة أننا سنحتاج إلى المزيد منها".

أردت أن أقول "لا أعرف"، فلا أحد يمكن أن يساعدني في ذلك سوى ليدجر، لكنني لم أرغب أن أبدو بلا معارف أمامها، لذلك أجبت: "لا بأس، سأتولى ذلك".

أخبرتني إديلين أن من الجميل مقابلتي أخيرًا، ثم سارت إلى شقتها بينما تلكعت ليدي ديانا قليلًا خلفها، وعندما اختفت أمها، اقتربت مني وحدقت إلى هاتفي.

- هل يمكنني أن ألعب لعبة؟

أعطيتها الهاتف، فجلست وسط العشب مقابل طاولة الطعام تلعب، كان عليَّ أن أستعد لمناوبتي التالية.

- سأذهب لأغير ملابسي، يمكنك اللعب بهاتفي حتى أعود.

أومأت من دون أن تنظر إليَّ، تمنيت لو استطعت جمع المال لشراء سيارة بدلًا من السير إلى العمل، ولكن محاولاتي لجمع المال اللازم للانتقال إلى مكان آخر من أجل راحة عائلة لاندريس، قد أرهقني ماديًا، وسبَّب لي تعثُّرًا ماليًا.

وصلت إلى الحانة مبكرًا فوجدت الباب الخلفي مفتوحًا، كنت قد اعتدت المكان بعدما مرَّ على عملي به أسبوع، فوضعت المريلة ووقفت أمام الحوض. سمعت رومان يسير في الخلف. قال: "جئتِ مبكرًا".

- نعم، خشيت أن يؤخرني الزحام في الطريق.

ضحك رومان، فهو يعلم أنني لا أملك سيارة. سألته: "من كان يتولى غسيل الأطباق قبل أن يوظفني ليدجر؟".

- الجميع، أي شخص يملك بعض لحظات في أثناء العمل كان يقف على حوض الغسيل، وأحيانًا كنَّا نبدأ التناوب على الحوض في آخر الليل بعد إغلاق الحانة لننتهي من تنظيفه قبل أن نغادر.

سحب مريلته ليرتديها، وأردف: "لا أظن أن أحدًا من الموظفين سيريد القيام بهذه المهمة مرة أخرى بعد تعيين موظف خاص لها، فمن الجميل أن نغادر المكان بمجرد إغلاق الحانة".

تساءلت لو كان رومان يعلم أن وظيفتي مؤقتة، أظنه يعلم. لفت نظري محذرًا: "المباراة النهائية الليلة، سيزدحم المكان بالزبائن، ولديَّ شعورٌ بأن المكان سيشهد إقبالًا كبيرًا من طلبة الجامعات".

وضعتُ المزيدَ من الصابون في علبة الماء، وقلت له: "ماري آن سيسعدها ذلك. اسمع، عندي سؤالٌ سريعٌ، سيكون هناك حفل غداء في حديقة المجمع السكني الذي أعيش فيه يوم الأحد القادم، والمكان يحتاج إلى طاولة إضافية، فهل تتوافر واحدة هنا؟

أشار رومان برأسه نحو السقف: "يوجد بعض الطاولات والمقاعد في المخزن العلوي على ما أعتقد".

وأكمل بعد أن نظر في ساعته: "لا يزال هناك وقتٌ على موعد الفتح، لنصعد ونرى".

أغلقت الصنبور وتبعته إلى خارج الممر، سحب سلسلة مفاتيح من جيبه وبحث فيها عن مفتاح المخزن.

- عذرًا على الفوضى.

وجد المفتاح ووضعه في الباب، وأكمل: "في الغالب أحافظ على نظافة المكان أكثر من الآن، تحسبًا للطوارئ إذا نقلنا إليه أحد المفقودين، ولكني لم أنظفه من فترة طويلة".

سحب الباب وفتحه لنجد أمامنا سلمًا علويًّا مضيئًا، تبعته صعودًا إلى الدور العلوي، وأنا أسأله: "وما هم المفقودون؟".

كان السلم مائلًا بنهايته ومفتوحًا على مساحة في حجم مساحة المطبخ الخلفي للحانة في الأسفل، وبدا أن تقسيم الدور العلوي هو

نفس تقسيم الحانة في الدور الأرضي، الفارق الوحيد أن المكان مؤثث للسكن والإقامة.

- المفقود هو السكران الذي يفقد وعيه تمامًا في آخر الليل، ثم يرتمي في أحد الأركان وحيدًا من دون مرافق، ومن دون أن يسأل عنه أحد، نتركه هنا نائمًا على الأريكة حتى يسترجع وعيه ويعرف وجهته.

أضاء المصباح فرأيت أمامي الأريكة، كانت قديمة وبالية لكنها بدت مريحة، رأيت أيضًا حاملًا عليه شاشة تلفزيون مسطحة، وسريرًا عريضًا. المكان باختصارٍ مسكنٌ بسيطٌ متكامل، ومزود بمطبخ وغرفة طعام صغيرة، وبه نافذة تطل على الشارع الأمامي المقابل للحانة، ومساحته ضعف مساحة شقتي، كما أنه يتسم بقدرٍ من الأناقة.

- المكان لطيف.

أشرت إلى صفٍ من الأكواب الفخارية به ما يزيد على الثلاثين كوبًا، متراصين أمام الحائط وقلت: "هل تدمن القهوة أم أنها للديكور فقط؟".

- إنها قصة طويلة.

أشاح وجهه ناظرًا إلى سلسلة المفاتيح ومرَّر أصابعه عليها بشرودٍ، ثم غيَّر الموضوع: "هناك مساحة للتخزين خلف هذا الباب، وأذكر أنني رأيت بعض الطاولات آخر مرة، لكنني لست واثقًا، ولا يمكنني أن أعدك بوجودها".

فتح الباب، فرأيت طاولتين مطبقتين مستندتين إلى الحائط، يبلغ عرض كل منها ستة أقدام، ساعدته في سحب واحدة إلى الخارج.

- هل تحتاجين إلى الاثنتين؟

- واحدة ستؤدي الغرض.

أسندنا الطاولة إلى الكنبة، وأغلقنا الباب ثم حملناها من الطرفين لنهبط بها السلم. قال رومان : "يمكننا أن نتركها إلى جوار السلم الآن، وفي آخر الليل نضعها في شاحنة ليدجر".

- رائع! أشكرك.

- ما مناسبة هذا الغداء؟

- مجرد غداء.

لم أرد أن أخبره بحقيقة المناسبة فيبدو الأمر بالنسبة إليه كأنني أحتفل مع الجميع بها ما قد يجعله يأخذ انطباعًا سلبيًا عني. لا يعني هذا أن رومان من هؤلاء الأشخاص الذين يلقون الأحكام على الآخرين اعتباطًا، بل هو شخص لبقّ ومحترم ووسيم بما يكفي ليجعلني أنظر إليه نظرة إعجاب، لولا أنني جربت قبلة ليدجر واختبرت الشعور بها، الآن لم أعد قادرة على النظر إلى شفتي رجل آخر من دون أن أتمنى لو أنني أنظر إلى شفتي ليدجر. يزعجني أنني ما زلت أراه جذابًا كأول ليلة قابلته فيها حين دخلت إلى هذه الحانة، سيكون من الأسهل عليَّ لو وجدت رجلًا آخر أكثر جاذبية منه، أيًا كان هذا الشخص.

وضع رومان الطاولة في الزاوية إلى جوار السلم، وسألني: "هل ستحتاجين إلى مقاعد؟".

- نعم، اللعنة! سأحتاج إلى بعضها.

كنت قد نسيت أمر المقاعد، وما إن أجبته، حتى عاد إلى أعلى صاعدًا السلم وأنا من خلفه، وبينما لا نزال نصعد سألته: "كيف عرفت ليدجر؟".

- ليدجر هو من سبَّب لي هذه الإصابة، في أثناء لعب الكرة.

- هو من قضى على مستقبلك في البيسبول؟ إذن كيف أصبحتما... صديقين؟

وقفتُ عند نهاية الدرج، وانتظرت إجابته لأنني لم أكن أعلم أي تفاصيل عن ذلك الحادث، تفحصني رومان بعينيه حذرًا وهو يفتح باب المخزن: "ألا تعرفين حقًّا تفاصيل الواقعة؟".

هززتُ رأسي نافية: "الحقيقة أنني لا أعلم أي شيء، كنت مشغولة جدًّا في الخمس سنوات الأخيرة".

ضحك بهدوء وهو يفتح الباب، وبدأ في سحب المقاعد إلى الخارج: "نعم أفهم ذلك. سأحكي لك النسخة المختصرة، بعد الحادث اضطررت إلى إجراء جراحة في الركبة، لكن الألم تزايد، فأدمنت المسكنات وأنفقت كل ما حصلت عليه من اتحاد كرة القدم على هذه الحبوب".

أسند مقعدين خارج المخزن، وسحب مقعدين آخرين مكملًا: "لنقل أنني دمرت حياتي بنفسي، لكن ليدجر سمع بما أمرُّ به، فبحث عني، ربما لأنه شعر بمسؤولية تجاه ما أصابني، رغم أن إصابة ركبتي كانت حادثة غير مقصودة، كان إلى جواري في الوقت الذي اختفى فيه الجميع، وتأكد أنني حصلت على المساعدة اللازمة".

- عظيم!

لم أجد ما أقول بعدها. وضع رومان ستة مقاعد خارج المخزن، وأسندهم إلى الجدار وهو يواصل الحديث: "لا أذكر متى بدأت العلاج، لكنه ظل يهديني كوبًا فخاريًّا احتفالًا بذكرى علاجي وتخلصي من الإدمان كل أسبوع. في كل جمعة، يمنحني كوبًا للقهوة حتى لم يعد لديَّ مساحة، ولا يزال يصرُّ على إحضار المزيد ليضايقني".

- ما رويته عنه عظيم فعلًا! أتمنى أن تكون محبًّا للقهوة بعد كل ذلك.

- لا أستطيع العيش من دونها، لن تطيقي الاقتراب مني قبل أن أحصل على كمية كافية منها.

نظر رومان خلفي، فالتفتُّ لأجد ليدجر يقف في منتصف الطريق بين شاحنته والباب الخلفي للحانة. كان يحدق إلينا حيث وقفت صامتة، بينما توجه رومان نحوه قائلًا: "أرادت كينا استعارة طاولة وبعض المقاعد لمناسبة ستشارك بها يوم الأحد، وضعناها أسفل السلم العلوي، عليك أن تأخذها في شاحنتك قبل أن ترحل".

- نيكول، وليست كينا.

- نيكول أو أيًّا كانت، لا تنس! طاولة وكراسٍ وتوصيلة إلى بيتها.

قال رومان واتجه نحو الحانة، بينما نظر ليدجر إلى الأرض للحظة، ثم حدق إليَّ قائلًا: "ما المناسبة التي تحتاجين إلى طاولة من أجلها؟".

وضعت يديَّ في جيبي بنطالي، وأجبته: "إنه مجرد غداء جماعي بمسكني".

ظلَّ ينظر إليَّ كأنه يطلب المزيد من التوضيح، فقلت: "غداء بمناسبة عيد الأم".

طأطأت رأسي، وتوجهت ناحية الباب، ثم أكملت بصوتٍ متحشرج وأنا أتجه إلى الخلف: "لا بأس أن أحتفل به مع الأمهات في بنايتي ما دمت لا أستطيع الاحتفال به مع ابنتي".

ربما بدا صوتي اتهاميًّا بقدرٍ ما، سمعت صوت الباب يُغلَق خلفي بقوة من تلقاء نفسه بعد أن عبرته إلى داخل المطبخ، توجهت مباشرة إلى الحوض وهمرت الماء، ثم وضعت السماعات التي سمحت لي ماري آن باقتراضها في أذنيَّ بعد أن أوصلتها بهاتفي هذه المرة، كنت قد حمَّلت كتابًا صوتيًّا لأسمعه في أثناء المناوبة. بعد لحظات شعرت بنسيمٍ خفيفٍ يداعب عنقي فعرفت أن ليدجر عاد إلى الحانة، انتظرت لثوانٍ ثم التفتُّ لأبحث عنه وأرى ماذا يفعل، رأيته يسير باتجاه الواجهة الزجاجية للحانة، ويتوقف أمامها محدقًا إلى الفراغ خلفها، لا أعرف ما الذي يدور في رأسه عندما يضع هذا القناع الجليدي على وجهه، المشكلة أن وجهه لا يشي أبدًا بما يدور داخله، يوم رأيته لأول مرة هنا، بدا مرتاحًا وخالي البال، ثم لم يعُد كذلك منذ أن عرف كل شيء عني، من وقتها اكتسب وجهه هذه الملامح الجليدية، بالذات في وجودي كأنه يحاول بقدر الإمكان أن يمنعني من قراءة أفكاره.

الفصل السادس والعشرون

ليدجر

شعرتُ بخشونة المفاصل وتصلُّب العضلات وأنا أمارس تماريني المسائية، كما لو أن جسدي يعاني من أثر الكحول، لكني لم أفرط في تناول الكحول وليس ما أعانيه من آثاره. أنا فقط أشعر بـ... الغيظ؟ هل أنا مغتاظ فعلًا؟ إنني أتصرَّف كالأحمق، حتى رومان لاحظ ذلك، يبدو أنني لستُ ناضجًا بما يكفي لأتحكم في مشاعري.

منذ متى وكينا هنا؟ وما المدة التي قضتها مع رومان في شقته؟ لماذا تعاملني بجفاءٍ؟ بل لماذا أهتم؟ لا أعرف كيف أتعامل مع تلك المشاعر، ولا أجد غير أن أكبتها وأخنقها في حلقي وقلبي، كيف يخفي الناس مثل تلك المشاعر؟

كنتُ في حاجة إلى أن أنهي نوبتي بشكلٍ طبيعي، من دون أن أبدو متغيرًا أمام الجميع، اليوم هو نهاية أسبوع النهائيات، وسيكون الزحام الليلة جنونيًا. أدرتُ مشغل الموسيقى فارتفع صوت أغنية لم تكتمل منذ ليلة أمس، "لو كنَّا مصاصي دماء" لـ جيسون إيزابيل، عظيم، أغنية عاطفية ملحمية؛ بالضبط ما تحتاج كينا إلى أن تسمعه. سرتُ إلى الجزء الخلفي من الحانة، ولاحظتُ أنها تضع السماعات في أذنيها. التقطتُ جميع الفاكهة التي اعتدت أن أقطعها في أثناء فترة مناوبتي

مرة واحدة، وأخذتها إلى الخارج. وقفت أقطع الليمون بغضبٍ لاحظه رومان، فسألني: "هل أنت بخيرٍ؟".

حاولتُ أن أجيب بأسلوبي المعتاد، لكن المشكلة أن رومان لم يسبق أن سألني مثل هذا السؤال لأنني دائمًا ما أكون بخيرٍ.

- بخيرٍ.

- هل مررتَ بيومٍ صعبٍ؟

- بل يوم رائع.

أطلق تنهيدة، وأخذ مني السكين، فسندت راحتي إلى الحانة، ونظرت إلى وجهه. مال نحوي مستندًا إلى كوعه، وحرَّك السكين بحركة دائرية بين أصابعه، ثم حدق إلى وجهي، وقال: "لم يحدث شيء، كل ما في الأمر أنها أرادت استعارة طاولة وبعض المقاعد، لم يمضِ على وجودنا معًا في شقتي سوى ثلاث دقائق".

- لم أقل شيئًا.

أطلق ضحكة مشوبة بالغضب، وقال: "لست مضطرًا إلى أن تقول، يا إلهي! لم أتخيل أنك من النوع الذي يغار يا رجل!".

استعدتُ سكيني من يده، وعدت إلى تقطيع الليمون مرة أخرى: "الأمر لا علاقة له بالغيرة".

- إذن، له علاقة بماذا؟

أوشكت أن أتحجج بأي كذبة فارغة، لكن قبل أن أجيبه انفتح باب الحانة واندفع أربعة رجال إلى الداخل، متحمسين وصاخبين ومستعدين للاحتفال، وغالبًا كانوا سكارى. قطعت الحديث وواصلت العمل استعدادًا للمناوبة التي لا تناسب حالتي المزاجية السيئة.

بعد ثماني ساعات، رفعتُ أنا ورومان الطاولة والمقاعد وسرنا بها عبر الممر إلى الخارج، ثم وضعناها في مؤخرة شاحنتي. لم يتسنَّ لنا الوقت هذه الليلة إطلاقًا لنفكر في أي شيء، أو ننهي المحادثة التي بدأناها في أول الليل، لم نقل الكثير فقد كنَّا متعبين وظلَّ رومان لطيفًا معي، إلا أن مجرد التفكير في أنهما قضيا وقتًا وحدهما في شقته أزعجني. أدري أن رومان منجذبًا إليها، ولكني لا أعرفها بما يكفي لأحدِّد ما تشعر به نحوه، ربما تريد أن ترتبط بأي شخص في المدينة ليكون سببًا وجيهًا لبقائها فيها، أشعر بالذنب لمجرد التفكير على هذا النحو.

سألني رومان: "هل سنكمل حديثنا؟".

أغلقت باب الشاحنة الخلفي، وأسندت يدي إليه، ثم أرغمت نفسي على الكلام محاولًا اختيار كلماتي بحرصٍ: "إذا حدث شيء بينكما، سيكون لديها عذرٌ ألا تغادر المدينة، ومن المفترض أن سبب عملها هنا هو أن تجمع المال لترحل".

دارت عينا رومان في محجريهما من الغيظ، وقال: "هل تظن أنني أحاول التقرُّب إليها أو الارتباط بها؟ هل تعتقد أنني يمكن أن أفعل بك هذا بعد كل ما فعلته من أجلي؟".

- لا أخبرك بهذا لأنني أشعر بالغيرة، بل لأنني أحتاج إلى إبعادها عن المدينة حتى يستعيد كلا من باتريك وجريس حياتهما كما كانت قبل ظهورها.

ضحك رومان: "يا لكَ من كاذب! لقد لعبت في الاتحاد وجمعت المال لتبدأ عملك الخاص، واستطعت أن تشيد منزلًا، أنت لست مفلسًا يا ليدجر، إذا كنت ترغب فعلًا أن تترك كينا المدينة، لكنت كتبت لها شيكًا بالمبلغ الذي تحتاج إليه لتتخلص منها".

توترت أعصابي، فطقطقت عظام رقبتي بعد أن أملت رأسي قليلًا لأتخلص من التوتر: "لم ترغب في أن تأخذ مالًا ليس لها".

- هل حاولت معها حقًا؟
- لم أحاول، لكني أعرفها جيدًا، كل ما أطلبه منك يا رومان أن تكون حذرًا، فهي قد تفعل أي شيء لتبقى قريبة من ديم.
- لا بأس، على الأقل نحن متفقان فيما يخص تلك النقطة بالذات.

سار مبتعدًا واختفى في ظلام الباب المؤدي إلى السلم العلوي، اللعنة عليه! اللعنة عليه لأنه على صواب. كيف تطور الأمر إلى هذا الحد مع هذه المرأة؟ كيف تحول شعوري من الاشمئزاز منها إلى شعورٍ مختلف تمامًا؟ هل صرت ذلك الصديق الحقير لسكوتي؟ هل صرت خائنًا لصداقة باتريك وجريس. الحقيقة هي أنني لم أوظِفها لتترك المدينة، بل لأني أرغب في وجودها قريبة مني، وأرغب في تقبيلها مرة أخرى. تسيطر عليَّ الفكرة كل ليلة حين أضع رأسي على الوسادة، وأعترف أنني وظَّفتها أملًا في أن يسامحها باتريك وجريس بعد فترة، وفي أن تتغيَّر الظروف إلى الأفضل، وأن أكون حاضرًا عندما يحدث ذلك.

الفصل السابع والعشرون

كينا

سمعتُ كل كلمة في الحديث الذي دار بين رومان وليدجر، كان وجهي محمرًا كثمرة طماطم حين ابتعدت عن الباب الذي وقفتُ خلفه أستمع إليهما. سمعت ما قال ليدجر وما لم يقله أيضًا، أخذت حقيبتي من غرفة المخزن بمجرد أن سمعت وقع أقدامه عائدًا من الباب الخلفي.

حين فتح الباب تساءلتُ عن الأفكار التي ستدور برأسه حين ينظر إليَّ، منذ اللحظة التي عرض عليَّ فيها الوظيفة وأنا لا أشك في كراهيته لي ورغبته في إبعادي، لكن رومان كان محقًّا، فقد كان في إمكانه أن يدفع لي ما أحتاج إليه ويتخلص مني، لماذا أنا باقية هنا إلى الآن؟ ولماذا يحذر رومان مني ومن نواياي السيئة؟ لم أطلب منه وظيفة، بل هو من عرضها، كيف يظن أنني قد أستخدم رومان لأبقى قريبة من ابنتي؟ أشعر كأنني صُفِعت على وجهي بقوة، ربما أراد أن يلمح بخبثٍ إلى ما هو أسوأ من ذلك، أو أن يبالغ في تحامله ضدي.

- هل أنتِ جاهزة للرحيل؟

سألني وهو يطفئ الأضواء، وقد أمسك الباب الأمامي ليبقيه مفتوحًا كي أمرّ. عبرت من الباب وشعرت باضطرابٍ متبادلٍ حين

صرت قريبة منه، اضطراب مختلف عن ذاك الذي استمر بيننا بسبب ديم، اضطراب يحدث دائمًا كلما تواجدنا بالقرب من بعضنا.

في الطريق إلى شقتي، شعرتُ بضيقٍ في التنفس، وأردتُ أن أفتح نافذتي، لكنني ترددت كي لا يفهم أنني غير قادرة على التقاط أنفاسي لمجرد وجودي قربه. استرقت النظر إليه مرتين، وحاولت أن أبدو متحفظة لكنني لاحظت أن عضلات فكيه مشدودة كأنه يفكر بعمقٍ فيما دار بينه وبين رومان، ربما هو غاضب لأن رومان على حقٍّ، أو ربما لأنه أخطأ في تقديره للأمور.

- هل استلمتِ أوراق أمر التقييد؟

- بحثت على جوجل في هاتفي، وعرفت أن الأمر قد يستغرق أسبوعًا أو اثنين ليتم اتخاذ الإجراءات لتنفيذ الحكم.

استطعت أن أجيب بعد أن تنحنحت ليخرج الكلام من حنجرتي، وظللت أنظر من خلال نافذتي من دون أن أدير وجهي ناحيته، لكنه قال: "هل أصبح لديك هاتفٌ؟".

- نعم، منذ بضعة أيام.

مدَّ يده نحوي بهاتفه :"سجلي رقمك هنا".

بدا متسلطًا في طلبه، فنظرت إلى هاتفه من دون أن ألتقطه، ثم نظرت إليه: "ماذا لو أنني لا أريد أن أعطيك رقمي؟".

بدت عيناه متوسلتين وهو يبرر: "أنا رئيسك في العمل، ولا بد أن أحصل على أرقام موظفيني للتواصل معهم".

نفختُ متأففة لكني انصعت لمنطقه الصائب، وأمسكت هاتفه وسجلت رقمي باسم نيكول؛ من الأفضل أن أؤمّن نفسي حتى لا أندم. أعدت هاتفه إلى جرابه المخصص في الشاحنة وهو يتوقف بها في ساحة الانتظار. ترجل وأغلق الباب، ثم سحب الطاولة والمقاعد ورفض أن أساعده في حملها متسائلًا أين يمكنه تركها.

- هل يمكنك أن تحملهم إلى شقتي؟

صعد مباشرة، وذهبت من خلفه حاملة مقعدين، وبينما أصعد الدرج، عاد هو خالي اليدين ليهبط ويأتي بما تبقى في الشاحنة. ابتعد منكمشًا في الزاوية ليمنحني مساحة أمرُّ منها، لكنني شممت رائحته التي فاحت منها أريج الليمون والأحكام الخاطئة.

حين وصلتُ عند باب شقتي، كان قد ترك الطاولة مطوية بالقرب منه. فتحت الباب وأسندت المقاعد إلى الحائط بالداخل، نظرت من النافذة ورأيته يحمل بقية المقاعد متجهًا إلى أعلى، فتفحصت المكان لأرى ما إذا كان البيت مرتبًا أم لا قبل أن يعود. كنت قد تركت حمالة صدري على الكنبة، فأسرعت وألقيت عليها وسادة لأخفيها. وقفت إيفي عند قدمي تموء، فلاحظت وعائيْ طعامها وشرابها الفارغين، أعدت ملأهما بينما وصل ليدجر ليدخل المقاعد والطاولة.

- هل تحتاجين إلى شيء آخر؟

وضعتُ أطباق إيفي في الحمام، فاندفعتْ تجاهها، فأغلقتُ الباب عليها، وسرتُ باتجاه باب الشقة: "لا شيء، شكرًا جزيلًا".

وقف عند الباب ويده على المقبض، ثم قال: "ما موعد انتهاء مناوبتك في البقالة غدًا؟".

- الرابعة.
- ستنتهي تدريبات التي-بول في نفس الوقت تقريبًا، هل ترغبين في توصيلة؟ لكني ربما أتأخر قليلًا.
- لا بأس، أستطيع المشي، من المفترض أن الطقس غدًا سيكون لطيفًا.
- حسنًا.

تأهب للرحيل لكنه تردد، فكرت إذا كان من الأفضل أن أخبره بأنني سمعته، ثم قررت أن أخبره. فقد علَّمتني التجربة طيلة الخمس سنوات الماضية أن الخوف من المواجهة والجبن هما الشيئان اللذان دمَّرا حياتي. أطبقت ذراعيَّ على بعضهما، وقلت له: "لم أقصد التنصت، لكني سمعت حديثك مع رومان بالصدفة".

زاغت عيناه، وأشاح بنظره بعيدًا، وبدا عليه عدم الارتياح، فقلت: "لماذا حذَّرته مني؟".

زمَّ ليدجر شفتيه، وشرد في أفكاره، ثم ابتلع ريقه بصعوبة، ولم يجِب، اكتفى بالنظر إليَّ لكن ملامحه وشت بما يعتمل داخله، أسند جانب رأسه إلى الباب، ونظر إلى أسفل باتجاه قدميه. خرج صوته واهنًا كأنه همس، أو صرخة منطلقة بصوتٍ هامس:

- هل أخطأت فيما قلت؟ أليست تلك الحقيقة؟ أنك قد تفعلين أي شيء من أجل ديم؟

سؤال خبيث! أكيد أنني سأفعل أي شيء من أجلها، ولكن ليس باستغلال الآخرين. أطلقت تنهيدة وعجزت عن التفكير، ثم قلت: "هذا ليس سؤالًا عادلًا".

ثبّت عينيه على وجهي من دون أن يطرفهما، وأطال التحديق إليّ، فتسارعت نبضات قلبي.

- رومان هو صديقي المقرب، ولا أقصد إهانتك، اعذريني، لكني بالكاد أعرفك يا كينا، لا أعرف حتى الآن ما إذا كان الذي صار بيننا في الليلة الأولى بالحانة حقيقيًا أم كان مجرد محاولة منك للاقتراب من ديم من خلالي.

أسندت رأسي إلى الحائط وراقبت تعابير وجهه، بدا صادقًا كأنه لا يعرف فعلًا ما إذا كانت قبلتنا حقيقية أم لا، وأن غضبه مني لا لشيء إلا لأنها تعني له شيئًا.

- لم أكن أعرفك إلى أن ذكرت لي اسمك، وحين عرفت صلتك بسكوتي كنت بالفعل في حضنك، وبالتالي فإغواؤك ليس جزءًا أنفذه من خطة جهنمية أعددتها.

فكر قليلًا، ثم أومأ برقة قائلًا: ارتحت لمعرفة ذلك.

فردت ظهري وضغطتُ الحائط من خلفي: "هل ارتحت فعلًا؟ لكن يبدو لي أن الأمر برمته لا يهمك، لم تساعدني حتى الآن لأرى ابنتي، وتريدني أن أغادر المدينة بأسرع وقتٍ".

نظر إليَّ بتحدٍ: "لا شيء في هذا العالم قد يجعلني سعيدًا أكثر من أن أشهد لحظة لقائك بديم، لو كان بيدي أن أغير تفكيرهما فيكِ لفعلت ذلك من دون تردد يا كينا".

الآن اعترف، وكان ذلك كل ما تمنيت أن أسمعه، تنفَّستُ الصعداء وأغلقت عينيَّ لأمنعهما من البكاء، كذلك لم أرد أن أراه يرحل، ولكنني حتى هذه اللحظة لم أكن واثقة ما إذا كان يريدني أن أبقى إلى جوار ديم. شعرت براحته تلامس راحتي، فثقلت أنفاسي، سمعت صوت أنفاسه وشعرت بها على وجنتيَّ ورقبتي أكثر كلما اقترب مني.

شعرتُ به حولي في المكان كله الآن، وخشيت أن أفتح عينيَّ فأجد كل ما أشعر به مجرد خيالٍ في رأسي فقط وليس في الحقيقة، أو أجده غادر من دون أن أدري، لكنه أطلق زفرة غمرت رقبتي وكتفيَّ بحرارة أنفاسه، فتحت عينيَّ بحذرٍ، فرأيت وجهه يكاد يلامس وجهي، وذراعيه مستندتين إلى الحائط على جانبي رأسي، بدا مترددًا فيما يجب أن يفعل، هل يرحل أم يعيد ذكرى قبلتنا الأولى؟ أو ربما أراد أن آخذ المبادرة وأتحرك أولًا، ربما أرادني أن أقبل عليه، أو أتخذ قرارًا ما، أو أرتكب خطأ ما، لا أعرف ما الذي دفعني لأضع يدي على صدره، أطلق تنهيدة عميقة حين فعلت ذلك، كأنه تنفس الصعداء حين فعلت ما أرادني أن أفعله، لكني لم أعرف هل أردت أن أدفعه بعيدًا أم أقرِّبه أكثر، أسند جبهته إلى جبهتي، ثم قاوم كل المشاعر المتضاربة والخيارات والارتباكات التي باعدت بيننا منذ أن التقينا، وألصق شفتيه بشفتيَّ.

سرت الحرارة في جسدي، وأطلقت أنفاسي في فمه، فلعق شفتي العلوية بلسانه حتى شوَّش على الأفكار التي تدور برأسي، أحاط وجهي براحتيه وتملَّك من فمي ليجعل القبلة عميقة، تذهب العقل كالخمر.

كان فمه أدفأ مما أتذكر من قبلتنا الأولى، يداه أكثر لطفًا، ولسانه أكثر نعومة، لكن هذه القبلة انطوت على شيء من الحرص، لكن الشعور بدفئه وحميميته جعلني أشعر بالدوار، وفي لحظة تشبثي به، أعرض عني وابتعد.

كنت لا أزال مستغرقة في القبلة، وفمي يلفحه الهواء، بينما وقف هو يتفحص ملامحي ليرى أي علامة على الندم أو الرغبة، كنت واثقة أنه رأى الاثنين، قلبي يريد الاقتراب منه وعقلي يرفض لأن أي علاقة حميمة بيننا ستحكم بالانهيار على علاقته بديم. خوفي من أن يصير بيننا شيء يعلم به فيما بعد أفراد عائلة لانديرس أكبر من شعوري القوي بالاحتياج إليه والاقتراب منه، لا أتحمَّل مجرد التفكير فيما سيحدث عندئذٍ. فجأة، اقترب مني مرة أخرى، ومال على جسدي، ففقدت توازني وهززت رأسي، وأنا أهمس: "أرجوك، لا تفعل! الأمر كله مؤلم".

تجمَّد في مكانه قبل أن تلمس شفتاه فمي، وتراجع وهو يمرِّر أصابعه على فمي بلطفٍ: "أعرف، أنا آسف".

صمتنا لثوانٍ من دون حراك، وتمنيت لو كانت تلك العلاقة ممكنة، لكنها ليست كذلك. ضغط براحته الجدار وتحرك مبتعدًا

عني، ثم مرَّر أصابعه في شعره، وهو يفكر فيما قال: "أشعر أنني... عاجز لعين... آسف".

خرج من الباب وسار مبتعدًا، فأغلقته من خلفه وشعرت بالحرارة تسري في كل أركان الغرفة، أغلقت المدفأة وأخرجت إيفي من الحمام، جلسنا على الكنبة معًا، وسحبت مذكرتي وكتبت:

"عزيزي سكوتي،

هل أنا مدينة لك باعتذارٍ على ما جرى؟ أنا لا أتبيَّن تفاصيل ما حدث. أنا وليدجر اقتربنا في لحظة، وأوشكنا أن نترك العنان لأنفسنا، ولكن هل هذا جائز الحدوث؟ هل كانت لحظة سعيدة أم حزينة؟ أنا أشعر بالحزن أكثر من أي وقتٍ سابقٍ، لو لم أمنعه لكنا لا نزال هنا معًا حتى هذه اللحظة، ولكننا إذا انجرفنا، فسوف يكون فيما بعد مجبرًا على الاختيار بيني وبينهم، وبالطبع لن يختارني، ولو اختارني لن أغفر له تخليه عن ديم. سأخسر في الحالتين، سأخسر ديم وليدجر، يكفيني أنني خسرتك، كم خسارة على المرء أن يتقبَّلها قبل أن يستسلم وينسحب معلنًا هزيمته؟

حبي،

كينا

الفصل الثامن والعشرون

ليدجر

لفَّت ديم ذراعيها حول رقبتي وهي تركب على ظهري، بينما أتقمص دور الحصان في ساحة الانتظار قريبًا من سيارة جريس. كان تدريب التي-بول قد انتهى، وطلبت مني ديم أن أحملها إلى السيارة لأن ساقيها تؤلمانها، قالت: "أريد أن آتي معك إلى العمل".

- لا يمكنك، ليس مسموحًا للأطفال بدخول الحانات".

- كنت أذهب معك من قبل.

- نعم، فعلت ذلك في أوقات إغلاقها، وهذا لا يعني أن تأتي والحانة مفتوحة، الليلة سيكون المكان مزدحمًا، ولن أتمكن من رعايتك.

أضف إلى ذلك أن أمها التي لا تعرف عن وجودها شيئًا ستكون هناك..

- يمكنك أن تعملي عندي حين تبلغين عامك الثامن عشر.

- هذا وقت طويل جدًا، ستكون ميتًا عندما أصل إلى هذا السن.

هنا صاحت جريس: "ماذا؟ أنا أكبر سنًا من ليدجر، ولا أخطط لأن أكون ميتة عندما تبلغين الثامنة عشرة.

قالتها بنبرة دفاعية، وهي تُجلِس ديم في مقعد الأطفال داخل السيارة وتشد حزام الأمان، فسألتنا ديم: "كم سيكون عمري عندما يموت الجميع؟".

أجبتها:

- لا يمكن أن نعرف متى سيموت أيّ منا، ولكن لو بقينا أحياء حين يتقدم بنا العمر، سنكون جميعًا مسنين.

- كم سيكون عمري حين يكون عمرك مئتي عام؟

- ستكونين ميتة.

اتسعت عيناها فهززت رأسي قائلًا: "لا تخافي، سنكون جميعًا أمواتًا، فلا أحد يعيش ليبلغ عمره مئتي عام".

- معلمتي عمرها مئتا عام.

قالت جريس من مقعدها الأمامي: "السيدة برادشو أصغر مني، كفي عن الكذب".

عاندتها ديم ومالت بجسدها إلى الأمام لتسمعها جريس: "السيدة برادشو عمرها بالفعل مئتا عام".

قبّلتها على جبهتها، وقلت: "أنا أصدقك، لقد أحسنتِ اليوم، أحبك".

- وأنا أحبك ولكنني أريد الذهاب معك إلى العمـ..."

قاطعتها، وأغلقت باب السيارة. في العادة لا أريد أن يرحلا بسرعة بعد التدريب، ولكن هذه المرة أردت أن أقرأ الرسالة التي تلقيتها على الهاتف فجأة من كينا.

"أرجوك تعالَ لتأخذني".

لم تقل في الرسالة أكثر من ذلك، ولكن الساعة لم تحِن الرابعة بعد، وقد قالت بالأمس إنها لا تريد مني توصيلة، لذا انتابني القلق حين تلقيت الرسالة، وقفزت إلى شاحنتي بمجرد أن رحلت جريس مع ديم في سيارتهما. لم يستطع باتريك حضور التدريب اليوم لأنه مشغول بتجهيز بيت الألعاب الصغير في الفناء الخلفي من أجل عيد ميلاد ديم. كنت قد خططت أن أذهب إلى البيت لساعتين بعد التدريب قبل أن أتوجه إلى الحانة، كي أرى مدى التقدم في العمل ببيت الألعاب، وأساعد باتريك، لكني الآن أنا في طريقي إلى البقالة لأطمئن على كينا.

سأترك رسالة لباتريك حين أصل لأخبره أنني لن أمرَّ عليه، لقد قاربنا على إنهاء العمل في البيت وفي الوقت المثالي قبل عيد الميلاد. كان من المفترض أن يكون يوم حفل زفافي أنا وليا قبل حفل عيد ميلاد ديم بأيام قليلة، وكان هذا يعني أننا إذا سافرنا إلى هاواي بعد أسبوع من الزفاف كما خططنا، فإنني لن أتمكن من حضور الحفل. صممتُ وقتها على تغيير جميع الخطط بسبب هذا التعارض ما أزاد الاحتقان في علاقتنا أنا وليا، لأنها لم تصدق أن عيد ميلاد ديم الخامس بالنسبة إليّ أهم من خطط الزواج وشهر العسل.

أنا واثق بأن جريس وباتريك كانا سيوافقان على تغيير موعد الاحتفال بعيد ميلاد ديم، لكن ليا عقّدت الأمور قبل حتى أن أقترح عليهما هذا الحل، لقد فضّلت أن تنشب بيننا معركة على أن تحاول إيجاد حلٍّ، وقد كان ذلك بمنزلة إنذار آخر لي بأن الأمور ليست على ما يرام بيننا.

بعدما انفصلنا، أهديت ليا تذاكر رحلة هاواي المدفوعة، ولكني غير واثق ما إذا كانت ستذهب، لقد مرَّ على آخر حديث بيننا ثلاثة أشهر، ولا أعرف شيئًا عن مجريات حياتها الآن. من الغريب أن تكون جزءًا لا يتجزأ من تفاصيل حياة شخص ما اليومية، ثم تنفصل عن تلك الحياة تمامًا. ومن الغريب أيضًا أن تظن أنك تعرف شخصًا ما جيدًا، ثم يتضح لك أنك لم تعرفه أبدًا حق المعرفة، شعرت بذلك نحو ليا وأنا الآن أشعر به تجاه كينا، ولكن على النقيض، فقد حكمت على كينا في البداية حكمًا مجحفًا، بينما حكمت على ليا في البداية حكمًا بالغت في ايجابيته.

ربما كان من الأفضل أن أجيب رسالة كينا برسالة أخبرها فيها أنني في الطريق إليها، فها أنا الآن أراها تسير في الطريق على بُعد ميلٍ من البقالة ورأسها مطأطأ، وقد علقت يديها في حزامي حقيبة ظهرها على الجانبين، لم تلحظ شاحنتي وأنا أركنها على جانب الطريق، ضغطت البوق لأنبِّهها فرأتني ثم عبرت الطريق إليَّ. قفزت إلى داخل الشاحنة وجلست إلى جواري، أغلقت الباب وهي تطلق زفرة حارة. كانت رائحة التفاح تفوح منها، وهي نفس الرائحة التي فاحت من جسدها الليلة الماضية عند باب شقتها، وددت لو لكمت نفسي على ما حدث بيننا ليلة أمس.

رمت حقيبتها في الفراغ بيني وبينها، وسحبت منها ظرفًا، ودفعته باتجاهي،

- لقد حصلت عليه! أمر التقييد، استلمته وأنا خارج المتجر لإيصال البضائع إلى سيارة زبون، كان الأمر مميتًا يا ليدجر.

قرأت الأوراق وانتابتني الحيرة من قبول القاضي التصديق على الحكم. ولكن حين رأيت توقيع جريدي فهمت الأمر، ربما شهد لصالح باتريك وجريس، وربما حرَّف الحقيقة قليلًا، هو ذلك النوع من الرجال. وأثق أن زوجته أحبَّت ما فعل كثيرًا، من الغريب أنها لم تذكر شيئًا عن الأمر اليوم في الملعب.

طويت الأوراق ووضعتها في حقيبتها، وحاولت أن أهدئ من روعها: "كل هذا لا قيمة له، لا يعني شيئًا".

- بل يعني كل شيء، إنها رسالة، يريدان أن يخبراني أنهما لن يغيِّرا رأيهما.

سحبت حزام مقعدها، ورأيت وجهها يشتعل احمرارًا من دون أن تبكي. وبدا أنها بكت بما يكفي قبل أن أقابلها. أكملت القيادة على الطريق وأنا أشعر بثقلٍ في صدري، نفس إحساس الأمس حين شعرت أنني عديم الفائدة، هذا يصف بالضبط ما أشعر به الآن، لا أنا قادرٌ على مساعدة كينا، ولا على تغيير رأي باتريك وجريس فيها. كلما حاولت أن أفتح الموضوع معهما، هاجماني مدافعين عن أنفسهما؛ الأمر صعبٌ ولكنني أتفهَّم موقفهما. سيبعداني عن ديم كما أبعدا كينا لو حاولت أن أتدخل أكثر من ذلك، وهذا أكثر ما يخيفني؛ ردة فعلهما إن عرفا أنني أساعد كينا من بعيدٍ، أو إذا جادلتهما في رأيهما فيها. الجزء الأسوأ في كل هذا الصراع أنني لا ألومهما على كراهيتهما

لكينا، فقد كانت توابع اختياراتها مدمرة لحياتهما. والآن صارت توابع خياراتهما مدمرة لحياتها، اللعنة على كل هذا! لا يوجد حلٌ ممكن، وقد زججت بنفسي في بركة من الوحل تبتلعني ولا فرصة للنجاة. الجميع سيعانون من آثار ما يجري الآن، ولا أحد سيقدر على إيقاف ذلك.

- هل تودين أن تحصلي على إجازة من مناوبة الليلة؟
- لا، أنا في حاجة إلى حساب ساعات العمل، سأكون بخير، لقد أفزعني الأمر رغم أنني كنت في انتظار حدوثه.
- نعم، لكن كان يجب على جريدي أن يكون أكثر لياقة، ويرسل إليكِ الأوراق إلى البيت، وليس إلى محل عملك.

قبل أن نقترب من الحانة، فكرت أنه من الأفضل لو أجلت مناوبتها لساعة أو أكثر حتى تتحسن، فاقترحت عليها: ما رأيك في بعض المثلجات؟

قلتها ثم شعرت بأنه اقتراح غبيّ لا يناسب الموقف الذي تعاني منه، ولكن طالما كانت المثلجات هي الملهاة الوحيدة لي أنا وديم والحل لجميع المشكلات، العجيب أن الاقتراح راقها، فأجابت بابتسامة: "نعم، المثلجات حلٌ مثاليٌ".



الفصل التاسع والعشرون

كينا

سندت رأسي إلى زجاج النافذة وراقبت ليدجر وهو يتجه نحو بائع المثلجات، بدا جذابًا جدًّا بكل تلك الأوشام على جسمه وهو يتحدث مع البائع طالبًا قمعين من آيس كريم قوس قزح، لماذا يفعل كل تلك الأشياء التي تجعله جذابًا جدًّا؟

لقد جئت إلى هنا مرة مع سكوتي، لكن سكوتي لم يشترِ لنا المثلجات، جلسنا على طاولة خشبية لم تعد موجودة الآن، تحوَّل المكان إلى موقف للسيارات واستبدل بالطاولات الخشبية مقاعد بلاستيكية تحت مظلات وردية.

أرسلت رسالة نصية إلى ليدجر أطلب منه توصيلي بعد أن وجدتني إيمي في الحمام على وشك الإصابة بنوبة هلع، سألتني ماذا بي فلم أجرؤ على إخبارها بأنني استلمت أمر التقييد الذي حرَّرته لي عائلة لاندريس، بدلًا من ذلك أخبرتها بنصف الحقيقة، وهي أنني أصاب أحيانًا بنوبات هلع، لكنها تمرُّ. اعتذرت لها وتوسلت إليها ألا تفصلني عن العمل، بدتْ حزينة عليَّ لكنها ضحكت عندما قلت لها ذلك، وسألتني لما ستفصلني وأنا الموظفة الوحيدة المستعدة للعمل ضعف الوقت؟ قالت: "تصابين بنوبات هلعٍ وماذا في ذلك؟".

سألتني إن كان هناك أحدٌ يمكنه اصطحابي إلى المنزل لأنها لم ترد أن أغادر وحدي بهذه الحالة، خجلت أن أخبرها بأنني لا أعرف أحدًا في المدينة سوى ليدجر لذلك أرسلت إليه هذه الرسالة، لطمأنتها بأنني لن أكون وحدي. إنه لشعور جيد أن يقلق عليَّ أحد، فكرت أن هناك الكثير مما يجب أن أمتن له، مثل وجود إيمي في حياتي الآن، لكن من الصعب أن أشعر بالامتنان والشيء الوحيد الذي أتمناه يبتعد عني كل يومٍ أكثر.

عاد ليدجر إلى الشاحنة بأقماع المثلجات، لاحظت أنه أضاف السكاكر إلى قمعي، أعلم أن هذا شيء بسيط لكني قررت أنه إذا اعترفت بكل الأشياء الجميلة مهما كانت صغيرة فربما تتغيّر حياتي إلى الأفضل. سألته: "هل أحضرت ديم إلى هنا من قبل؟".

استخدم ملعقته للإشارة إلى الشارع، وقال: "يقع أستوديو الرقص على بُعد مبنى من هنا، أنا أصحبها إلى الدرس ثم تأخذها جريس إلى المنزل بعد الانتهاء، من الصعب ألا نمر على بائع المثلجات، لذا أنا زبون دائم هنا".

أبقى معلقته في فمه، وفتح محفظته ليخرج بطاقة بها العديد من الثقوب على شكل أقماع ثلجية صغيرة قائلًا: "أنا على وشك الحصول على قمع مجاني"،

لم أستطع مقاومة الضحك وهو يعيد البطاقة إلى محفظته، تمنيت لو كنت ذهبت معه إلى بائع المثلجات لأراه وهو يثقب له البطاقة بهذا المثقاب على شكل قمع.

نظر إليّ وأنا أتناول أول ملعقة، وقال: "موز وليموناده، طلبها المفضل"،

ابتسمت وسألته: "هل الأصفر لونها المفضل؟"، أومأ برأسه فأخذت ملعقة من الجزء الأصفر في المثلجات، هذه الحكايات الصغيرة التي يقدمها إليّ هي شيء آخر أقدّره له، إنها أجزاء صغيرة من الكل، وربما إذا أعطاني ما يكفي منها، لن أتألم كثيرًا عندما أضطر إلى المغادرة.

حاولت التفكير في شيء آخر للحديث عنه لا يدور حول ديم، فسألته: "كيف يبدو المنزل الذي تبنيه؟".

التقط ليدجر هاتفه، وتحقق من الوقت، ثم أدار الشاحنة في الاتجاه المعاكس قائلًا: "سآخذك لرؤيته، يستطيع رازي ورومان تغطيتنا لفترة وجيزة".

تناولت ملعقة أخرى ولم أقل شيئًا، هو بالتأكيد لا يفهم ما يعنيه هذا لي، قد تكون عائلة لاندريس قد حررت أمر تقييد ضدي، لكن على الأقل يثق بي ليدجر بما يكفي ليرغب في أن يريني منزله الجديد، لديّ هذا لأتشبث به، وأنا سأتشبث به بشدة.

***

بمجرد أن ابتعدنا خمسة عشر ميلًا خارج المدينة، انعطفنا نحو منطقة على مدخلها لافتة خشبية كبيرة مكتوب عليها "شيشاير ريدج"، ثم شققنا طريقنا في طريق متعرج، تتشابك الأشجار على جانبي الطريق لتظلله، وتصطف صناديق البريد على الجانبين.

لا يمكن رؤية أي منزل من على الطريق، صناديق البريد هي الدليل الوحيد بأن ثمّة أناسًا يعيشون هنا، لأن الأشجار كثيفة، بدت المنطقة سلمية ومنعزلة، وفهمت لماذا اختارها لبناء منزله.

وصلنا إلى قطعة أرض تحيطها أشجار كثيفة لدرجة أنني لم أتمكن من رؤية الممر الذي يقود إلى البيت، تُركت قطعة صغيرة شاغرة من الأرض افترضت أنها لوضع صندوق البريد، هناك أعمدة تبدو كأنها ستصبح بوابة خصوصية يومًا ما.

- هل لديك جيران هنا؟

هزَّ رأسه: "ليس لنصف ميل على الأقل، البيت مبني على مساحة عشرة أفدنة".

انتقلنا إلى ملكيته من الأرض، وفي النهاية، بدأ المنزل في الظهور من بين الأشجار، لم يكن هذا ما توقعته، لم يكن منزلًا متوسطًا على طراز مانور مع سقف مرتفع، بل كان أقرب إلى منزل عصري على الطراز الحديث وبتصميم فريدٍ من نوعه، مبني من مواد لم أتبيَّنها، لم أعتقد أن ليدجر يحب المنازل الحديثة غير التقليدية، ولا أعرف لماذا تخيلت منزله كوخًا خشبيًا أو مبنى تقليديًا، ربما لأنه ذكر أنه ورومان كانا يبنيانه بأيديهما، وأنا توقعت أن يكون أقل... تعقيدًا.

خرجنا من الشاحنة، وأنا أتخيل ديم هنا، تركض وتلعب في الحديقة الأمامية، وتشوي المارشميللو في الفناء الخلفي، صحبني ليدجر إلى جولة في المكان، لكني لم أستطع استيعاب هذا النمط من الحياة، ولا حتى لابنتي، كان المطبخ الخارجي المطل على الفناء الخلفي ربما أثمن من أي شيء امتلكته في حياتي.

هناك ثلاث غرف نوم، ولكن غرفة النوم الرئيسية كانت الأجمل بالنسبة إليَّ، مع خزانة ملابس ضخمة بحجم غرفة النوم نفسها تقريبًا.

أغرمت بالمنزل وأنا أستمع إليه يتحدث بحماسٍ عن كل شيء، بناه هو ورومان وحدهما، وعلى الرغم من أن هذا مثيرٌ للإعجاب فإنه أيضًا كان شيئًا محزنًا.

هذا منزلٌ ستقضي ابنتي وقتًا فيه، مما يعني أنه على الأرجح منزل لن أعود إليه مرة أخرى، بقدر ما استمتعت بمشاهدته وهو يستعرض البيت، بقدر ما رغبت في الرحيل، ولكي أكون صادقة، حزنت أيضًا لأنه سيغادر البيت المواجه لبيت ديم بمجرد انتقاله إلى هنا، كنت قد بدأت أحبه كشخصٍ، ومعرفة أنه موجودٌ بشكلٍ دائم في حياتها يريحني ويطمئنني عليها، ثم أنني بدأت أقلق عليها لأنها بالتأكيد ستحزن كثيرًا عندما يبتعد عنها.

فتح الباب الخلفي للفناء الضخم المطل على التلال المنحدرة، كانت الشمس على وشك الغروب، وبدا المنظر رائعًا كأنني لم أرَ غروبًا للشمس من قبل، انعكست أشعة الشمس على قمم الأشجار أسفلنا فبدت كأنها تشتعل بنار هادئة، بينما حلَّ الظلام شيئًا فشيئًا على المكان.

لم يضع ليدجر أي أثاث للفناء بعد، لذا جلست على الدرج وجلس بجواري، لم أقل الكثير، لكنه لا يحتاج إلى المجاملات، هو يعرف كم هو جميل هذا المكان، لا أستطيع أن أتخيل كم كلفه.

- هل أنت غني؟

خرج مني السؤال عفوًا فوضعت يديَّ على وجهي، وقلت: "أنا آسفة، كان هذا فظًا".

ضحك، وأسند مرفقيه إلى ركبتيه قائلًا: "حسنًا، المنزل أرخص مما يبدو، أنجزنا أنا ورومان معظم العمل على مدار العامين الماضيين، لكنني قمت باستثمارات جيدة بالمال الذي حصلت عليه من عقد البيسبول، أنفقت معظمه، لكنني أمتلك حانة، وأصبح لي الآن منزلٌ، لا أريد شيئًا أكثر من هذا".

سعدت من أجله، على الأقل تنجح الحياة مع بعض الناس. على الرغم من ذلك، أعتقد أننا جميعًا لدينا إخفاقاتنا، لديَّ فضول لمعرفة ما هو الفشل الكبير في حياة ليدجر، تذكرت شيئًا واحدًا لم ينجح تمامًا بالنسبة إليه، فسألته: "انتظر.. ألم يكن من المفترض أن تتزوج نهاية هذا الأسبوع؟"،

أومأ قائلًا: "كان من المفترض أن أتزوج بعد ساعات، في الواقع".

- هل أنت حزين بسبب ذلك؟

- بالطبع، لست نادمًا على القرار، لكني حزين أن العلاقة لم تنجح، أنا أحبها.

قال أحبها وليس أحببتها، انتظرته يصحح الفعل من المضارع إلى الماضي لكنه لم يفعل، ثم أدركت أن ذلك لم يكن خطأ، لا يزال يحبها.

- أعتقد أن إدراك أن حياتك لا تتوافق مع حياة شخص آخر يمحو كل المشاعر.

قلتها وأنا أشعر بشعلة صغيرة من الغيرة تومض فجأة في صدري.

- كيف تقدمت إلى خطبتها؟

ضحك، كأنه محرجٌ وليس حزينًا، وقال: "هل يجب أن نتحدث عن هذا؟".

- نعم، أنا فضولية.

زفر ثم قال: "تقدمت إلى والدها أولًا لطلب يدها، ثم اشتريت لها خاتمًا لم يعجبها تمامًا، وأخذتها إلى تناول العشاء في الذكرى السنوية الثانية لنا معًا، وكنت قد اتفقت مع أصدقائنا وعائلتينا أن ينتظرونا في الحديقة أمام المطعم، ثم ركعت على ركبة واحدة، وطلبت منها الزواج، كان مشهدًا مثاليًا مثل تلك الفيديوهات التي تنشر على إنستجرام".

- هل بكيت؟

- لا، لقد كنت متوترًا جدًا.

- هل بكت هي؟

هزَّ رأسه، كما لو كان يحاول أن يتذكر: "لا أعتقد، ربما دمعة أو اثنتين؟ كان الظلام قد حلَّ فلم أرَ شيئًا، وهو ما لم آخذه بعين الاعتبار، لذلك جاءت الصور سيئة نوعًا ما، اشتكت هي في اليوم التالي من أنها لن تملك مقطع فيديو جيدًا لنشره، ولامتني على أنني لم أخطط لطلب يدها قبل غروب الشمس".

قلت ساخرة: "يا لها من حنون".

ابتسم ليدجر، وقال: "بصراحة، كنت لتحبينها، أنا فقط أستمر في قول هذه الأشياء التي تجعل الآخرين يعتقدون أنها كانت سيئة، لكننا حظينا بأوقاتٍ رائعة معًا، ساعدتني على تجاوز حزني على سكوتي، وكانت الأمور تبدو أخف وألطف".

أشحت بنظري عندما قال هذا، سألته: "هل أذكّرك بسكوتي؟".

لم يجب، لم يرد أن يجرح مشاعري، لذا تجاهل سؤالي، لكن صمته جعلني أشعر برغبة في التلاشي، نهضت من مكاني لأدعوه إلى المغادرة، لكنه جذبني بلطفٍ من خصري لأجلس مرة أخرى.

- اجلسي، دعينا نبقى حتى غروب الشمس.

جلست مرة أخرى، استغرق الأمر نحو عشر دقائق حتى غاصت الشمس أسفل الأشجار، لم نتحدث، فقط راقبنا الشمس وهي تختفي لتعود قمم الأشجار إلى ألوانها الطبيعية، إنه الغسق الآن، ومن دون كهرباء، بدا المنزل خلفنا غارقًا في الظلام، سرح ليدجر بنظره، وقال:

- أنا أشعر بالذنب.
- مرحبًا بك في النادي، لكن لماذا؟
- لبناء هذا المنزل، أشعر أن سكوتي سيخيب أمله فيَّ، تبكي ديم في كل مرة نتحدث فيها عن انتقالي إلى هنا، وعن أنني عرضت بيتي الآخر للبيع.
- لماذا بنيت هذا المنزل إذن؟

- كان حلمي لفترة طويلة، اشتريت الأرض وبدأت في تصميمه وبنائه عندما كانت ديم رضيعة، لم أكن أتخيّل أنني سأتعلق بها بهذا الشكل.

نظر إلى عيني، وقال: "لا تفهميني خطأ، أحببتها وهي رضيعة، لكنها بعد أن بدأت تمشي وتتحدث، وتنمي شخصيتها الفريدة لم أعد قادرًا على الابتعاد عنها، وبمرور الوقت، بدأت مشاعري تجاه هذا المكان تتحول، من حلم حياتي إلى شيء أشبه..".

بدا كأنه يبحث عن كلمه دقيقة لوصفه لكنه لم يجدها فقلت: "سجن؟".

نظر ليدجر إليَّ كأنني أول شخص يفهمه: "نعم، بالضبط، أشعر كأنني محبوس فيه الآن، فكرة عدم رؤية ديم كل يوم بدأت تلقي بظلالها عليَّ، سوف يتغيَّر عالمي، مع جدول أعمالي سأراها على الأرجح مرة واحدة في الأسبوع إذا كنت سعيد الحظ، أعتقد أن هذا هو السبب في أنني كنت أتباطأ في بنائه، لا أعلم إن كنت أريد حقًّا الانتقال إلى هنا".

- إذن بِعه.

ضحك قائلًا: "هذه فكرة سخيفة".

- أنا جادة، أنا أفضِّل أن تعيش بالقرب من ابنتي، أعلم أنني لا أستطيع أن أكون في حياتها كما أتمنى، ولكن هناك بعض العزاء في معرفة أنك إلى جانبها.

حدق إليَّ ليدجر لمدة طويلة بعد أن قلت ذلك، ثم وقف ومد إليَّ يده ليساعدني على النهوض قائلًا: "هيا، يجب أن نذهب إلى العمل".

- نعم، لا نريد أن نغضب المدير.

أمسكت بيده ونهضت، وفجأة صرت قريبة جدًّا منه، لم يبتعد ولم يترك يدي، نظر إليَّ، لا تفصلنا سوى عدة بوصات فسرت القشعريرة في عمودي الفقري، خلل أصابعه في أصابعي، وعندما تماست أصابعنا انفجرت مشاعري بشكلٍ أرعبني، شعر ليدجر بذات الشيء، أستطيع أن أرى ذلك في عينيه المعذبتين، من المضحك كيف يمكن لشيء أن يشعرك بالرضا والألم في ذات الوقت عندما تكون الظروف غير مناسبة، لكني رغم ذلك ضغطت يده بيدي ليعلم بأنني أشعر بالضبط بما يشعر به، وأنني ممزقة تمامًا مثله.

ألصق ليدجر جبهته بجبهتي، وأغمضنا أعيننا، غلَّفنا الصمت لكني شعرت بكل ما لم يقله، شعرت حتى بالقبلة التي لن تحدث، لكن إذا عدنا إلى اللحظة التي شاركناها الليلة الماضية، فأيّ شيء سنفعله من شأنه أن يفتح الجرح أكثر.

- ماذا ستفعل يا ليدجر؟ هل ستخبئني في خزانتك حتى يصبح عمرها ثمانية عشر؟

نظر إلى يدينا المتشابكتين للحظة ثم هزَّ كتفيه قائلًا: "إنها خزانة ضخمة"،

ساد الصمت للحظة قبل أن أقطعه بضحكتي العالية، ابتسم ثم قادني عبر منزله المظلم عائدين إلى الشاحنة.

الفصل الثلاثون

ليدجر

جلست في مكتبي أراجع كشوف المرتبات وأراجع أفكاري وأراجع كل الأخطاء التي ارتكبتها في الأسابيع القليلة الماضية. كان رومان محقًّا عندما قال إنني كان في إمكاني منحها المال إذا أردت فعلًا مغادرتها، ربما كان عليَّ فعل ذلك، لأنها كلما ظلَّت هنا زاد الأمل الكاذب الذي أمنحها إياه.

لن يتقبَّلها باتريك وجريس في أيِّ وقتٍ قريبٍ، وإذا بقيتْ هنا واستمرَّت في العمل، فهذا يضعنا جميعنا في موقف سيئ، لا أعرف فيما كنت أفكر عندما عرضت عليها الوظيفة، اعتقدتُ أن أحدًا لن يلاحظها، لكن كينا ليست من هذا النوع من الفتيات الذي يمكن ألا يلاحظه أحدٌ، سوف يلاحظها شخص ما، سوف يتعرَّف عليها أحدهم، وبعد ذلك سنعاني كلانا من عواقب هذه الكذبة.

أخرجتُ هاتفي وأرسلت رسالة نصية إلى كينا، كتبت: "تعالَيْ إلى مكتبي إذا كان وقتك يسمح"، ظللت واقفًا مكاني طوال الثلاثين ثانية التي استغرقتها في طريقها إلى مكتبي، أغلَقَت الباب خلفها ثم وقفت إلى جواره بذراعين معقودتين، بدا عليها التوتر، لم أقصد أن أوتِّرها، أشرت إلى الكرسي أمام المكتب فمشت بتردد تجاهه ثم جلست:

- أشعر أنني في ورطة.
- لا أبدًا.. أنا فقط.. كنت أفكر.. فيما قاله رومان، وشعرت أن عليَّ إخبارك بذلك.. كينا، لست مضطرة إلى العمل بعد اليوم.
- هل تطردني؟
- لا بالطبع لا..

أخذت نفسًا عميقًا استعدادًا للكذبة التي أوشك على قولها وأكملت: "كلانا يعرف أنني وظفتك لأسبابٍ بعينها، كينا.. إذا كنتِ تريدين المال لمغادرة المدينة فكل ما عليكِ فعله هو أن تطلبيه مني، ليس عليك العمل من أجل ذلك".

نظرت إليَّ كما لو أنني لكمتها في أحشائها، ثم نهضت وهي تحاول استيعاب هذه المحادثة: "هل تريدني أن أرحل عن المدينة؟".

اللعنة، أحضرتها إلى هنا لأسهِّل عليها الأمر لكن يبدو أنني أزيده سوءًا، هززت رأسي نافيًا واتجهت نحوها، طوقت معصمها بأصابعي لمنعها من التحرك. فقالت: "إذن لماذا تخبرني بهذا؟".

يمكنني أن أخبرها بعدة أسباب، أولها لأنها في حاجة إلى معرفة أن لديها خيارات، وثانيها لأنه إذا بقيت هنا، فسوف يتعرَّف عليها شخص ما في النهاية، لأنه إذا واصلنا العمل معًا، فسنحطم كل ما تبقى من حدودٍ واهية. لكني لم أقل شيئًا، فقط نظرت إليها بينما أمرر إبهامي على معصمها، وقلت: "تعرفين لماذا".

تنهدت، لكنها سرعان ما أفلتت معصمها من يدي مع الطرق المباغت على باب المكتب، ابتعدت قليلًا، ووقفت مستقيمًا بينما عقدت كينا ذراعيها على صدرها، بدا علينا كأننا مذنبان أمام ماري آن التي اقتحمت المكتب ووقفت تبدِّل نظرها بيننا، ابتسمت قائلة: "ما الذي قاطعته للتو؟ جلسة تقييم للموظفة الجديدة؟".

جلست خلف مكتبي وتظاهرت بالعمل على جهاز الكمبيوتر قائلًا: "إلى ماذا تحتاجين يا ماري آن؟".

- حسنًا، يبدو أن هذا ليس الوقت المناسب لكن.. ليا هنا، المرأة التي كان من المفترض أن تتزوجها اليوم؟ إنها بالخارج تسأل عنك.

استجمعت كل قوتي حتى لا أنظر إلى كينا لأرى رد فعلها على ذلك، بطريقة ما تمكنت من الاستمرار في التركيز على ماري آن وقلت: "أخبريها أنني سأحضر فورًا".

ابتعدت ماري آن عن الباب، لكنها تركته مفتوحًا، فتبعتها كينا من دون أن تنظر إليَّ، شعرت بالحيرة، لماذا جاءت ليا إلى هنا؟ ماذا تريد؟ هل هذا رد فعل لما كان من المفترض أن يكون عليه اليوم؟ لأنني بالكاد فكرت في الأمر، أعتقد أن هذا يثبت بأننا أخذنا القرار الصحيح، على الأقل بالنسبة إليَّ.

خرجت من مكتبي، لكنني مررت على كينا في طريقي، نَظَرت في عينيَّ لمدة ثانيتين قبل أن تشيح ببصرها بعيدًا، خرجت من المطبخ، ونظرت في جميع أنحاء الغرفة، لكنني لم أستطع أن أرى ليا في أي

مكان، كان المكان مزدحمًا أكثر مما كان عليه عندما توجهت إلى مكتبي لمراجعة كشوف المرتبات، لذلك ألقيت نظرة سريعة للحظة قبل أن أقف خلف البار، رأيت ماري آن في الطرف الآخر من الحانة فلم أتمكّن من سؤالها عن ليا، رآني رومان فأشار إلى مجموعة من الرجال قائلًا: "لم آخذ طلباتهم بعد".

سألته: "أين ليا؟".

- ليا؟ ماذا؟

سارت ماري آن نحوي، ابتسمت واتكأت على الحانة قائلة: "طلب مني رومان أن أناديك لمساعدته، كنت أمزح بشأن ليا، أحببت فقط إثارة غيرتها لأن الفتيات يحببن ذلك، لا داعي لشكري".

التقطت صينية المشروبات، واتجهت إلى توصيلها إلى طاولة بينما هززت رأسي في حيرة، أنا غاضب لأنها كذبت، ربما تفكر كينا في آلاف الأفكار الخاطئة الآن، ولكني أشعر بالارتياح لأنها كذبت، لم أرد مقابلة ليا.

ظللت في الحانة لمساعدة رومان، وبمجرد ما استقر الوضع حتى هرعت إلى الداخل، لم أجد كينا في المطبخ، تلفَّتُّ حولي بحثًا عنها، فاقترب أرون مني، وأخبرني أنها في استراحة.

عندما فتحت الباب المؤدي إلى الزقاق الخلفي، رأيت كينا منحنية أمام المبنى المقابل وذراعاها معقودتان على صدرها، التفتت إليَّ بمجرد أن سرت باتجاهها، ورأيت علامات الارتياح على وجهها.

إنها تغار، حاولت إخفاء ذلك بإجبار نفسها على الابتسام، لكني رأيت الغيرة في عينيها قبل أن تحاول إخفاءها، سرت باتجاهها وسندت بظهري إلى الحائط قائلًا: "ماري آن كانت تكذب، ليا لم تأت قطٌ، اختلقت ذلك".

ضيقت عينيها في حيرة: "لماذا.. هل هي..؟".

توقفت عن الكلام، وارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها: "يا لها من فوضوية".

لم تبد غاضبة لأن ماري آن كذبت، بدت منبهرة، جعلتني ابتسامتها أبتسم، ثم قلت: "هل تغارين؟".

- بالطبع لا.
- بل أنت كذلك.

اندفعت متوجهة إلى الحانة، لكنها عادت وتوقفت أمامي مباشرة، لا أعرف ماذا تنتوي على فعله، لكن لو قبّلتني لصنعت ليلتي اللعينة، لقد سئمت من كل هذه المراوغات، سئمت من إخفائها، سأفعل أيّ شيء لأتمكن من التقرب إليها من دون خوف من العواقب، لأتمكن من التحدث معها عن أمور لا علاقة لها بسكوتي أو عائلة لاندريس، أريد أن أقبِّلها علانية، أن آخذها معي إلى البيت، أريد أن أعرف كيف سيكون النوم إلى جوارها والاستيقاظ بجانبها، أريد أن أمارس الحب معها، وكلما اقتربت منها أردت ألا أبتعد عنها أبدًا.

قالت: "سأغادر بعد أسبوعين".

ضغطت شفتي السفلى حتى أمنع نفسي من الركوع على ركبتي والتوسل إليها أن تبقى، سألتها: "لماذا؟".

ترددت ثم قالت: "أنت تعرف السبب".

اختفت مرة أخرى داخل المبنى، بينما جلست وأنا أقاوم مشاعري، حدقت إلى شاحنتي ورغبت في قيادتها مباشرة إلى منزل باتريك وجريس لأخبرهما بكل شيء عن كينا، أريد أن أخبرهما كم هي رائعة، ناكرة لذاتها، أن أخبرهما كم هي عاملة مجتهدة، وإنسانة متسامحة، كلنا حوَّلنا حياتها جحيمًا لكنها بطريقة ما لا تبدو حتى مستاءة من ذلك.

أريد أن أخبرهما بكل شيء رائع عن كينا، ولكن الأهم، أن أخبر كينا كم كنت مخطئًا عندما أخبرتها أن ديم لن تستفيد من وجودها في حياتها، من أنا لأقول لأم ذلك عن طفلها؟ من أنا بحق الجحيم لأصدر هذا النوع من الحكم؟

الفصل الواحد والثلاثون

كينا

بدأ هطول الأمطار ونحن في طريقنا إلى المنزل، لم يتحدث أيٌّ منا فلم نعد نسمع سوى صوت قطرات المطر على الزجاج الأمامي، لم نتبادل كلمة منذ كنَّا في الزقاق الخلفي في وقتٍ سابقٍ من الليلة، تساءلت إن كان غاضبًا لأنني أخبرته بتركي للعمل بعد أسبوعين، لكن لماذا إذا كان هو من طلب مني ذلك؟ هدوؤه يوترني، لكني لا أستطيع الاستمرار في العمل معه، كيف نخطط لرحيلٍ محتملٍ، ونبدأ في ذات الوقت بالتوق إلى بعضنا.

الوضع فوضوي جدًّا، لكنه سيصبح أكثر فوضى لو لم نسيطر على مشاعرنا. أكاد أشعر بتلك الطاقة التي تنبعث منا وتتحرك بيننا في الشاحنة وهو يوقفها في ساحة انتظار السيارات، أحيانًا عندما يوصلني إلى البيت، لا يوقف حتى محرك شاحنته، لكنه الليلة أوقفه، وأزال المفاتيح وفك حزام الأمان وأخذ مظلته وخرج من الشاحنة.

لا يستغرق الأمر سوى بضع ثوانٍ للوصول إلى جانب الراكب، لكن في تلك الثواني القليلة، قررت أنني لا أريد أن أتمشى معه إلى البيت، أستطيع أن أسير وحدي، أفضِّل هذا، أنا لا أثق بنفسي معه.

فتح بابي وأمسك بالمظلة لكني حاولت جذبها منه فسألني: "ماذا تفعلين؟".

- أعطني المظلة، أستطيع السير وحدي.

أخذ خطوة إلى الوراء حتى أتمكن من الخروج من شاحنته، وقال: "لا، سأصحبك إلى البيت".

- لا أعرف إن كان يجب عليك ذلك.

- لا يجب عليَّ أي شيء.

يقولها لكنه يستمر في المشي إلى جواري وهو يحمل المظلة فوق رأسي. تسارعت أنفاسي وأنا أصعد الدرج قبل حتى أن أصل إلى باب البيت، أخرجت مفاتيحي من حقيبتي، لم أعرف إن كان ينتوي الدخول أم سيتمنى لي ليلة سعيدة ويغادر، وتَّرني انتظار قراره، كلا الخيارين يوترانى.

أغلق المظلة بمجرد أن وصلنا إلى بابي وانتظرني أن أفتحه، قبل أن أفعل، استدرت لمواجهته كما لو كنت أمنحه فرصة ليلقي السلام ويرحل، لكنه أشار إلى الباب دون أن يقول شيئًا، أخذت نفسًا عميقًا وفتحت الباب، تبعني إلى الداخل وأغلق الباب من خلفه.

يتصرف بثقة كبيرة، تمامًا عكس ما أفعل، حملت إيفي إلى الحمام حتى لا تهرب إن فتح ليدجر باب الشقة فجأة وغادر، بعدما أغلقت باب الحمام واستدرت وجدته يقف عند الطاولة، ويمرر إصبعه على كومة الرسائل التي طبعتها، لم أرد أن يقرأها لذا مشيت نحوه وحملتها بعيدًا.

سألني: "هل هذه هي الرسائل؟".

- أغلبها، لكنْ لديَّ نسخ رقمية أيضًا، أعدت كتابتها على الكمبيوتر قبل شهرين ورفعتها على جوجل درايف أيضًا، خفت أن أضيعها.

- هل يمكنك أن تقرئي لي واحدة؟

هززت رأسي رافضة: "هذه الرسائل شخصية بالنسبة إليَّ، هذه هي المرة الثانية التي تطلب مني هذا، والجواب ما يزال لا، أن أقرأ لك واحدة من هذه الرسالة كمثل أن أطالبك بأن أستمع إلى تسجيل جلسة خاصة مع معالجك النفسي".

- أنا لا أذهب إلى المعالج النفسي.

- ربما ينبغي لك ذلك.

- ربما سأفعل.

تجاوزته وفتحت باب الثلاجة، كنت قد اشتريت بعض الخزين هذه المرة، سألته: "هل تود شرب شيء؟ لديَّ ماء وشاي وحليب".

أمسكت بعلبة عصير نصف فارغة وهززتها: "وجرعة كبيرة من عصير التفاح".

- لست عطشان.

لم أكن عطشانة أيضًا لكني أمسكت علبة عصير التفاح وشربت منها مباشرة كإجراء وقائي، لأنني شعرت بأنني على وشك أن أعطش معه، مجرد وجوده في بيتي يجعل حلقي يجف.

الأمر مختلف عندما نكون في العمل، هناك أناس آخرون بالجوار لمنع عقلي من التحرك في الاتجاه الذي يتحرك فيه الآن، ولكن عندما نكون وحدنا نحن الاثنين في شقتي، كل ما أفكر فيه هو هو قرب أحدنا من الآخر، وكم عدد الدقات التي سيدقها قلبي في اللحظات التي ستسبق تقبيله لي.

وضعت علبة عصير التفاح الفارغة على الطاولة ومسحت فمي، سألني: "هل هذا هو السبب في أن مذاقك مثل التفاح؟".

نظرت إليه مباشرة عندما قال ذلك، إنها جملة حميمية جدًّا، أن تعترف بصوتٍ عالٍ بأنك تعرف ما هو مذاق شخص آخر، انبهرت أنفاسي مثل مراهقة عديمة الخبرة، لذا أشحت بنظري عنه حتى لا أرتبك أكثر.

- ماذا تريد يا ليدجر؟

اتكأ إلى الطاولة على بُعد قدمين فقط مني، وقال: "أريد التعرف عليك بشكلٍ أفضل".

لم أكن أتوقع منه أن يقول ذلك، لذلك نظرت إليه بشغفٍ ثم ندمت، لأنني انجذبت فورًا إليه، قلت: "ماذا تريد أن تعرف؟".

- كل شيء، ما يعجبك، ما لا يعجبك، أهدافك، ماذا تريدين أن تفعلي في حياتك؟

ضحكت، كنت أتوقع أن يسأل عن سكوتي، أو أي شيء يتعلق بديم، أو وضعي الحالي، لكنه كان يحاول خوض محادثة لطيفة وليس لديَّ أي فكرة كيف أتعامل مع ذلك، أجبته: "أردت أن أعمل صانعة أقفال".

ضحك ليدجر متعجبًا، سألني: "صانعة أقفال؟ لماذا؟".

- لأنه لا يمكن لأحدٍ أن يغضب من صانع الأقفال، يظهر للمساعدة عندما يكون الناس في أزمة، أعتقد أنه سيكون عملًا مجزيًا، مساعدة الناس في أيامهم الصعبة.

هزَّ ليدجر رأسه بإعجابٍ قائلًا: "لم أقابل أي شخص من قبل يحلم بالعمل كصانع أقفال".

- ها قد قابلته، ها؟ ما هو سؤالك الثاني؟

- لماذا اخترت اسم ديم؟

قلبت سؤاله عليه قبل أن أجيب: "لماذا قررت عائلة لاندريس عدم تغيير الاسم رغم أنني من اختاره؟".

- أعتقد أنهما خافا من أن يكون سكوتي هو من اختاره قبل وفاته.

- لم يعرف سكوتي قط أنني حامل.

- هل كنت تعلمين أنك حامل؟ أقصد قبل وفاة سكوتي؟

هززت رأسي نافية، وهمست: "لا.. أبدًا، لو كنت أعرف لما اعترفت أنني مذنبة في المحكمة".

- لماذا اعترفت أنك مذنبة؟

عانقت نفسي، ونظرت إلى السقف لأتنفس لحظة، عدت بذاكرتي إلى الخلف قبل أن أرد عليه، لم تكن ذكرى جيدة، أعترف بذلك، لكني لم أحب التطرق في التفاصيل، لم أرد، فلم يلح عليَّ ليدجر، سكت فلفَّنا الصمت لحظات ثم قال: "كيف سيكون شعورك نحوي لو لم أكن صديق سكوتي؟".

- ماذا تقصد؟

سقطت عيناه على فمي لحظة، مجرد لحظة لكني رأيت فيها ما شعرت به في تلك الليلة في الحانة، أردف: "ماذا لو كنت مجرد شخص عشوائي لا يعرف ديم أو سكوتي، ماذا كان سيحدث بيننا تلك الليلة؟".

- بالتأكيد أكثر مما حدث.

ابتلع ريقه كأنه يبتلع إجابتي معها، حدق إليَّ فأشحت بنظري في انتظار سؤاله التالي أو خطوته القادمة.

- أتساءل فيما كنا سنتحدث الآن لو لم يكن بيننا كل ذلك.
- لماذا تهتم؟
- لأنه سيوضح لي الفرق إن كنت ترغبين في أن تكوني معي فعلًا أو أنك تستخدمينني فقط للاقتراب من ابنتك.

توتَّر فكي، أغضبني تعليقه فصحت: "إن كنت أستغلك لكنت ضاجعتك من ليلتها".

دفعته باتجاه الباب: "يجب أن تذهب".

أمسك ليدجر معصمي وسحبني إلى الخلف، لففت بجسدي، وقبل أن أصرخ في وجهه رأيت النظرة في عينيه، كانتا حزينتين، سحبني إلى صدره ولفَّ ذراعيه حولي، حضنه مريحٌ لكني لم ألِن، كنت مشدودة وغاضبة، ولا أعرف ما يجب عليَّ فعله مع غضبي الذي طال أمده، أمسك بذراعي ولفَّهما حول خصره، غمرت أنفاسه وجهي، قال: "لم أقصد إهانتك، أردت مشاركتك أفكاري فقط".

ضغط جانب رأسه إلى رأسي، أغمضت عينيَّ، نسيت ما كنت أشعر به عندما يعانقني شخصٌ أرغب فيه بهذا الشكل، بقينا متعانقين لحظات ثم قال: "في غضون أسابيع قليلة، انتقلت من كرهك إلى الإعجاب بك إلى الرغبة في جلب العالم بين يديك، فاغفري لي إذا تداخلت هذه المشاعر أحيانًا".

أفهم ذلك جيدًا، أحيانًا أريد أن أصرخ فيه لأنه الحاجز بيني وبين ابنتي، ولكن في نفس الوقت، أريد تقبيله لأنه يحبها بما يكفي ليحميها بهذا الشكل.

رفع ذقني بإصبعيه وقال: "أتمنى لو يمكنني استعادة ما قلته لك عندما أخبرتك أن ديم لن تستفيد من وجودك في حياتها".

خلل أصابعه في شعري، ونظر إليَّ بصدقٍ مكملًا: "ستكون محظوظة إذا كنتِ في حياتها، أنتِ لطيفة ومتواضعة وقوية، أنتِ كل شيء أتمناه لديم".

مسح دمعة انسلَّت على خدي، وأكمل: "لا أعرف كيف يمكنني تغيير رأيهما، لكني سوف أحاول، أريد أن أقاتل من أجلك لأنني أعلم أن هذا هو ما يريدني سكوتي أن أفعله".

لم يقبِّلني ليدجر لأنني قبَّلته أولًا، ضغطت فمي على فمه لأنني لم أجد شيئًا أقوله للتعبير عما فعلته كلماته بي، كنت أتمنى أن يقول بأنه يريدني أن ألتقي بابنتي، لكنه قطع مليون خطوة بقوله إنه يريدها أن تصبح مثلي، هذا ألطف شيء قاله لي أي شخص على الإطلاق.

داعب لساني بلسانه، انبعثت الحرارة من داخله لتزيد من دقات قلبي، اقترب مني حتى التصق صدرانا، أردتُ الاقتراب منه أكثر، لم يكن لديَّ أي فكرة أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يمنعني عنه، أردتُ فقط أن أعرف أنه يؤمن بي، الآن بعد أن عرفت أنه يفعل، أدركتُ أن كل جزء مني يرغب فيه.

حملني ليدجر وسار عدة خطوات وهو مستمرٌّ في امتصاص شفتيَّ، سقطنا على الأريكة معًا، ضغط جسده جسدي أثارني، بدأت في خلع قميصه لأنني أردت أن أشعر بجلده على جلدي، لكنه دفعني بعيدًا، وقال: "انتظري".

نهض فضربت رأسي في الأريكة، وتأوَّهت، انتظري.. انتظري.. انتظري.. لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك، لم أعد أتحمَّل هذا الكر والفر، كنت أخيرًا سأسمح له بفعل أيّ شيء فيَّ، والآن هو الشخص الذي يقرر الابتعاد؟

قبَّل ذقني، وقال: "لا أريد الانتظار أيضًا، لكن إذا كنَّا سنمارس الجنس، عليَّ العودة إلى شاحنتي لأجلب واقيًا ذكريًّا قبل أن أخلع ملابسي، ما لم يكن لديك واحدٌ هنا".

ارتحت لأن هذا السبب هو ما دفعه إلى التوقف، دفعته وقلت: "لا أملك واحدًا، اذهب بسرعة لجلبه".

نهض من على الأريكة، وخرج من الباب في ثوان، نهضتُ أيضًا للتحقق من شكلي في مرآة الحمام، كانت إيفي نائمة في سريرها الصغير بجانب الحوض، ففرشت أسناني بسرعة، رغبت في كتابة

رسالة سريعة إلى سكوتي، شعرت أنني في حاجة إلى أن أحذره مما سيحدث، أعرف أن هذا غباء مني لأنه ميت منذ خمس سنوات، ويمكنني ممارسة الجنس مع من أريد، لكنه كان آخر شخص مارست معه الجنس، وشعرت أن عليَّ الاستئذان منه قبل أن أفعلها مع شخص آخر، بالذات وأنه صديقه المفضل، أنا آسفة جدًا، سكوتي، لكني لست آسفة بما يكفي للتوقف.

سمعت الباب وهو يُفتح، فغادرت الحمام لأجد ليدجر يغلق الباب، عندما استدار نحوي ضحكت لأنه كان مبللًا تمامًا من المطر، شعره يقطر الماء في عينيه، فأعاده إلى الخلف بأصابعه: "كان عليَّ أن أستخدم المظلة، لكنني لم أرد إضاعة الوقت".

مشيت إليه وساعدته على خلع قميصه، ففعل المثل مع قميصي، كنت أرتدي صديرتي الجيدة، أرتديها في كل مرة أعمل معه في الحانة لأنني أردت أن أكون مستعدة في حالة حدوث ذلك.

حاولت إقناع نفسي بأن هذا لن يحدث، لكني في أعماقي كنت أتمناه، مال ليدجر إلى الأمام وقبّلني بشفتيه المبتلتين، كانتا باردتين لأنه مبتلّ، لكن لسانه على النقيض كان ملتهبًا.

تصاعدت الحرارة من معدتي عندما لفَّ يده الأخرى حول شعري وأمال وجهي إلى الخلف حتى يتمكّن من تقبيلي بشكلٍ أعمق، أخفضت يديَّ إلى بنطاله الجينز وفككت أزراره، متلهفة لخلعه عنه، وخائفة من أنني لن أتذكر ماذا يجب عليَّ أن أفعل، لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ أن مارست الجنس، شعرت أنني يجب أن أحذره.

بدأ يمشي بي إلى الخلف نحو المرتبة القابلة للنفخ، أسقطني عليها وبدأ في إزالة بقية ملابسي، بينما يخلع سروالي عني قلت: "لم أكن مع أي شخص منذ سكوتي".

التقت عيناه بعيني بعد أن خلع سروالي، بدا وجهه هادئًا ومطمئنًا، مال عليَّ وقبَّلني قبلة ناعمة، قال: "إن أردت أن نتوقف فلا بأس".

هززت رأسي نافية بقوة، وقلت: "لا.. أردت فقط أن تعرف إن كنت... في حال.. أنني ربما لن أكون جيدة..".

قاطعني بقبلة أخرى، ثم قال: "لقد فعلناها من قبل.. كنت أكثر مما أحلم به يا كينا..".

لعق بلسانه رقبتي فأغمضت عينيَّ، أزال سروالي الداخلي وصديريتي وسرواله الجينز بينما لسانه يستكشف كل شبر بين رقبتي ومعدتي، ثم زحف إلى أعلى ليقبِّلني في فمي، شعرتُ بانتصابه بين ساقيَّ، فامتلأت بالرغبة، نظرتُ إليه نظرة عميقة وطويلة، قبَّلني ثم نهض قليلًا ليضع الواقي الذكري.

نام فوقي لكنه لم يلجني على الفور، حرَّك إصبعه على فرجي، فقوست ظهري وتأوهت، غطى الرعد بالخارج على صوت تأوهاتي، كانت لا تزال تمطر، فكرت أن العاصفة الرعدية هي الخلفية المثالية لتلك الليلة، بطريقة ما جعلت كل هذا أكثر حسية.

استمر ليدجر في تحريك إصبعه على فرجي، ثم في داخلي، اهتجت بشدة لدرجة أنني لم أستطع حتى إعادة تقبيله، انفرجت شفتاي وتأوَّهت بين شهقاتي، مسَّ ليدجر شفتيَّ بشفتيه بينما يلجني،

لم يكن الأمر سهلًا، شعرت بألم فتحرك ببطء، مسستُ كتفه بفمي حتى ولجني تمامًا، شعرت به داخلي فأعدت رأسي إلى الخلف لأن الألم تحول إلى لذة، كان ينسحب ببطء إلى الخلف ثم يندفع داخلي بقوة أكثر، غمرت أنفاسه الحارة كتفي ودغدغت جلدي، رفعت فخذيَّ وفتحت نفسي له أكثر بينما يندفع بداخلي مرة أخرى.

- "كينا..".

بالكاد استطعت أن أفتح عينيَّ، وأنظر إليه لعق شفتيَّ بشفتيه، وهو يهمس: "هذا جيد جدًّا، اللعنة، اللعنة، يجب أن أتوقف".

ابتعد عني وعندما فعل ذلك، تذمَّرتُ، لكنه بقي فوقي وأدخل إصبعيه فيَّ، فلم أملك حتى الوقت للشكوى، تأوَّهت مرة أخرى، فقبَّلني أسفل أذني وهمس: "أنا آسف لكني لن أصبر كثيرًا حتى أعود إلى داخلك".

لم أهتم حتى، أردته فقط أن يستمر في ما يفعله بيده، لففت ذراعي حول رقبته وسحبته نحوي، أردت أن يضغطني بكل ثقله، ضغط مركز فرجي بإبهامه فاهتجت أكثر، انتهى بي الأمر إلى عض كتفه، تأوَّه عندما غرزت أسناني في جلده، وتأوُّهه أثار جنوني، التقت أفواهنا في قبلة محمومة، ابتلع تأوهاتي بينما يلجني بقوة، ارتجفت من شدة النشوة، نهض على ركبتيه وجذبني من خصري، بدا جميلًا، تنثني عضلات ذراعيه بروعة مع حركة فخذيه، شد إحدى ساقيَّ على كتفه، تواصلنا بالعينين لبضع ثوان، ثم أدار رأسه ولعق ساقي بلسانه.

لم أكن أتوقع ذلك، أريده أن يفعلها مرة أخرى، لكنه دفعني إلى أسفل وفتح ساقيَّ وانحنى فوقي مرة أخرى، كنَّا في وضع مختلفٍ أتاح له أن يلجني بشكلٍ أعمق، لم تمض ثوانٍ حتى بدأ في القذف، ارتعش ونزل بثقله عليَّ، تأوَّه، وقال:

- اللعنة.

بدأ يقبِّلني، قبلات عنيفة في البداية ثم ازدادت قبلاته حلاوة وليونة وبطء، أردت أن نفعلها مرة أخرى لكني كنت في حاجة إلى التقاط أنفاسي أولًا، ربما شرب بعض الماء، قبَّلنا بعضنا لدقائق، لم نستطع التوقف، كانت هذه هي المرة الأولى التي نتمكَّن فيها من الاستمتاع ببعضنا من دون أن تنتهي الأمور بشكل مفاجئ.

أحدث صوت المطر على النوافذ الخلفية المثالية لهذه اللحظة، لم أرد أن ينتهي، ولا هو أيضًا، لأنه في كل مرة اعتقدت فيها أنه انتهى من تقبيلي، كان يقبِّلني أكثر.

لكنه توقف في النهاية، ولكن لفترة كافية للذهاب إلى الحمام والتخلص من الواقي الذكري. عندما عاد إلى الفراش، رقد إلى جواري وضمني من الخلف وهو يقبِّل كتفي، مرَّر أصابعه بين أصابعي وضم يدينا إلى بطني.

- لا أمانع إذا حددت موعدًا لفعلها مرة أخرى الليلة.

ضحكت على طريقة صياغته للجملة، قلت: "نعم، دعنا نأمر Siri أن تنبهنا بعد ساعة من الآن".

صاح: "مرحبًا، سيري!".

فأضاء كلا الهاتفين في نفس الوقت.

- حددي موعدًا لممارسة الجنس مع كينا بعد ساعة من الآن!

ضحكت ولكزته بكوعي، ثم استدرت لأرقد على ظهري، أسند رأسه إلى مرفقه، وابتسم لي: "المرة الثانية ستكون أطول، أعدك".

- أنا لا أعدك بذلك.

قبَّلني ليدجر، ثم دفن رأسه في شعري، وهو يضمني أكثر إليه، حدقت إلى السقف طويلًا، ربما لنصف ساعة، سمعت تنفُّس ليدجر يزداد انتظامًا فأيقنت أنه نام. لم يتوقف المطر، لكن عقلي كان نشطًا للغاية لدرجة أنني لم أتمكَّن من النوم، سمعت مواء إيفي من الحمام فنهضت لأفتح لها الباب، قفزت على الأريكة وتكورت على نفسها، فمشيت إلى الطاولة وفتحت دفتري، أمسكت بالقلم وبدأت في كتابة رسالة إلى سكوتي، لم يستغرق الأمر مني وقتًا طويلًا، كانت رسالة قصيرة، ولكن عندما انتهيت وأغلقت الدفتر، رأيت ليدجر ينظر إليَّ وهو راقد على بطنه وذقنه مستند إلى ذراعيه.

- ماذا كتبت؟

هذه هي المرة الثالثة التي يطلب فيها أن أقرأ له شيئًا، ولأول مرة رغبت أيضًا في ذلك، فتحت الدفتر على الرسالة التي كتبتها للتوِّ ومررت إصبعي على اسم سكوتي قائلة: "ربما لن يعجبك هذا".

- فعلًا؟

- نعم..

أشار ليدجر إلى البقعة الفارغة المجاورة له على المرتبة، وقال: "أريد أن أسمع.. تعاليْ هنا".

رفعت حاجبي محذرة إياه لأنه لا يمكن للجميع التعامل مع الحقيقة بقدر ما يعتقدون أنهم يستطيعون ذلك، لكنه لم يتراجع، لذا توجهت إلى المرتبة فرقد على ظهره بينما جلست القرفصاء إلى جواره، وبدأت في القراءة.

عزيزي سكوتي،

لقد مارست الجنس مع صديقك المقرب الليلة، لست واثقة من أن هذا شيء تود أن تسمعه، أو ربما هو كذلك، أعرف أنك تريدني سعيدة، وليدجر هو الشيء الوحيد في حياتي الذي يسعدني، إذا كان هناك أي عزاء، فإن ممارسة الجنس معه كانت رائعة، لكن لا أحد يستطيع أن يملأ مكانك.

محبتي،

كينا.

أغلقت دفتري ووضعته في حضني، حدق ليدجر برزانة إلى السقف للحظات ثم قال: "أنت تقولين ذلك فقط حتى لا تجرحي مشاعره أليس كذلك؟".

ضحكت: "بالتأكيد، إذا كان هذا هو ما تحتاج إلى سماعه".

ألقى بدفتري جانبًا، ثم لفَّ ذراعه حولي، وسحبني فوقه قائلًا: "قولي الحقيقة.. كنت جيدًا، أليس كذلك؟".

ضغطت بإصبعي شفتيه، وقرَّبت فمي من أذنه، وهمست: "الأفضل"،

في اللحظة التي قلت فيها ذلك، دوى الرعد بقوة لدرجة أنني ارتعشت، ضحك ليدجر قائلًا: "يا إلهي، يبدو أن سكوتي لم يعجبه ذلك، من الأفضل أن تتراجعي عن قولك، أخبريه أنني مقرف".

انزلقت على الفور من فوق ليدجر، واستلقيت على ظهري: "أنا آسفة، يا سكوتي! أنت أفضل من ليدجر، أقسم لك!".

ضحكنا معًا، ولكن بعد ذلك تنهدنا وظللنا راقدين نستمع إلى المطر، في النهاية وضع ليدجر يده على فخذي وجذبني نحوه، عضَّ شفتي السفلى ثم بدأ في تقبيل رقبتي.

- أشعر كأنني في حاجة إلى فرصة أخرى لإثبات نفسي.

تحرَّك إلى الأسفل حتى صدري، التقط إحدى حلمتيَّ بفمه، وبدأ في مصها، كانت المرة الثانية أطول بكثيرٍ.. وأفضل أيضًا.

الفصل الثاني والثلاثون

ليدجر

نامت القطة بين ذراعي كينا طوال الليل، ربما يكون الأمر غريبًا، لكني أحب مشاهدتها مع إيفي، إنها حنونة معها، هي دائمًا تتأكد أن الباب مغلق حتى لا تتمكن إيفي من الركض إلى الخارج والهرب.

يجعلني هذا أشعر بفضولٍ لرؤيتها مع ديم، لأنني واثق بأنني سأشهد ذلك يومًا ما، قد يستغرق الأمر بعض الوقت لكنني سأجد طريقة، هي تستحق ذلك، وديم تستحقه وأنا أثق بمشاعري أكثر من شكوكي.

تحركت بهدوء نحو هاتفي للتحقق من الوقت، كانت الساعة السابعة صباحًا، وستستيقظ ديم بعد قليلٍ، ستلاحظ أنني لم أعُد إلى البيت بالشاحنة، ربما ينبغي لي أن أحاول العودة إلى المنزل قبل مغادرتهم منزل والدة باتريك. لا أريد أن أخرج بينما كينا نائمة، سأشعر كأنني أحمق إذا استيقظت بمفردها بعد الليلة الماضية.

قبّلتها بلطفٍ على زاوية فمها، وأزحت خصلات شعرها عن وجهها، بدأت في التحرك والتأوه وهي تستيقظ بأصوات تشبه تلك التي تصدرها في أثناء الجنس، أثارتني لدرجة أنني لم أعد أريد المغادرة.

•

فتحت عينيها أخيرًا، ونظرت إليَّ، قلت بهدوءٍ: "يجب أن أذهب الآن، هل يمكنني العودة لاحقًا؟".

أومأت برأسها: "سأنتظرك، أنا إجازة اليوم".

قبَّلتني بشفتين مغلقتين وقالت: "سأقبِّلك أفضل من ذلك بعد أن أفرش أسناني".

ضحكت وقبَّلتها على خدها، نظرت إليَّ، وبدا لي أنها تريد أن تقول شيئًا فحدقت إليها لحظات منتظرًا أن تتحدث لكنها لم تفعل، فقبَّلتها مرة أخرى على شفتيها.

- سأعود بعد ظهر اليوم.

***

لم أنتظر طويلًا، بمجرد أن وصلت إلى البيت حتى وجدت ديم وجريس مستيقظتين بالفعل وفي طريقهما إلى سيارة جريس، رأتني ديم أولًا فجرت نحوي، فتحت باب الشاحنة وهبطت لأحملها، قبَّلتُ رأسها وهي تعانقني وتلف ذراعيها حول رقبتي، لا يوجد ما هو أجمل من حضن هذه الطفلة، إلا حضن أمها.

وصلت جريس إلى فناء منزلي بعد بضع ثوانٍ، نظرت إليَّ متفحصة كأنها تعرف مع من كنت، لكنها لو كانت تعرف لما اكتفت بمجرد النظر، قالت: "يبدو أنك لم تنم كثيرًا الليلة الماضية".

- بل نمت كثيرًا، توقفي عن التطفل.

ضحكت وهي تعيد ضبط شعر ديم المعقود على شكل ذيل حصان: "حسنًا، لقد حضرت في اللحظة المناسبة، كانت ديم تنتظرك لتودعك قبل أن نذهب".

عانقتني ديم مرة أخرى وقالت: "لا تنساني".

خففت قبضتها حتى أتمكن من إعادتها إلى الأسفل، قلت: "سوف تغادرين لليلة واحدة فقط يا دي، كيف يمكنني أن أنساك؟".

هرشت وجهها وقالت: "أنت عجوز، والعواجيز ينسون كل شيء".

أخبرتها أنني لست عجوزًا، ثم طلبت من جريس أن تنتظر، فتحت بابي الأمامي وهرعت إلى المطبخ لأحضر باقة الزهور التي اشتريتها أمس، منذ وفاة سكوتي وأنا لا أدع عيد الأم أو عيد الأب يمران من دون أن أجلب لهما هدية.

لقد كانت بمنزلة أم لي طوال حياتي، حتى إنني كنت أجلب لها الهدايا أحيانًا حتى وسكوتي على قيد الحياة، ناولتها الزهور وقلت: "عيد أم سعيد".

أبدت دهشتها وسعادتها وعانقتني، لكني لم أسمعها وهي تشكرني بسبب صوت الندم الصاخب الذي اخترق قلبي، لقد نسيت أن اليوم عيد الأم، استيقظت بجانب كينا هذا الصباح، ولم أقل لها شيئًا عن ذلك، أشعر كأنني أحمق.

قالت جريس: "يجب أن أضعها في الماء قبل أن أذهب، هل يمكنك أن تعقد حذاء ديم في السيارة من أجلي؟".

أمسكت بيد ديم وسرنا عبر الشارع، كان باتريك بالفعل ينتظر في السيارة، مشت جريس بالزهور إلى المنزل، بينما فتحت الباب الخلفي لوضع ديم في مقعدها وعقد حذائها، سألتني: "ما هو عيد الأم؟".

- إنه يوم عطلة.

احتفظت بتوضيحي موجزًا ، لكني تبادلت وباتريك النظرات، بينما قالت ديم: "أعرف، لكن لماذا أعطيت أنت ونونو الزهور لنانا؟ هل هي أمك؟ ألم تقل أن روبن هي أمك؟".

- روبن هي أمي، وجدتك بمنزلة أمي، في عيد الأم، إذا كنت تعرفين أمًّا تحبينها، تشترين لها الزهور حتى لو لم تكن أمك الحقيقية.

شنجت ديم أنفها، وسألت: "هل من المفترض أن أشتري الزهور لأمي؟".

كانت ديم تتساءل عن شجرة العائلة منذ فترة، حتى إنها حاولت رسمها ذات يوم، وهو شيء لطيف، لكنه سيجعلها تتساءل عن الفراغ الموجود محل صورة أمها، أنقذني ليدجر قائلًا: "أعطينا نانا أزهارها الليلة الماضية، تذكرين؟".

هزَّت ديم رأسها: "لا، أنا أتحدث عن أمي التي ليست هنا، تلك التي تملك سيارة صغيرة، هل من المفترض أن نعطيها الزهور؟".

تبادلت أنا وباتريك النظرات مرة أخرى، أنا متأكد أنه اعتقد أن الألم على وجهي بسبب الانزعاج من سؤال ديم، قبَّلت ديم على جبهتها في نفس اللحظة التي عادت فيها جريس إلى السيارة. وقلت: "والدتك ستحصل على الزهور، أحبك، وصلي سلامي إلى الجدة لاندريس".

ابتسمت ديم وربتت على خدي بيدها الصغيرة قائلة: "عيد أم سعيد يا ليدجر".

تراجعت عن السيارة، وتمنيت لهم رحلة آمنة، ولكن في أثناء قيادتهم بعيدًا، شعرت أن قلبي يزداد ثقلًا مع كلمات ديم، بدأت تتساءل عن والدتها، بدأت تشعر بالقلق. وعلى الرغم من أن باتريك افترض أنني كنت فقط أطمئنها بقولي أن أمها ستحصل على الزهور أيضًا، كنت في الواقع أعطيها وعدًا لن أخلفه، لأن فكرة أن يمر اليوم من دون أن تلقى كينا اعترافًا بأمومتها من أي شخص تغضبني من كل هذا الوضع، أريد أحيانًا أن ألقي اللوم مباشرة على باتريك وجريس، لكن هذا ليس عادلًا أيضًا، إنهما يفعلان فقط ما يتعين عليهما القيام به للنجاة، نحن جميعًا في موقف سيئ، ولا يوجد أشرار لإلقاء اللوم عليهم، نحن جميعًا مجرد مجموعة من الأشخاص البائسين يفعلون ما يتعين عليهم القيام به ليستطيعوا الاستمرار في العيش.

البعض منًا حزين أكثر من غيره، البعض منًا على استعداد لأن يغفر أكثر من غيره، الأحقاد ثقيلة، لكن بالنسبة إلى الأشخاص الأكثر تضررًا، المغفرة أثقل.

***

توقفت في منتصف طريقي إلى شقة كينا عندما رصدتها من الخلف واقفة أسفل البناية تنظف الطاولة التي أعرتها إياها، اتجهت نحوها فلاحظتني، تصلبت عيناها على الزهور في يدي، ظللت أقترب لكنها لم ترفع عينيها من على الزهور، قدمتها إليها وقلت: "عيد أم سعيد، وضعتها في مزهرية لأنني غير متأكد إن كنت تملكين واحدة".

بناءً على نظرة وجهها، ندمت على فكرة منحها الزهور، ربما لا تود الاحتفال بعيد الأم قبل أن تقابل ابنتها، هل كان ينبغي لي التفكير أكثر في هذه اللحظة؟ لكنها مدَّت يديها وأخذتها مني بترددٍ، كما لو أن أحدًا لم يعطِها هدية من قبل، ثم نظرت إليَّ وبهدوءٍ شديدٍ، قالت:

- شكرًا.

قالتها وهي تعنيها، الدموع في عينيها أقنعتني أن إحضارها كان خطوة موفقة، سألتها: "كيف كان الغداء مع الأمهات؟".

ضحكت: "كان ممتعًا، قضينا وقتًا مرحًا".

نظرت إلى أعلى نحو شقتها، وسألتني: "تريد أن تصعد؟".

تبعتها إلى الأعلى، وبمجرد دخولنا شقتها، وضعت بعض الماء في المزهرية ثم وضعتها على الطاولة وهي تعدّل وضع الزهور بيديها، قالت: "ماذا ستفعل اليوم؟".

أردت أن أقول، أي شيء معك، لكني لم أعرف فيما تفكر بعد الليلة الماضية، في بعض الأحيان تبدو الأشياء جيدة ومثالية في لحظتها، ولكن بعد ساعات من التفكير، يمكن أن يتحول الكمال إلى شيء آخر. قلت: "أنا ذاهب إلى المنزل الجديد لتركيب الأرضية، أخذ باتريك وجريس ديم إلى بيت الجدة، سيعودون غدًا".

ارتدت كينا قميصًا ورديًا يبدو جديدًا، مع تنورة طويلة بيضاء واسعة، لم أرها قط سوى بالجينز والتيشيرت، لكن هذا القميص يكشف عن مفرق ثدييها وتضاريس جسمها، حاولت جاهدًا ألا أنظر لكني لم أستطع.. اللعنة!

وقفنا صامتين لحظات ثم سألتها: "هل تريدين أن تأتي معي؟".

نظرت إليَّ بحذرٍ قائلة: "هل تريدني أن آتي؟".

أدركت أن ترددها ليس بسبب ندمها على ليلة أمس، بل مخاوفها من أن أكون أنا نادمًا، فأجبتها: "بالطبع".

قلتها بتأكيدٍ جعلها تبتسم، وابتسامتها تكسر كل ما كان يجعلنا منفصلين، جذبتها نحوي وقبَّلتها، بدت مرتاحة فور ما لمستُ شفتيها بشفتيَّ، أكره أنني جعلتها تشك في نفسها لثانية واحدة، كان يجب عليَّ تقبيلها بمجرد أن ناولتها الزهور في الأسفل.

- هل يمكننا الحصول على بعض المثلجات في الطريق إلى هناك؟

هززت رأسي موافقًا، فسألتني مداعبة: "هل بطاقتك المثقوبة معك؟".

- لا أغادر المنزل من دونها.

ضحكت وحملت حقيبتها مودعة إيفي، عندما وصلنا إلى الطابق السفلي، قمنا بطي الطاولة والكراسي ونقلها إلى شاحنتي، من الجيد أنني هنا اليوم، لأنني كنت أنوي نقل بعضها إلى المنزل الجديد.

حملت آخر مجموعة من الكراسي إلى الشاحنة في نفس اللحظة التي ظهرت فيها ليدي ديانا فجأة لتقف بيني وبين كينا، سألتها: "هل ستركبين مع هذا الوغد؟".

- يمكنك التوقف عن مناداته بالوغد الآن، اسمه ليدجر.

نظرت إليَّ ليدي ديانا من أعلى إلى أسفل، ثم تمتمت، "[1]ليدجيرك الوغد".

تجاهلنا الإهانة، وودعتها كينا قائلة: "أراك في العمل غدًا".

ضحكنا ونحن نصعد إلى الشاحنة. قلت: "ليدجيرك، كان هذا في الواقع ذكيًّا حقًّا".

ربطت كينا حزام مقعدها، وقالت: "إنها ذكية وشريرة، إنها مزيج خطير".

أدرت الشاحنة في الاتجاه المعاكس، متسائلًا عما إذا كان يجب أن أعطيها هديتها الأخرى أم لا، فبعد أن ركبنا الشاحنة، بدأت أشعر بالقليل من الحرج عما كنت عليه عندما خطرت لي الفكرة، وحقيقة أنني قضيت وقتًا طويلًا هذا الصباح أحضرها لها يجعل الأمر أكثر صعوبة، لذلك، ونحن على بُعد ميل من شقتها تمالكت أعصابي، وقلت: "لقد صنعت لك شيئًا".

انتظرت حتى وصلنا إلى إشارة توقف، ثم أرسلت إليها الرابط في رسالة نصية، أصدر هاتفها صوتًا ففتحت الرابط وحدقت إلى الشاشة لثوانٍ، ثم قالت: "ما هذا؟ قائمة أغانٍ؟".

***



(1) قالت ليدي ديانا عن ليدجر: ليدجيرك Ledgerk لتمزج بين كلمتي Ledger و jerk بمعني أحمق أو ووغد.

- نعم، لقد صنعتها هذا الصباح، يوجد أكثر من عشرين أغنية لا علاقة لها على الإطلاق بأي شيء يمكن أن يذكرك بأي حدثٍ محزنٍ.

حدقت إلى الشاشة على هاتفها وهي تتنقل عبر الأغاني، انتظرت أي رد فعل منها، لكن وجهها بدا جامدًا، نظرت من النافذة وغطت فمها كأنها تكتم ضحكها، انتظرت أن تقول أيّ شيء، لكني في النهاية لم أستطع تحمُّلها أكثر من ذلك.

- هل تضحكين؟ هل كان ذلك غبيًّا؟

عندما استدارت لتواجهني، كانت تبتسم، لكن عينيها كانتا دامعتين، قالت: "إنه ليس غبيًّا على الإطلاق".

مدَّت يدها من فوق مسند المقعد وأمسكت يدي، ثم أدارت عينيها لتنظر من نافذتها، لمسافة ميلين على الأقل، قاومت ابتسامتي، ولكن بعد ذلك في مكان ما حول الميل الثالث، كنت أقاوم حزني لأن شيئًا بسيطًا مثل قائمة أغانٍ لا ينبغي لها أن يجعلها تبكي.

بدأت وحدتها تؤلمني، أريد أن أراها سعيدة، أريد أن أكون قادرًا على قول كل الأشياء الصحيحة عندما أشرح لباتريك وجريس لماذا يجب أن يعطياها فرصة، لكن حقيقة أنني ما زلت لا أعرف تاريخها مع سكوتي هو أحد الأشياء العديدة التي أخشى أن تمنع النتيجة التي نريدها كلانا.

في كل مرة أكون معها، تكون الأسئلة دائمًا على طرف لساني، ماذا حدث؟ لماذا تركته؟ لكن الوقت لا يكون مناسبًا أبدًا لطرح السؤال، أردت أن أسألها الليلة الماضية عندما سمحت لي ببعض بالأسئلة، لكني لم أستطع؛ أحيانًا تبدو حزينة جدًّا لدرجة أنني أشفق عليها أن تتذكر أمورًا ستحزنها أكثر.

لكني أحتاج إلى أن أعرف، رغم ذلك، أشعر أنني لا أستطيع الدفاع عنها بشكلٍ كاملٍ حتى أعرف بالضبط ما حدث في تلك الليلة ولماذا.

- كينا؟

نظرنا نظر أحدنا إلى الآخر، في نفس الوقت.

- أريد أن أعرف ما حدث في تلك الليلة.

اكتسب الهواء ثقلًا، لدرجة أنني لم أستطع التقاط أنفاسي، شعرت أنها غير قادرة على التنفس أيضًا، تباطأت أنفاسها وتخلّت يدها عن يدي، قبضت بيديها على ركبتيها.

- قلتِ إنك كتبت عنها، هل يمكنك أن تقرئي لي؟

بدا الخوف على وجهها، إما إنها خائفة جدًّا من تذكر تلك الليلة، وإما خائفة جدًّا من أن تحكي لي ما حدث، لا ألومها، أشعر بالأسف نحوها لكني أريد أن أعرف..

أريد أن أعرف..

إذا كنت سأجثو على ركبتيّ أمام باتريك وجريس وأتوسل إليهما لمنحها فرصة، فلا بد أن أعرف كل شيء عن الشخص الذي أقاتل من أجله، على الرغم من أن لا شيء في هذه المرحلة من شأنه أن يغيِّر

رأيي عنها. أنا أعلم أنها شخصٌ جيدٌ، شخص طيب قضى ليلة واحدة سيئة، هذا يحدث لأي شخص، سواء كان جيدًا أو سيئًا، لكن البعض أكثر حظًّا من غيره.

ضغطت بقبضتي عجلة القيادة، ثم قلت: "من فضلك، أنا أريد أن أعرف يا كينا".

مرَّت لحظة أخرى من الهدوء، لكنها بعد ذلك أمسكت بهاتفها وفتحته، تنحنحت، كانت نافذتي مفتوحة، فأغلقتها لأمنع أي صوت قد يقاطعها، حلَّ الهدوء في الشاحنة، وبدت كينا متوترة جدًّا قبل أن تبدأ في القراءة، فرفعت يدي وأعدت خصلة من شعرها خلف أذنها محاولًا تهدئتها، أو أنني فقط أردت لمسها لتعرف أنني لن أحكم عليها مهما حصل، أنا فقط في حاجة إلى معرفة ما حدث، هذا كل شيء.

الفصل الثالث والثلاثون

كينا

عزيزي سكوتي،

كانت سيارتك مكاني المفضل، لا أعرف ما إذا كنت أخبرتك بذلك من قبل أم لا، لكنها كانت المكان الوحيد الذي يشعرني بالأمان. كنَّا نتطلع إلى الأيام التي تتلاقى فيها مواعيدنا حتى تصطحبني من العمل في سيارتك، بمجرد دخولي إليها كنت أشعر أنني عدت إلى بيتي. دائمًا ما تستقبلني بمشروب، وفي الأيام التي تعرف فيها أنني لم أتناول عشائي بعد، كنت تجلب لي علبة صغيرة من البطاطس المقلية من ماكدونالدز، لأنك تعلم أنها البطاطس المفضلة لي. كانت أيامًا حلوة، كنتَ تدللني بتصرفات صغيرة لا يفكر فيها معظم الناس، كنتُ أكثر مما أستحق حتى لو لم تعترف يومًا بذلك.

أستعيد يوم موتك كثيرًا، حتى إنني كتبت كل تفصيل فيه ذات يوم على الورق، بعض التفاصيل باتت ضبابية الآن في ذهني، لا أتذكر إنْ كنت قد أمضيت فعلًا دقيقة ونصفًا وأنا أفرش أسناني في الصباح، أو إن كنت قد أخذت استراحة في العمل لمدة خمس عشرة دقيقة، أو إن كنَّا قضينا فعلًا سبعًا وخمسين دقيقة في الحفل الذي ذهبنا إليه تلك الليلة.

لا أستطيع حساب الوقت بدقة، لكني أتذكر أغلب ما حدث ذلك اليوم حتى الأشياء التي وددت لو أنساها..

أقام شريكك السابق في السكن الجامعي حفلًا صممتُ أن نذهب إليه، قلت أنك مدينٌ له بزيارة، ليتنا لم نذهب! لكن على الأقل أنا سعيدة بأنك تمكنت من رؤية معظم أصدقائك تلك الليلة كأنك تودعهم الوداع الأخير، بالتأكيد عنى ذلك لهم الكثير بعد وفاتك.

على الرغم من أنك بدوت مستمتعًا بوقتك فإنني أعلم أنك لم ترد الذهاب أيضًا، كنت قد تجاوزت أجواء الحفلات، وبدأت في التركيز على الأجزاء الأكثر أهمية في الحياة، التخرج في الجامعة ورغبتك في بدء حياتك العملية وقضاء وقتٍ أكثر معي. أخبرتني أننا لن نبقى طويلًا، فجلست على كرسي في زاوية غرفة المعيشة أراقبك بينما تتجول في المكان. لا أعلم إن كنت تعرف هذا، لكني كنتُ أراقبك طوال الوقت، لم تفارقك عيناي طوال السبع وخمسين دقيقة التي قضيتها في الترحيب بالناس وتبادل الأحاديث القصيرة. جاذبيتك تشع كهالة، كانت الحشود تتجمع حولك، يسعى الكل لمصافحتك والتحدث إليك، وعندما يقبل عليك شخصٌ للتحية، كنت تستقبله بحماسٍ يشعره بأنه أهم شخص في الحفل.

لا أعرف ما إذا كان هذا طبعًا متأصلًا فيك، لكن لديَّ شعورًا بأنك لم تعرف حتى إنك تملك هذه القدرة الخارقة على جعل الناس يشعرون بأنهم مُقدَّرون.

في الدقيقة السادسة والخمسين رأيتني جالسة في الزاوية أبتسم لك، مشيت نحوي متجاهلًا كل من حولي، وفجأة وجدت نفسي مركز اهتمامك الوحيد. طوقتني بنظراتك، وأشعرتني بأهميتي، جلست بجانبي على الكرسي وقبَّلت رقبتي، وهمست في أذني: "أنا آسف لأنني تركتك وحدك".

- لم تتركني وحدي، كنت معي طوال الوقت.
- هل تريدين المغادرة الآن؟
- ليس إذا كنت تستمتع بوقتك.
- هل تستمتعين أنت بوقتك؟

هززت كتفي: "يمكنني التفكير في الكثير من الأمور الأكثر متعة من هذه الحفلة".

شعت الابتسامة على وجهك، وقلت: "أتفق معك، هل تريدين الذهاب إلى البحيرة؟".

أومأت برأسي لأن هذه هي الأشياء الثلاثة المفضلة لديَّ، البحيرة، وسيارتك، وأنت.

سرقت اثنتي عشرة زجاجة بيرة من الحفل، ثم تسللنا إلى الخارج وقدت بنا السيارة إلى البحيرة، مكاننا المفضل الذي نذهب إليه في بعض الليالي، كانت على طريق خلفي ريفي، اعتدت الذهاب إلى التخييم هناك مع أصدقائك، ولم تكن بعيدة عن البيت الذي أعيش فيه مع شركاء السكن.

لذلك في بعض الأحيان، كنت تأتي إلى بيتي بعد منتصف الليل وتصحبني لنذهب إلى هناك ونمارس الحب على العشب أو في الماء أو في سيارتك، وفي بعض الأحيان نظل هناك حتى الصباح لنشاهد شروق الشمس.

في تلك الليلة بالذات، شربنا البيرة التي أخذناها من الحفل مع بعض بقايا الطعام التي كانت لدينا، رفعنا صوت الموسيقى في مشغل السيارة وتعانقنا في الماء، لم نمارس الجنس، في بعض الأحيان كنا نكتفي بالمداعبات والقُبل، وكنت أحب ذلك فيك، لأن أحد الأشياء التي لطالما كرهتها في العلاقات هو أنها تتمحور حول ممارسة الجنس فقط، لكن معك، كان الحب هو المركز، الرغبة في البقاء معًا ملتصقين ببعضنا من دون أن نشعر بالوقت، قبَّلتني في الماء كما لو كانت آخر قبلة، هل كنت تشعر بأنها آخر قبلة؟

خرجنا من الماء، واستلقينا عراة على العشب تحت ضوء القمر، بدا العالم كأنه يدور فوق رأسينا، قلت: "أشتهي رغيف لحم".

ضحكت عليك، لأنها كانت جملة عشوائية جدًّا، وسألتك: "رغيف لحم؟".

ابتسمت وقلت: "نعم، ألا تحبينه؟ رغيف اللحم والبطاطا المهروسة". اعتدلت في جلستك وناولتني ملابسي لنذهب إلى تناول العشاء، كنت قد شربت أكثر مني لذلك طلبت مني أن أقود، لم يكن من عادتنا أن نقود ونحن سكارى، لكن يبدو أننا شعرنا بأننا لا نهزم تحت ضوء القمر هذا، كنَّا صغيرين وفي حالة حب، وبدا الموت شيئًا بعيدًا جدًّا، غير حقيقي ولا يمكن حدوثه.

كنَّا سكارى، لذا كانت قراراتنا غير متوازنة في تلك الليلة، ولكن مهما كان السبب، طلبت مني القيادة، ولم أقوَ على الرفض. ركبنا السيارة، وجلست في مقعد السائق رغم تعثري في الحصى قبل أن أصل إلى الباب. على الرغم من أنني ضيقت عينيَّ محاولة التركيز لأتأكد أن السيارة في وضع التقدم إلى الأمام وليس العودة إلى الخلف، وأنني كنت أحاول التحكم بصعوبة في عجلة القيادة لنبتعد عن البحيرة.

كنت ثملة جدًّا لدرجة أنني لم أستطع خفض صوت الراديو رغم أن أغنية كولدبلاي انبعثت بصوت عالٍ لدرجة أنها ألمت أذنيَّ، لم نقطع شوطًا طويلًا قبل أن يحدث ما حدث.

كنت تعرف الطرق أفضل مني، قدت بسرعة كبيرة لأنني لم أعرف أن الطريق معبَّدٌ بالحصى، ولم أعرف أن هناك منعطفًا حادًّا قادمًا، صحت "تمهلي" بصوتٍ عالٍ، فزعك وتَّرني، لذلك ضغطت الفرامل بقوة، لكنني أعلم الآن أن ضغط الفرامل على طريق معبد بالحصى يمكن أن يجعلك تفقد السيطرة الكاملة على السيارة، خاصة عندما تكون في حالة سكر، حاولت أن ألف عجلة القيادة إلى اليمين لكن السيارة استمرت في الانحراف إلى اليسار كأنها تنزلق على جليدٍ ناعم.

المحظوظون فقط هم من لا يتذكرون تفاصيل وقوع حادث مروا به، يتذكرون أشياء حدثت قبله وبعده، لكنهم يمحونه من ذاكرتهم، أما أنا، وبعد كل هذا الوقت، ما زلت أذكر كل ثانية من تلك الليلة، أستعيدها كل يوم شئت أم أبيت.

انقلبت بنا السيارة، لم أشعر سوى بأننا اصطدمنا بشيء، كل ما فكرت فيه هو أن أحمي وجهينا من الزجاج المتناثر حتى لا يجرحنا، كان هذا أكبر مخاوفي في تلك اللحظة، القليل من الزجاج. لم أرَ حياتي تومض أمام عينيَّ، لم أرَ حتى حياتك، لم أقلق سوى بشأن ما سيحدث للزجاج الأمامي في تلك اللحظة، لأن لا أحد يموت وهو سعيد بهذا الشكل!

شعرت بأن عالمي كله يميل، ثم شعرت بالحصى على خدي. كان الراديو لا يزال يذيع أغنية كولدبلاي، وكان المحرك لا يزال مشتعلًا. شعرت بنارٍ تنبعث في حلقي ولم أستطع حتى الصراخ، لكني لم أعتقد أنني في حاجة إلى ذلك. لم أفكر سوى فيما حدث للسيارة، وبأنك ستغضب جدًّا لتضررها بهذا الشكل، همست: "أنا آسفة جدًّا"، فكرت أنك ستحمل هم الاتصال بشاحنة لتسحبنا، ولم أفكر أنك لم تعد هنا.

حدث كل شيء بسرعة، لكني كنت هادئة في تلك اللحظة، اعتقدت أنك بخيرٍ، انتظرت أن تسألني إذا كنت بخيرٍ، لكننا كنَّا منقلبين رأسًا على عقب، كل ما شربته في تلك الليلة كان ينقلب في بطني، وشعرت بثقل الجاذبية كما لم أشعر به من قبل.

اعتقدت أنني سوف أتقيأ وأردت مغادرة السيارة، لذا كافحت للتخلص من حزام مقعدي، بمجرد أن جذبته سقطت، لم تكن السقطة قوية لكنها فاجأتني فصرخت، رغم ذلك لم تسألني إذا كنت بخيرٍ.

كان الظلام قد حلَّ وأدركت أننا محاصران، مددت يدي ولمست ذراعك لأتبعك خارجًا، كنت أؤمن أنك ستجد مخرجًا لأنني كنت أعتمد عليك في كل شيء، وكان وجودك إلى جواري هو السبب الوحيد الذي جعلني متماسكة، لم أعد قلقة على سيارتك لأنني علمت أنك ستكون قلقًا عليَّ أكثر.

لم أقد السيارة بسرعة كبيرة أو بتهور، كنت ثملة قليلًا، غير متوازنة بعض الشيء، لكني كنت غبية جدًّا لأعتقد أن القليل غير كافٍ ليُحدث الكثير.

انقلبنا فقط لأن عجلة السيارة اصطدمت بحفرة عميقة، لكني فكرت أن الضرر ليس ضخمًا، ربما تبقى السيارة التي أحببتها كثيرًا واعتبرتها بيتي في الصيانة أسبوعًا أو أسبوعين، ثم سنستردها وسنكون جميعًا على ما يرام.

هززت ذراعك وناديتك: سكوني.. أردت أن تعرف أنني بخيرٍ، اعتقدت أنك ربما في حالة صدمة ولا تقوى على الكلام. عندما لم تتحرك، أدركت أن ذراعك يتدلى على الطريق الذي أصبح سقفنا، فكرت أنك ربما مغشي عليك، لكن عندما نظرت في يدي بعد أن لمستك وجدتها مغطاة بالدماء، الدماء التي من المفترض أن تجري في عروقك.

لم أفهم، لم أستطع أن أفهم كل هذا، حادث سخيف على جانب الطريق لا يمكن أن يؤذينا، لكن هذا كان دمك فعلًا، حاولت الاقتراب منك، ولأنك كنت منقلبًا ومربوطًا بحزام الأمان لم أستطع جذبك،

حاولت لكنك لم تتزحزح، وجهت وجهك نحو وجهي، لكنك بدوت نائمًا، بشفتين منفرجتين وعينين مغمضتين، نظرت إليك كما كنت أنظر إليك من قبل، وأنت نائمًا بجواري كل ليلة.

حاولت شدك، لكني عجزت، لأن السيارة كانت فوق جزء منك. كان كتفك وذراعك محاصرين، ولم أستطع حتى فتح حزام الأمان، على الرغم من الظلام أدركت أن ضوء القمر ينعكس على دمائك بنفس الطريقة التي ينعكس بها على ماء المحيط.

الدماء في كل مكان، والسيارة المقلوبة أربكتني أكثر، حاولت البحث عن هاتفك، اندفعت أحاول الوصول إلى جيبي سترتك، مددت يدي أفتش عنه في كل مكان لكني لم أجد سوى الصخور والزجاج.

طوال الوقت، كنت أغمغم باسمك من بين أسناني المغلقة: "سكوتي.. سكوتي.. سكوتي..".

رددت اسمك مثل صلاة، لكني لا أعرف كيف أصلي، لم يعلِّمني أحدٌ من قبل، لا أتذكر سوى صلاة الشكر على العشاء في منزل والديك، والصلاة التي كانت تتلوها "مُنى" أمي بالتبني أحيانًا. كلها صلوات تبارك الطعام، وأنا لم أرد طعامًا، أردتك أن تستيقظ، فظللت أردد اسمك مرارًا وتكرارًا وأتمنى أن يسمعني الله، على الرغم من أنني لم أعتقد أنني سأحظى يومًا بانتباهه، كما لم ينتبه لنا أحد في تلك الليلة.

ما عشته في تلك اللحظات كان لا يوصف. تعتقد أنك تعرف كيف سيكون رد فعلك في المواقف الصعبة، لكن عندما تمرُّ بها فعلًا سيتوقف عقلك عن التفكير. ربما يكون هناك سببٌ لهذا الانفصال

الذي يحدث لنا في لحظات الرعب، كأن الاتصال بعقلي انقطع، كانت أطرافي تتحرك لا إراديًا ومن دون أن تتلقى أوامرها من المخ، يداي تبحثان عن أشياء لست متأكدة ما هي، عيناي تدوران حولي دون أن أعرف إلام أنظر.

ازداد هلعي، لأنه مع كل ثانية تمرُّ، أصبح أكثر وعيًا بأن حياتي تغيَّرت، كيف تغيِّر لحظة واحدة حياة كاملة، مسارًا كنَّا نسير مطمئنين فيه، كل شيء لن يكون كسابق عهده، كل جزء فيَّ انفصل عني ولن يتصل بي ثانية.

زحفت خارج السيارة عبر المسافة بين الأرض وبابي، وبمجرد أن خرجت ووقفت على جانب الطريق حتى تقيأت. كانت مصابيح السيارة الأمامية تسطع على صف الأشجار لكنها لم تساعد على جذب انتباه أي شخص، ركضت إلى جانبك من السيارة وحاولت تحريرك لكني لم أستطع، تدلت ذراعك على الأرض من أسفل السيارة وانعكس ضوء القمر على دمائك، أمسكت بيدك وعصرتها، كانت باردة جدًّا، كنت لا أزال أغمغم باسمك..

"سكوتي.. سكوتي.. سكوتي.. سكوتي.."

"لا.. لا.. لا.. لا.."

توجهت إلى الزجاج الأمامي وركلته كثيرًا لكسره وإخراجك من خلاله، لكنه لم يستجب رغم أنه كان متصدعًا بالفعل، ركعت على ركبتيَّ وضغطت وجهي على الزجاج ورأيت ما فعلته فيك، أدركت أنه بغض النظر عن مدى حبك لشخصٍ ما، لا يزال في إمكانك إيذاؤه.

إدراك هذا اجتاحني مثل موجة من نارٍ، اعتراني ألمٌ جامحٌ بدأ من رأسي وانتشر في جسمي كله إلى أصابع قدميّ. تأوّهت وأنا أبكي وعندما لففت حول السيارة للمس يدك مرة أخرى، لم يكن هناك شيء، لا نبض في رسغك، ولا دقات قلب في راحة يدك، ولا دفء في أطراف أصابعك.

صرخت، صرخت كثيرًا حتى بُح صوتي، ثم أصبت بنوبة هلع، إنها الطريقة الوحيدة لوصف ما حدث لي. لم أتمكن من العثور على أيٍّ من هواتفنا، لذلك بدأت الركض نحو الطريق السريع، كلما ركضتُ أبعد تشتت ذهني، لم أستطع أن أتخيل أن ما حدث كان حقيقيًا، ركضت على الطريق السريع بحذاءٍ واحدٍ. كان في إمكاني أن أرى نفسي، كما لو كنت أمامي، أركض نحوي، كما لو كنت في كابوس، أركض من دون أن أتقدم إلى الأمام.

لم تكن لحظة الاصطدام هي ما ظلّت تزورني في كوابيسي لسنواتٍ بعد ذلك، بل كانت هذه اللحظة التي غمرني فيها الأدرينالين والهلع والهيستيريا، بدأت في صنع ضوضاء لم أعرف أنني أستطيع القيام بها، لم أستطع التنفس لأنك ميت، كيف سأتنفس وأنت بلا هواء؟ حطمتني الفكرة فسقطت على ركبتيّ وصرخت في الظلام.

لا أعرف كم من الوقت بقيت على جانب الطريق. كانت السيارات تمر بي وما زال دمك على يدي، كنت خائفة وغاضبة ولم أستطع إبعاد وجه أمك عن أفكاري، أنا قتلتك.. لن تعد هنا لتُشعر الجميع بأهميتهم، لن يتمكن أحد من معانقتك ومصافحتك وتبادل الأحاديث

معك، سيفتقدك الجميع بسببي، أردت فقط أن أموت، لم أرد شيئًا آخر، أردت أن أموت.

وقفت في منتصف الطريق أشير إلى السيارات لتتوقف لكنها كانت تنحرف وتتجاوزني، حاولت ثلاث مرات مع ثلاث سيارات لكنَّ أحدًا لم يتوقف، سبَّني ولعنني السائقون لأنني أقف في منتصف الطريق، لكن أحدًا لم يساعدني، كنت قد مشيت بالفعل أكثر من ميلٍ، ولم أكن أعرف كم أبعد عن شقتي، لكنني علمت أنه إذا كان في إمكاني الوصول إلى هناك، فيمكنني أن ألقي بنفسي من شرفة شقتي في الطابق الرابع، لأن ذلك كان الشيء الوحيد الذي أردته في تلك اللحظة، أن أكون معك.

في ذهني، لم تكن ميتًا تحت حطام سيارتك، كنت في مكان آخر، تطفو في الظلام، وعزمت على الانضمام إليك، لأنه ما الهدف من الحياة إن لم تكن فيها؟ كنت كل حياتي. بدأت في الانكماش مع كل ثانية تمر دونك حتى اقتربت من التلاشي، وهذا آخر شيء أتذكره. هناك فجوة مظلمة في عقلي بين تركي لك وادراكي أنني تركتك. ساعات قيل لعائلتك أنني مشيت فيها إلى المنزل وسقطت في النوم، لكن هذا ليس بالضبط ما حدث.

أنا متأكدة أنني سقطت مغشيًا عليَّ من الصدمة، لأنه عندما اقتحم رجال الشرطة غرفة نومي في صباح اليوم التالي وفتحت عيني، كنت على الأرض، حول رأسي بركة صغيرة من الدماء، وبدا لي أنني سقطت على الأرض وأصبت رأسي لكني لم أجد الوقت لتفقد ذلك، لأن

الشرطة كانت في غرفة نومي، وكان أحدهم يضع يده على ذراعي والآخر رفعني على قدمي.

هذه آخر مرة رأيت فيها غرفة نومي..

أتذكر أن زميلتي في السكن "كلاريسا" بدت مرعوبة، لم يكن ذلك بسبب رعبها من أجلي، كانت مذعورة على نفسها، كان الأمر كما لو كانت تعيش مع قاتل كل هذا الوقت من دون أن تعرف.

صديقها، لا أتذكر اسمه -جايسون أو جاكسون أو جاستن- كان يربت على كتفها كما لو كنت دمرت حياتها، كدت أعتذر لها، لكني لم أستطع التواصل مع صوتي، كان لديَّ أسئلة، كنت مرتبكة، كنت ضعيفة، كنت أتألم، لكن الأقوى من كل المشاعر التي غمرتني في تلك اللحظة كان شعوري بالوحدة.

لم أكن أعلم أن هذا الشعور سيصبح دائمًا. عرفت عندما وضعوني في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة أن حياتي وصلت إلى ذروتها معك، ثم انتهت، كان هناك "قبلك" و"في أثنائك"، لكن لسببٍ ما، لم أفكر أبدًا في وجود "بعدك"..

لكني للأسف عشت "بعدك"، وسأظل "بعدك" إلى الأبد..

***

لا يزال هناك المزيد لقراءته، لكن حلقي جفَّ وأعصابي تلفت، خفت مما يفكر فيه ليدجر، الذي كان يضغط بيديه عجلة القيادة حتى ابيضَّت مفاصل أصابعه. رفعت زجاجة المياه الخاصة بي إلى فمي وأخذت رشفة كبيرة، بينما قاد ليدجر شاحنته إلى منزله، ركنها

في موقف السيارات، ومال بمرفقه على نافذته، قال من دون أن ينظر إليّ: "تابعي القراءة".

ارتجفت يداي، لم أعرف ما إذا كان في إمكاني الاستمرار في القراءة من دون أن أبكي، لكنني لم أعتقد أنه سيعبأ بدموعي، أخذت رشفة أخرى وبدأت في قراءة الفصل التالي.

***

عزيزي سكوتي،

هذا ما كان عليه الحال في غرفة الاستجواب:

هم: كم زجاجة شربت؟

أنا: صمت

هم: من أخذك إلى المنزل بعد الحادث؟

أنا: صمت

هم: هل تتعاطين أيّ مواد أخرى غير مشروعة؟

أنا: صمت

هم: هل طلبت المساعدة؟

أنا: صمت

هم: هل تعلمين أنه كان لا يزال على قيد الحياة عندما فررت من مكان الحادث؟

أنا: صمت

هم: هل تعلمين أنه كان لا يزال على قيد الحياة عندما وجدناه بعد ساعة ونصف؟

أنا: صراخ.

الكثير من الصراخ.

صرخت حتى أعادوني إلى الزنزانة وقالوا لي إنهم سيعودون عندما أهدأ..

لم أهدأ..

لم أهدأ يا سكوتي.

أعتقد

أنني

فقدت

جزءًا

من

عقلي

هذا

اليوم

اقتادوني إلى حجرة الاستجواب مرتين أخريين خلال الأربع وعشرين ساعة التالية. لم أنم، كنت حزينة، لم أستطع أن آكل أو أشرب أي شيء.

أردت. فقط. أن. أموت.

وبعد ذلك، عندما أخبروني أنني لو طلبت المساعدة وقتها، لكنتُ ستظل حيًّا، مت فعلًا، كان هذا يوم الاثنين على ما أعتقد، بعد يومين من الحادث. أردت أن أشتري لنفسي شاهد قبرٍ وأن أضع تاريخ هذا اليوم عليه، على الرغم من أنني ما زلت أتظاهر بأنني على قيد الحياة، سأكتب عليه:

كينا نيكول روان

توفيت بعد يومين من وفاة حبيبها سكوتي.

لم أحاول حتى الاتصال بأمي، كنت مكتئبة للغاية لدرجة أنه لم أستطع الاتصال بأي شخص، لم أجرؤ على الاتصال بأصدقائي وإخبارهم بما فعلت. شعرت بالخجل والحزن، ونتيجة لذلك، لم يعلم أحدٌ من معارفي بفعلتي، ومنذ رحيلك وعائلتك تكرهني، لم أحظَ بزوار، عيَّنوا لي محاميًا لكني لم أملك أحدًا ليخرجني بكفالة، لم يكن لديَّ مكان أذهب إليه إن استطعت دفع الكفالة. وجدت راحتي في زنزانة السجن، لذا لم أمانع البقاء هناك، إذا لم أستطع أن أكون معك، في سيارتك، فلا مانع من البقاء في تلك الزنزانة حيث أستطيع رفض الطعام والشراب، ربما يتوقف قلبي عن النبض وأنضم إليك.

اعتقدت أن قلبك توقف تلك الليلة لكن تبين أنه كان لا يزال ينبض، عرفت أن السيارة سحقت ذراعك، ما قطع تدفق الدم إليها، هذا هو السبب الذي جعلني لا أشعر بأي نبض وأظن أنكَ مُتَّ، عرفت أنك رغم كل هذا أفقت وخرجت من السيارة، وحاولت الحصول على المساعدة التي لم أمنحك إياها.

أدركت أنني لو كنت بقيت إلى جوارك فترة أطول، أو حاولت بجدية أكبر، لو لم أصب بالذعر وأركض، وأسمح للأدرينالين أن يتدفق بهذا الشكل في جسمي، لدرجة أنني لم أعد أتبين الحقيقة من الخيال، لو كان في إمكاني أن أكون هادئة كما كنت أنت دومًا، لكنتُ قد ظللت حيًّا، ربما كنا نربي ابنتنا التي لم تعرف حتى بوجودها معًا، ربما كنا تزوجنا وأنجبنا طفلًا آخر أو حتى اثنين، كنت سأصبح مدرسة أو ممرضة أو كاتبة أو أي شيء ستشجعني عليه، وتمنحني القوة لإدراك أنني يمكن أن أكونه.

يا إلهي كم اشتقت إليك..

أفتقدك كثيرًا، حتى لو لم يبد هذا عليَّ بطريقة ترضي الناس. أتساءل أحيانًا ما إذا كانت حالتي العقلية لعبت دورًا في الحكم عليَّ؟ كنت فارغة من الداخل، وأنا متأكدة أن هذا الفراغ ظهر في عيني في كل وقتٍ اضطررت فيه إلى مواجهة شخص ما.

لم أهتم حتى بأول جلسة استماع للمحكمة بعد أسبوعين من وفاتك. قال لي المحامي إننا يجب أن نحارب، كل ما كان عليَّ فعله هو الإصرار بأنني غير مذنبة، وكان سيثبت أنني لم أكن سليمة عقليًا في تلك الليلة، وأن أفعالي لم تكن مقصودة وأنني نادمة جدًّا جدًّا جدًّا جدًّا جدًّا.

لكنني لم أهتم بما اقترحه المحامي، أنا أردت أن أذهب إلى السجن، لم أرغب في العودة إلى العالم حيث يجب أن أنظر إلى السيارات مرة أخرى، أو الطرق المعبدة بالحصى، أو أسمع كولدبلاي على الراديو، أو أفكر في كل الأشياء التي يجب أن أفعلها من دونك.

الآن وأنا أتذكر كل ذلك، أدرك أنني كنت في حالة اكتئاب خطيرة، لكني لا أعتقد أن شخصًا قد لاحظ، أو ربما لم يهتم أحد. كان الجميع يرفع شعار TeamScotty#، لم نكن بالنسبة إليهم في نفس الفريق، أراد الجميع العدالة، وللأسف العدالة والتعاطف لا يجتمعان في قاعات المحكمة

لكن المضحك أنني كنت في فريقهم، أنا أردت العدالة لهم. لقد تعاطفت معهم، خاصة مع أمك وأبيك وكل الناس الذين احتشدوا داخل قاعة المحكمة.

اعترفت أنني مذنبة، ما أثار استياء المحامي، لكني اضطررت إلى ذلك، عندما بدؤوا في سرد كل ما حدث لك بعد أن غادرتك تلك الليلة أصبت بالهلع، فضَّلت الموت على الجلوس والاستماع إلى كل تلك التفاصيل مرة أخرى، كان كل شيء بشعًا للغاية، كما لو كنت في قصة رعب وليس حياتي.

أنا آسفة يا سكوتي..

ضبطت تلك الجملة لتتردد داخل رأسي مرارًا وتكرارًا..

أنا آسفة يا سكوتي.. أنا آسفة يا سكوتي.. أنا آسفة يا سكوتي.. أنا آسفة يا سكوتي..

حددوا موعدًا آخر لإصدار الحكم، وخلال الوقت ما بين جلستي المحكمة أدركت أن دورتي الشهرية منقطعة منذ فترة، اعتقدت أن دورتي توقفت من فرط الحزن، لذلك لم أخبر أي شخص، لو علمت أن جزءًا منك كان ينمو داخلي، لكنت استعدت توازني، كنت سأذهب إلى المحكمة وأقاتل من أجل نفسي، وأحارب من أجل ابنتنا.

عندما حان موعد النطق بالحكم حاولت ألا أستمع للبيان المؤثر الذي قرأته والدتك، ولكن كل كلمة قالتها لا تزال محفورة في مخي.

ظللت أفكر فيما قلته لي عندما حملتني على ظهرك تلك الليلة في منزل والديك ونحن نصعد الدرج، حول رغبة والديك في المزيد من الأطفال، وأنك كنت طفلهما المعجزة، هذا كل ما كنت أفكر فيه في تلك اللحظة، أنني قتلت طفلهما المعجزة، والآن لم يعد لديهما أحدٌ.

كان من المفترض أن أدلي بشهادتي ولكني كنت ضعيفة جدًّا، ومنكسرة جدًّا جدًّا، لذلك عندما حان الوقت للوقوف والتحدث، لم أستطع. جسديًا، وعاطفيًا وعقليًا. علِقتُ في ذلك الكرسي، لكني حاولت الوقوف، أمسك المحامي بذراعي ليتأكد أنني لن أنهار، وبعد ذلك أعتقد أنه قد يكون قرأ شيئًا نيابة عني، لا أذكر، كل شيء كان ضبابيًا في تلك القاعة، ذلك اليوم كان مثل ليلة الحادث، مجرد كابوس أشاهده من على بُعد كأنه يحدث لشخص غيري.

كنت أعلم أن هناك أشخاصًا حولي، وعرفت أن القاضي يتحدث، لكن عقلي كان مرهقًا جدًّا، ولم أستطع معالجة ما يقولونه. حتى عندما أقر القاضي بأنني مذنبة، لم يكن لدي أي رد فعل، لأنني لم أستطع استيعاب أيّ شيء.

لم أستوعب شيئًا إلا في وقتٍ لاحقٍ، بعد أن علقوا لي محلولًا وريديًا من أجل الجفاف الذي عانيت منه، اكتشفت أنه حكم عليَّ بالسجن لسبع سنوات، مع الأهلية للإفراج المشروط قبل ذلك.

سبع سنوات؟ أتذكر أنني فكرت بأن هذا الحكم غير عادل، ليس قاسيًا بما فيه الكفاية. حاولت ألا أفكر فيما حدث لك في تلك السيارة بعد أن تركتك وحدك، كيف فكرت فيَّ؟ هل اعتقدت أنني هربتُ من السيارة؟ هل بحثت عني؟ أو هل أدركت أنني تركتك هناك وحدك؟

إنه الوقت الذي قضيته بمفردك في تلك الليلة هو ما يطاردنا جميعًا، لأننا لن نعرف أبدًا بما مررت؟ بماذا كنت تفكر؟ مَن ناديت؟ كيف كانت لحظاتك الأخيرة؟

لا أستطيع تخيُّل مدى الألم الذي عاناه أبواك واضطرارهما إلى العيش ما تبقى من حياتهما وهما يفكران في ذلك. أحيانًا أتساءل عما إذا كان هذا هو سبب وجود ديم، ربما كانت ديم طريقتك في التأكد من أن والديك سيكونان على ما يرام.

ولكن في نفس السياق، عدم وجود ديم في حياتي سيعني أنها طريقتك في معاقبتي، حسنًا.. أنا أستحق ذلك. سأقاوم رغبتك، لكني أعلم بأنني أستحق ذلك.

كل صباحٍ، أستيقظ وأعتذر بصمتٍ.. منك، من والديك، من ديم، على مدار اليومِ، أمتن لوالديك على رعايتهما لابنتي، وكل ليلة أعتذر مرة أخرى قبل أن أنام.

أنا آسفة. شكرًا لك. أنا آسفة..

هذا هو يومي، كل يوم.. كل يوم..

أنا آسفة. شكرًا لك. أنا آسفة..

عقوبتي لم تكن عادلة بالنظر إلى الطريقة التي مت بها، حتى السجن المؤبد لا يكفي، لكن تمنيت أن تعرف عائلتك أن أفعالي تلك الليلة لم تكن بسبب الأنانية، بل بسبب الصدمة والعذاب والاضطراب والرعب الذين دفعوني بعيدًا عنك في تلك الليلة، لم تكن أبدًا أنانية.

أنا لست شخصًا سيئًا، وأنا أعلم أنك تعرف ذلك، أينما كنت، أعلم أنك سامحتني، أعرفك جيدًا وأعرف أنك ستسامحني، آمل فقط يومًا ما أن تسامحني ابنتنا أيضًا. اغفر لي، على أمل أن يغفر لي والداك.. ثم ربما، بمعجزة ما، يمكنني أن أبدأ في مسامحة نفسي.

حتى ذلك الحين، أنا أحبك. أنا أفتقدك..

أنا آسفة..

شكرًا لك..

أنا آسفة..

شكرًا لك..

أنا آسفة..

إلى الأبد..

الفصل 34

كينا

أغلقت ملف الوورد على الهاتف، لم أعد قادرة على قراءة المزيد. امتلأت عيناي بالدموع، أنا مندهشة من أنني تمكنت من الوصول إلى هذا الحد قبل أن أبكي، ربما لأنني لم أحاول استيعاب الكلمات وأنا أقرأها بصوتٍ عالٍ.

وضعت هاتفي جانبًا ومسحت عينيَّ، لم يتحرك ليدجر، كان على نفس هيئته، متكئًا بمرفقه على نافذة الشاحنة، يحدق إلى الأمام. صوتي لم يعد يملأ شاحنته. أحاطنا صمتٌ كثيفٌ وقبيحٌ لم يتحمَّله ليدجر، فهبط من الشاحنة وصفق بابه خلفه، مشى إلى مؤخرة الشاحنة وفتح صندوقها، وبدأ في إنزال الكراسي منها من دون كلمة.

شاهدته في المرآة الخلفية، يمسك بكرسي للحظة ثم يحطمه على الأرض بقعقعة رهيبة شعرت بها تهشِّم صدري. أمسك بكرسي آخر وقذفه بغضبٍ عبر حديقة المنزل، بدا مجنونًا جدًّا، لم أستطع مشاهدته، ملت إلى الأمام وضغطت وجهي بيدي، ندمت على قراءة كل ما قرأته، لا أعرف إن كان غاضبًا مني أو عليَّ، أو أنه يلقي الكراسي بهذا الشكل لينفث عن غضبه المكتوم طوال خمس سنوات ماضية.

- اللعنة!

صرخ، قبل أن أسمع تحطم الكرسي الأخير، ظلَّ صدى صوته يتردد بين الأشجار الكثيفة التي تحيط بأرضه، اهتزَّت الشاحنة بأكملها بصدمة إغلاقه لباب صندوقه الخلفي.

ثم حلَّ الصمت، سكونٌ مرعبٌ. الشيء الوحيد الذي أمكنني سماعه هو أنفاسي القصيرة والسريعة، خفت من الخروج من الشاحنة لأنني لم أرد مواجهته لأنني لم أعلم إن كان جزءٌ من ثورته موجَّهًا إليَّ.

يا ليتني أعلم..

ابتلعت كتلة مرّة سدت حلقي بينما أسمع خطواته تسحق الحصى. توقف عند بابي وفتحه، كنت لا أزال منحنية إلى الأمام ووجهي بين يدي، لكنني في النهاية أنزلت يديَّ ونظرت إليه بترددٍ، أمسك بأعلى الشاحنة ومال إلى بابي، أراح رأسه على الجزء الداخلي من ذراعه المرفوعة، عيناه حمراوان لكنهما لا تنظران إليَّ بكراهية، ولا حتى بغضبٍ، بدا آسفًا، كما لو أنه يعتذر عن إخافتي بثورته.

كان يشعر بالسوء..

- أنا لست غاضبًا منك..

ضغط شفتيه معًا وأخفض عينيه، هزَّ رأسه برفقٍ مردفًا: "لكن هذا كثيرٌ جدًّا عليَّ لاستيعابه".

أومأت برأسي، لكني لم أستطع الكلام، كان قلبي يدق بسرعة وشعرت باحتقانٍ في حلقي، ولم أعرف ماذا أقول. كان لا يزال ينظر إلى الأسفل عندما تخلى عن تمسكه بالشاحنة وهبط إلى الأرض، التقت عينانا، وضع يده اليمنى على فخذي اليسرى، ويده اليسرى

تحت ركبتي اليمنى، سحبني إلى حافة مقعد الراكب حتى أواجهه. ثم أخذ وجهي بين يديه وأماله حتى أنظر إليه، زفر ببطء وقال: "أنا آسف جدًّا على خسارتك..".

لم أستطع كبح دموعي أكثر من ذلك، كانت هذه هي المرة الأولى التي يعزيني فيها أحد على فقداني سكوتي، عنت كلماته لي أكثر مما يتخيل.

كان وجهه معذبًا وهو يكمل: "ماذا لو كان سكوتي قادرًا على رؤيتنا ونحن نعاملك بهذا الشكل؟".

سالت دمعة على خده، دمعة وحيدة، ثم قال: "يقتلني أنني كنت جزءًا من كل شيء كان يمزقك طوال هذه السنوات، وأنا آسف يا كينا.. أنا آسف جدًّا..".

وضعت يدي على صدره، تمامًا فوق قلبه، وقلت: "اصمت.. ما كتبته لا يغير شيئًا؛ لا يزال موته خطئي".

- هذا ليس مقبولًا، لا شيء من هذا صحيح.

ضمني بين ذراعيه وألصق وجنته بجبهتي، ومسد برفق ظهري بيده. ظللنا هكذا لفترة طويلة، لم أرد أن يتركني، إنه أول شخص أتمكن من مشاركة تفاصيل تلك الليلة معه، لا أعرف إن كان هذا سيجعل الأمور أفضل أم أسوأ، لكن شعوري كان أفضل، ربما يعني هذا شيئًا، شعرت كأن ثقلًا ما انزاح من على صدري، ليس الثقل الذي يبقيني كأنني غارقة أسفل الماء، هذا لن ينزاح عن صدري إلا عندما أقابل ابنتي، لكن جزءًا صغيرًا من ألمي علق بتعاطفه، بدا كأنه يرفعني إلى أعلى، بضعة إنشات لأتمكن من التنفس.

بعد قليل أرجعني إلى الخلف بما يكفي ليتأمل وجهي، ضغط بشفتيه جبهتي بقبلة ناعمة، بينما يخلل أصابعه في شعري بحنان، قبَّل طرف أنفي ثم قبَّل شفتيَّ قُبلًا سريعة خفيفة.

لا أعتقد أنه توقع مني أن أقبِّله مرة أخرى، لكني شعرت بأنني أرغب في ذلك أكثر من أي وقتٍ مضى، قبضت على قميصه واستجديت شفتيه لقبلة أعمق، قبَّلني بهدوء، قبلاته بدت كأنها مغفرة ووعود، تخيلت قبلاتي بالنسبة إليه مثل اعتذار، لأنه ظل يقبِّلني بنهمٍ كأنه لا يستطيع الاكتفاء.

انتهى بي الأمر راقدة على ظهري فوق مقعدي شاحنته، بينما يحوم هو فوقي، شفتانا مندمجتان في قبلة طويلة، وبينما نحن في خضم ذلك، وأنفاسنا تغيِّم زجاج النوافذ، أبعد شفتيه عن رقبتي، ونظر لجزء من الثانية إلى عيني، نظرة سريعة مثل ومضة، لكني فهمت أنه يطلب مني الإذن بالمزيد، لذا أومأت برأسي ففتح تابلوه السيارة والتقط واقيًا ذكريًّا وبدأ في فتحه بأسنانه، مستندًا بمرفقه إلى ذراعٍ واحدة.

اغتنمت هذه الفرصة لأخلع سروالي الداخلي وأعقد تنورتي الطويلة حول خصري. فتح العبوة، لكنه توقف لثوانٍ وهو يحدق إليَّ بصمتٍ، ثم رمى الواقي الذكري جانبًا وضغط نفسه عليَّ، قبَّلني قبلة ناعمة على شفتيَّ، غمرني بأنفاسه الساخنة وهو يقول: "أنت تستحقين فراشًا".

خللت أصابعي في شعره، وسألته: "ليس لديك سرير هنا؟".

هزَّ رأسه نافيًا..

- ولا حتى مرتبة قابلة للنفخ؟

- كانت أول مرتين لنا على مرتبة قابلة للنفخ، أنت تستحقين سريرًا حقيقيًا، ولا، ليس لدي أي منهما هنا".

- ماذا عن أرجوحة شبكية؟

ابتسم وهو يهز رأسه نافيًا..

- سجادة يوجا؟ ليس من الصعب إرضائي..

ضحك وقبَّل ذقني.

- توقفي عن ذلك، أو سننتهي هنا في هذه الشاحنة.

لففت ساقيَّ حول خصره، وقلت: "وماذا في ذلك؟".

تأوَّه وهو يدفس رأسه في رقبتي، فرفعت فخذيَّ ليعلن استسلامه، أمسك بالواقي الذكري وانتهى من فتحه، بينما فككت أنا أزرار سرواله الجينز.

أحكم وضع الواقي ثم سحبني إلى حافة المقعد، لشاحنته الارتفاع المثالي لممارسة الجنس، لا نبذل جهدنا لنتموضع جيدًا، يمسك فقط بفخذيَّ ويلجني بسهولة. على الرغم من أنها ليست سريرًا حقيقيًا فإننا مارسنا الحب بشكلٍ رائعٍ تمامًا كما فعلنا ليلة أمس.

الفصل الخامس والثلاثون

ليدجر

لا أعرف كيف قويت على الابتعاد عنها لأصلح الأرضية، ظننتُ أنها ستجلس وتراقبني وأنا أعمل، أو تكتب في دفترها، لكنها بمجرد أن أخبرتها أنني في حاجة إلى إنهاء بعض الأعمال، عرضت عليَّ أن تساعدني.

عملنا لنحو ثلاث ساعات، أخذنا استراحات قصيرة خلالها لنشرب شيئًا، ونتبادل القبل، لكننا ركبنا معظم أرضية غرفة المعيشة، كان من المفترض أن ننهي العمل الآن لو لم تكن ترتدي ذلك القميص وتلك التنورة، كانت تحبو على الأرض وتساعدني في تركيب الأرضية في مكانها، وكلما نظرت إليها أمكنني رؤية ما تحت قميصها، كنت مشتتًا جدًّا، من حسن الحظ أنني لم أجرح نفسي.

لم نناقش شيئًا واحدًا مهمًّا منذ أن غادرنا الشاحنة، كأننا تركنا كل الأشياء المهمة داخلها، واخترنا ألا نحمل داخلنا أي شيء ذي قيمة معنا إلى المنزل.

مررنا بيوم ثقيل، أفعل كل ما في وسعي للتخفيف من ثقله، كلانا يبذل كل ما في وسعه من أجل ذلك، لم أفتح موضوع الرسالة منذ أن دخلنا المنزل، ولم تذكر أمر الإنذار القضائي، لم آتِ على ذكر عيد

الأم تحت هذا السقف، ولم نتحدث عما تعنيه علاقتنا الجديدة، أو كيف سنتعامل مع ذلك، أعتقد أن كلينا يعرف أن الحديث بيننا سيأتي لا محالة، لكننا لم نرد شيئًا وقتها سوى أن نشعر بالسعادة معًا فقط.

أعتقد أنني وكينا كنَّا في حاجة إلى ما حدث اليوم، وربما كانت كينا في حاجة إلى ذلك أكثر مني، فهي تبدو دومًا كأنها تحمل ثقل العالم كله فوق كتفيها، لكنها اليوم تبدو محلقة، كأن الجاذبية تقف عاجزة أمام خفتها.

ابتسمتْ وضحكتْ خلال الساعات القليلة الماضية أكثر من كل المرات التي رأيتها فيها منذ الليلة التي قابلتها فيها، جعلني هذا أتساءل إن كنت جزءًا كبيرًا من الثقل الذي تحمله.

ثبَّتت كينا قطعة من الخشب في الأرضية ثم التقطت زجاجة مياه، رأتني وأنا أحدق إلى صدرها فضحكت قائلة: "حتمًا تجد صعوبة في النظر إلى عينيَّ الآن".

- أعتقد أنني مهووس بقميصكِ.

كانت ترتدي القمصان القطنية عادة، لكن هذا القميص بالتحديد مصنوع من خامة ناعمة تلتصق بجسدها، والآن بعد أن عملت لمدة ثلاث ساعات، التصق القميص أكثر بكل موضع متعرق في جسدها، هذا القميص جميل جدًّا.

ضحكتْ، أردت أن أقبِّلها ثانية، حبوت نحوها، وحين وصلت إليها، ضغطتُ بشفتيَّ شفتيها لدرجة أنها سقطت إلى الخلف على الأرض، قبَّلتها وهي غارقة في الضحك، حتى اعتليتها، أكره أنني ليس

لديَّ أثاث، وأن الحال ينتهي بنا على هذه الأرضية الصلبة التي نركبها، رغم أن هذا الوضع جميل، لكني مستعدٌّ لفعل أي شيء من أجل أن أقبِّلها ونحن مستلقيان على شيء مريح، شيء بنعومة شفتيها.

همست قائلة: "لن ننتهي أبدًا من هذه الأرضية".

اللعنة على الأرضيات، تبادلنا القبل لبضع دقائق، ننضغط داخل بعضنا أكثر، ونتذوق بعضنا بقوة وفوضى، حتى انتهى الحال بقميصها الذي أحبه كثيرًا ملقيًا على الأرض في مكان ما بجوارنا، أنا الآن مهووس بحمالة صدرها.

كنت أقبِّل صدرها من فوق الحمالة حين همست قائلة: "أنا خائفة".

كانت تضع يدها على شعري، ولم تبعدها حتى بعد أن رفعت رأسي حتى أنظر في عينيها.

- ماذا لو اكتشفا أمرنا قبل أن تُتاح لنا الفرصة لإخبارهما؟ كيف سنبدو أمامهما؟

لا أريدها أن تفكر بهذا الشكل بينما نحظى بيوم رائع، كما أنهما خارج المدينة، لذا لا جدوى من التفكير حتى يعودا، طبعت قبلة مطمئنة على جبينها، وقلت لها: "القلق لن يحسن الوضع، هما خارج المدينة الآن، وما سيحدث سيحدث لا محالة سواء تبادلنا القبل الآن أم لا".

ابتسمت حين قلت ذلك، وعلقت: "وجهة نظر جيدة".

لفَّت يديها حول رقبتي وشدتني مرة أخرى نحو شفتيها، اقتربت منها وهمست قائلًا: "ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث إذا خبأتك للأبد؟ رأيتِ خزانة ملابسي يا كينا، هي كبيرة وستحبين الجلوس داخلها".

ضحكت، فاستطردت قائلًا: "يمكن أن أضع لكِ داخلها ثلاجة صغيرة وتلفزيون، وحين يأتون لزيارتي، تدخلين الخزانة وتتظاهرين بأنكِ في عطلة".

- كم أنت فظيع لتمزح بشأن ذلك.

قالتها وهي تضحك، قبَّلتها حتى توقفنا عن الضحك، نهضت من فوقها، استلقيت بجوارها، وملت نحوها، كانت تلك المرة الأولى التي ينظر فيها أحدنا إلى الآخر من دون أن نشعر أن علينا أن نشيح ببصرنا بعيدًا، يا لها من جميلة، لكني لم أقل ذلك بصوتٍ عالٍ، لأني لم أرد التقليل من قيمة كل تفاصيلها الرائعة بإبداء إعجابي بجمال وجهها فقط، لم أرد أن ينتقص ذلك من ذكائها وحنانها وقوتها وامتلائها بالحياة.

أبعدت بصري عن وجهها الرائع، وحدقت إلى شق صدرها حتى سرت القشعريرة بجلدها، قلت: "يجب أن أنهي الأرضية".

مررت يدي على صدرها ثم ضغطت عليه برفقٍ مستطردًا: "كفي عن تشتيتي، وارتدي قميصك".

ضحكت، في تلك اللحظة سمعت أحدهم يتنحنح، فاعتدلت في جلستي بسرعة لأداري كينا، حتى لا يراها أيًّا كان هذا الذي في منزلي، رفعت بصري فوجدت والديَّ واقفين عند مدخل الغرفة، ينظران

إلى السقف، ابتعدت كينا في الحال عني والتقطت قميصها من على الأرض.

- يا إلهي، من هؤلاء؟

غمغمت قائلًا: "والديَّ".

أقسم أن إحراجي هو هوايتهما المفضلة، رفعت صوتي حتى يسمعاني: "كم كان سيكون لطيفًا لو نبهتماني أنكما ستأتيان اليوم!".

ساعدت كينا على الوقوف، بينما ينظر والداي إلى كل شيء حولهما فيما عدانا، بينما أساعد كينا على ارتداء قميصها، قال أبي: "تنحنحت حين دخلنا، ماذا نفعل لننبهك أكثر من ذلك؟".

لم أشعر بالخجل مثلما يُفترض بي، ربما صارت لديَّ مناعة ضد مقالبهما، لكن كينا ليس لديها تلك المناعة للتعامل مع ذلك، ارتدت ملابسها ووقفت خلفي، أشار أبي نحو الأرضية قائلًا: "يبدو أنكما أحرزتما الكثير من التقدم...على الأرضية".

قالت أمي مبتهجة، بينما تخبأ كينا وجهها بين ذراعي: "من صديقتك يا ليدجر؟".

كانت أمي مبتسمة، هي تملك ابتسامات مختلفة، وابتسامتها لا تعني دومًا شيئًا لطيفًا، لكن هذه الابتسامة ابتسامة سعادة، كانت مبتهجة للغاية.

- "هذه...إمممم..".

لم أعرف كيف أقدم كينا إليهما، لم أعرف حتى بأي اسم أقدمها إليهما، سوف يتعرفان عليها بالتأكيد إذا قلت كينا، لكني لست متأكدًا إذا ما كانا لم يتعرَّفا على وجهها، لذا لا جدوى من الكذب عليهما، فقلت لهما: "هذه..موظفتي الجديدة".

كنت في حاجة إلى سؤال كينا كيف تريدني أن أتعامل مع هذا الموقف، لففت ذراعي حول كتفها، وقدتها نحو غرفة النوم، وقلت من دون أن أنظر إليهما: "اعذرانا، يجب أن نذهب لنتفق على كذبة".

دخلنا أنا وكينا إلى غرفة النوم، بعيدًا عن مجالي بصريهما، نظرت إليَّ بعينين متسعتين، وقالت هامسة: "لا يمكنك أن تخبرهما من أكون".

- لا أستطيع أن أكذب عليهما، من المحتمل أن تتعرَّف والدتي عليكِ بمجرد أن تدقق النظر إليكِ، حضرت جلسة الحكم عليكِ، ولن تنسى وجهكِ أبدًا، كما أنها تعلم بعودتك إلى المدينة.

انكمشت كينا على نفسها، وبدأت بالتجول في الغرفة، شعرتُ أن ثقل العالم بدأ يحط على كتفيها ثانية، نظرت إليَّ والخوف في عينيها وسألتني: "هل يكرهانني؟".

وخز سؤالها قلبي، خاصة وأنها بدأت في البكاء، أدركت في هذه اللحظة فقط أنها تفترض أن كل من كان يعرف سكوتي يكرهها، أجبتها: "لا، هما لا يكرهانكِ طبعًا".

كنت أعرف وأنا أقول تلك الكلمات أنني لست متأكدًا مما إذا كانت حقيقية أم لا، فقد تحطم قلب والديَّ عندما مات سكوتي، كانت معزته بالنسبة إليهما مثل معزتي لدى باتريك وجريس، لكني لست متأكدًا مما إذا كنت تحدثت إلى والديَّ حول رأيهما في كينا، مضى على الأمر أكثر من خمس سنوات، ولا أستطيع تذكر ما تحدثنا به، أو ماذا كان رأيهما فيما حدث، بالكاد تحدثنا عن ذلك.

كانت كينا تعرف أني أفكر في الأمر، قالت لي وقد زاد خوفها: "هل يمكنك أن توصلني إلى المنزل فقط، يمكن أن أتسلل من الخلف، وألقاك في الشاحنة".

لم تكن كينا تدرك من هما والداي، فسواء عرفا من تكون أو لم يعرفا، فليس عليها أن تقلق، أحطت وجهها بيدي: "هما والداي يا كينا، وحتى لو تعرَّفا عليكِ، فسوف يساندانني بغض النظر عن أي شيء".

هدَّأتها كلماتي قليلًا، فاستطردت قائلًا: "سأقدمكِ إليهما الآن باسم نيكول، وسأوصلكِ بعدها إلى المنزل، وأخبرهما بالحقيقة فيما بعد، إنهما طيبان مثلكِ، موافقة؟".

أومأت برأسِها، فقبَّلتها قبلة سريعة، وأمسكت يدها واصطحبتها إلى خارج الغرفة، كان والداي في المطبخ يتفقدان كل الأشياء التي أضفيناها أنا ورومان منذ كانا هنا آخر مرة، حين لاحظا عودتنا، اتَّكآ على النُضد، مترقبين أن أقدمها إليهما.

أشرت بيدي نحو كينا: "هذه نيكول، ثم أشرت بيدي نحو والديَّ: هذه أمي روبين، وهذا أبي بينجي.

ابتسمت كينا وصافحتهما، لكنها تراجعت إلى الخلف لتقف بجواري ثانية، كأنها خافت أن تبتعد عني كثيرًا، أمسكتُ بيدها وأرجعتها إلى خلف ظهرها، وضغطتها لأشعرها ببعض الأمان.

قالت أمي: "مفاجأة سارة ألا تكون وحدك، ظننا أنك ستأتي إلى هنا اليوم وتجلس وحدك حزينًا".

خشيت أن أسألها ولِمَ سأكون حزينًا، ضحكت والدتي واستدارت نحو والدي قائلة: "أنت مدين لي بعشرة دولارات يا بنيامين".

فردت يدها أمامه، فأخرج أبي محفظته ووضع في كفِّها ورقة نقدية من فئة العشرة دولارات، أدخلتها في جيب سروالها الجينز مضيفة: "تراهنا على تذكرك بأنك من المفترض أن تبدأ شهر العسل اليوم".

- ليس غريبًا عليكما؟ أيكما راهن أنني سأنسى يوم عيد الأم؟

رفعت أمي يدها.

- لم أنس ذلك، أفحصي بريدكِ، أرسلت إليكِ بطاقة هدايا، لأني لم أعرف أين أرسل الزهور هذا الأسبوع.

أخرجت أمي العشرة دولارات من جيبها، وأرجعتها إلى أبي، ثم مشت نحوي، وعانقتني: "شكرًا لك".

لم تنظر إلى كينا، نظرت بينما تعانقني إلى باب الفناء، وقالت: "أوه، واو، يبدو أفضل مما تخيلت!".

أفلتتني وذهبت لتلعب بالباب الذي يشبه آلة الأكورديون، بينما ظل تركيز أبي منصبًا عليَّ وعلى كينا، كنت أعرف أنه سيحاول أن يكون مهذبًا ويشركها معنا في الحديث، لكني أعرف مدى رغبتها الآن في أن يتم تجاهلها، فقلت: "يجب أن تعود نيكول إلى العمل"، صمت لحظة، ثم أكملت: "يجب أن أوصلها، وبعدها يمكن أن أقابلكما في المنزل".

تأفَّفت أمي قائلة: "وصلنا إلى هنا للتوِ، أريد أن أرى كل ما قمتَ به".

بينما واصل أبي النظر إلى نيكول، وسألها: "ماذا تشتغلين يا نيكول؟ إلى جانب..." أشار بيده نحوي مكملًا: "إلى جانب اشتغال ليدجر..".

شهقت كينا بصوتٍ خافتٍ، ثم قالت: "أوه، حسنًا، أنا لا.. أنا لا أشتغل ليدجر".

ضغطت يدها ثانية، وقلت لأن ليس هذا ما عناه أبي: "أعتقد أنه قصد ماذا تعملين بجانب عملكِ معي".

نظرت إليَّ وبدا عليها عدم الفهم، فأكملتُ: "لأني قلت في وقتٍ سابقٍ إنكِ موظفة لديَّ، لكن بعد ذلك كذبتُ وقلت إن عليكِ الذهاب إلى العمل، وهما يعلمان أن حانتي تكون مغلقة يوم الأحد، لذا فهو يفترض أن لديكِ عملًا آخر بجانب عملكِ في الحانة، فسألكِ ماذا تفعلين بجانب ذلك..

زاد ما قلته الأمور سوءًا، لأنني لم أنتبه إلى أن والديَّ استطاعا سماع تلك المحادثة، وبدا أنهما مستمتعان بذلك إلى أقصى حدِّ.

عادت أمي لتقف بجوار أبي، كانت مبتسمة في سعادة، فقالت كينا متوسلة: "خذني إلى المنزل".

أومأت برأسي: "أجل، هذا تعذيب".

قالت أمي: "لكني مستمتعة بذلك، أعتقد أن هذا قد يكون أفضل عيد أم مرَّ عليَّ حتى الآن".

أكمل أبي: "ونحن اللذان حملنا هَمَّ بقائه وحيدًا يفكر في زفافه المُلغى، بماذا سيفاجئنا برأيك في عيد الأب؟".

- لا أعرف حقًّا.

- أنتما تحرجانني، أنا على وشك أن أبلغ الثلاثين، متى تكفَّان عن ذلك؟

- تبلغ ثمانية وعشرين عامًا، ذلك ليس ثلاثين تقريبًا، تسعة وعشرون عامًا هي التي يمكن القول عندها إنك تكاد تتم الثلاثين.

- "لنذهب" قلت لكينا.

- "لا، اجلبها معك إلى العشاء" قالت أمي بتوسل.

- "ليست جائعة" قلتُ وأنا أصحب كينا لنغادر، وأكملت: "سوف أقابلكما في المنزل".

كنَّا قد وصلنا إلى الشاحنة حين أدركت ما يعنيه ترك والديَّ وحدهما في المنزل، توقَّفتُ وقلت لها: "سأعود في الحال"، أشرت إلى الشاحنة حتى تمضي كينا إليها وتركبها من دوني، واستدرت عائدًا إلى المنزل، وقفت عند المدخل، وقلت لهما: "لا تمارسا الجنس في منزلي".

فقال أبي: "أوه، بالله عليك، لن نفعل ذلك أبدًا".

- أنا جاد، هذا منزلي الجديد، وستصيبني اللعنة إذا قمتما بذلك.

- "لن نفعل" قالت أمي بحزم، فأكمل أبي: "نحن عجوزان، عجوزان جدًّا، ابننا في الثلاثين تقريبًا".

تراجعت إلى الخلف، وقلت لهما: "اخرجا، ارحلا، لا أثق بكليكما".

انتظرتهما حتى تبعاني إلى الخارج، ثم أغلقت الباب الأمامي، أشرت نحو سيارتهما: "سأقابلكما في المنزل".

مشيت إلى شاحنتي، متجاهلًا ثرثرتهما، انتظرت حتى غادرا، تنهدنا أنا وكينا في نفس الوقت، أعرف أنه يصعب تحملهما في بعض الأحيان.

- واو، كانا...مثلما توقعتهما تمامًا.

نظرت إليها، فابتسمتْ قائلة: "كان ذلك محرجًا، أحببتهما، لكني ما زلت لا أريد تناول العشاء معهما".

لا ألومها على ذلك، رجعت بالشاحنة إلى الخلف، وأشرت إليها لتجلس في منتصف المقعد، فبعد أن حطمنا كل الحدود التي كانت تفصلنا، أريدها أن تكون قريبة مني جدًّا، اقتربت مني حتى أصبحت بجواري تمامًا، وضعت يدي على ركبتها وأنا أقود السيارة إلى خارج المنزل، فقالت: "أنت تفعل ذلك كثيرًا".

- أفعل ماذا؟

- تشير إليَّ آمرًا بيدك، تلك فظاظة.

بدت سعيدة وليست مستاءة، فقلت: "لكني لا أشير إليكِ بيدي طوال الوقت".

- بلى، لاحظت ذلك منذ أول ليلة دخلت فيها إلى حانتك، لهذا تركتك تقبِّلني، لأن طريقتك في الإشارة إلى الأشياء بدت مثيرة بالنسبة إليَّ.

ابتسمت قائلًا: "قلتِ للتوِّ إن تلك فظاظة، هل تثيرك الفظاظة؟".

- لا، أعتقد أن اللطف مثيرٌ، ربما أخطأت التعبير حين قلت فظاظة.

أمالت رأسها على كتفي، وأكملت: "تثيرني طريقتك في الإشارة بيدك".

- فعلًا؟

أبعدتُ يدي عن ركبتها، وأشرت إلى صندوق البريد: "هل ترين هذا الصندوق؟"، ثم أشرت إلى الشجرة: "انظري إلى هذه الشجرة".

ضغطت الفرامل حين اقتربنا من لافتة توقف، أشرت إليها: "انظري إلى ذلك يا كينا، ما هذا؟ هل هذه حمامة لعينة؟".

أمالت رأسها، ونظرت إليَّ بدهشة، قالت حينما توقفت عند اللافتة: "كان سكوتي يقول ذلك أحيانًا، ماذا تعني تلك الجملة؟".

هززت رأسي، كانت مجرد جملة اعتاد أن يقولها، باتريك هو الشخص الوحيد الذي يعرف أصل هذه الجملة، ورغم أنه لا يوجد سرٌّ كبيرٌ أو قصة وراءها، ولكنني ما زلت أود ترديدها.

لم تضغط كينا عليَّ، اقتربت مني وقبَّلتني، قبل أن أقود السيارة، كانت مبتسمة، فرحت حين رأيت ابتسامتها، عاودت النظر إلى الطريق، ووضعت يدي على ركبتها ثانية، سندت رأسها إلى كتفي، قالت بعد لحظة صمت: "أتمنى لو كنت رأيتك مع سكوتي، أراهن أنكما كنتما مرحين معًا".

أحببت أنها اعترفت بذلك، من الجيد أن أسمع ذلك، لأنه يجب علينا جميعًا في لحظة ما أن نتقبَّل حقيقة موت سكوتي والطريقة التي مات بها، أعتقد أنني وصلت إلى مرحلة أنني أريد أن تكون ذكراه مصحوبة بمشاعر جميلة فقط، أريد أن أكون قادرًا على الحديث عنه مع الآخرين، خاصة مع والده، لكن بطريقة لا تجعل باتريك يبكي.

كلنا نعرف سكوتي، لكن كلًّا منَّا يعرفه بشكلٍ مختلفٍ، كلنا نحمل ذكريات مختلفة عنه، أعتقد أن من الجيد أن يسمع باتريك وجريس ذكريات كينا عن سكوتي التي لا يعرفها أي منَّا. قلت لكينا: "وأنا أيضًا أتمنى لو كنت رأيتك مع سكوتي".

قبّلت كينا كتفي ثم أراحت رأسها عليه، حلّ الصمت لحظات حتى قطعته وأنا أشير بيدي إلى شاب يقود دراجة: "انظري إلى هذه الدراجة.." ثم أشرت إلى محطة بنزين على جانب الطريق: "انظري إلى مضخات البنزين.." ثم أشرت إلى سحابة: "انظري إلى هذه السحابة..".

ضحكت كينا ضحكة مختلطة بزمجرة، وقالت: "كفى.. لم تعُد مثيرًا.. أفسدت الأمر بالنسبة إليَّ".

***

تركتُ كينا في شقتها منذ ساعتين، ربما استغرقت خمس عشرة دقيقة في تقبيلها مودعًا قبل أن أعود مضطرًا إلى شاحنتي، لم أرد المغادرة، أردتُ قضاء الليلة معها، ولكن والديَّ اللذين لا يؤمنان بالمواعيد يظهران دائمًا في أسوأ الأوقات.

على الأقل وصلا هذه المرة في منتصف اليوم، ذات يوم حضرا فجأة في الساعة الثالثة صباحًا، لأستيقظ على صوت أبي وهو يقيم حفلة شواء في الفناء الخلفي.

أعدَّ والدي شرائح البرجر وتناولنا العشاء معًا، انتظرت طوال العشاء أن يسألاني عن كينا أو نيكول، لكنهما لم يفعلا، كل ما تحدثنا عنه على العشاء آخر مغامراتهما على الطريق وأحدث مغامراتي مع ديم.

لقد شعرا بخيبة أمل لمعرفة أن ديم وباتريك وجريس غادروا البلدة، اقترحتُ عليهما أن يتصلا في المرة القادمة التي يشعران فيها بالرغبة في زيارتي، سيجعل هذا الأمر أسهل علينا جميعًا.

كان والداي دائمًا صديقين لوالديْ سكوتي، لكن والديَّ أصغر سنًّا لأن باتريك وجريس أنجبا سكوتي في سنٍّ متقدم، ربما لذلك هما أكثر نضجًا من والديَّ، لا أقصد أن والديَّ غير ناضجين، لكنهما أكثر تحررًا وفوضوية، وعلى الرغم من ذلك فالأربعة تربطهم علاقة قوية بسبب صداقتي بسكوتي.

ولأن ديم هي ابنتي الروحية، فقد كانت بمنزلة حفيدة لوالديَّ، ما يعني أن ديم مهمة بالنسبة إليهما، وأنهما يريدان الأفضل لها.

لهذا السبب، بمجرد أن خرج أبي إلى الفناء الخلفي لتنظيف الشواية، حتى اقتربت أمي مني وهي تبتسم واحدة من ابتساماتها العديدة، ابتسامة تعني: أعرف أن لديك سرًّا، ومن الأفضل أن تعترف. حاولت تجاهلها مكملًا غسيل الصحون فقالت: "تحدث فورًا قبل أن يعود أبوك إلى الداخل".

جفَّفت يدي وجلست أمامها، نظرت إليَّ كما لو أنها تعرف كل شيء بالفعل. لن أتفاجأ، فأمي لا تنسى وجهًا أبدًا، لا أقول ذلك مجازًا، هي مثل ذاكرة متنقلة فعليًّا. قالت: "هل أخبرت باتريك وجريس؟".

تظاهرت بالغباء متسائلًا: "أخبرتهما بماذا؟".

رفعت رأسها، وقالت: "أنا أعرف من هي يا ليدجر، عرفتها منذ أن دخلت إلى الحانة أول مرة".

- ماذا؟ تلك الليلة؟ لقد كنتِ ثملة تمامًا!

الآن بعد أن فكرت في الأمر، أتذكرها تحدق إلى كينا فور دخولها إلى حانتي تلك الليلة، لماذا لم تقل شيئًا؟ لم تطرح الأمر حتى عندما تحدثت إليَّ على الهاتف بعد بضعة أيام، وأخبرتها أن كينا عادت إلى المدينة.

- لأنكَ أخبرتني في تلك المكالمة أنها ستغادر.

- هي بالفعل في طريقها إلى الرحيل.

قلتها وأنا أشعر بالذنب، لأنني أردت ألا يحدث ذلك، أو أن تكون شخصًا آخر غير مضطرٍ إلى الرحيل.. لم أعد أعرف..

- هل يعرف باتريك وجريس أنكما..؟

- لا.

زفرت أمي، وقالت: "ما هذا الذي تفعله؟ هذا لن ينتهي بشكلٍ جيدٍ..".

- أعرف ذلك.

- هل تحبها؟

التقطتُ أنفاسي بصعوبة، وقلت: "أنا بالتأكيد لا أكرهها".

- أي أنك تحبها.

أخذتْ رشفة من كأسها، وسكتت لحظة، ثم قالت: "ليدجر.. أتمنى أن تفعل الصواب..".

- ما هو الصواب برأيك؟

- لا أعرف، أنا فقط أتمنى أن تفعله.

أطلقت ضحكة قصيرة، وقلت: "شكرًا على لا شيء".

- العفو.. هذا دوري كأم..

ابتسمت ومالت نحوي عبر نُضد المطبخ لتمسك يدي: "أعلم أنك تفضِل أن تكون معها الآن، لا نمانع إذا تخليت عنَّا الليلة".

ترددت لحظة، ليس لأنني لا أود الذهاب إلى كينا، لكن لأني فوجئت أن أمي على ما يرام مع ذلك، حتى بعد أن عرفت من هي. سألتها بعد لحظات صمت: "هل تلومين كينا؟".

نظرت إليَّ أمي بعينين صادقتين، وقالت: "سكوتي ليس ابني، لذا تعاطفت مع الجميع في هذه القضية، لكن لو كنت أنت مكانه، لا أستطيع أن أقول بأنني سأتخذ موقفًا مغايرًا لموقف باتريك وجريس. أعتقد أن هناك مساحة في هذه المأساة تسمح للجميع أن يكونوا على صوابٍ أو خطأ، ومع ذلك، أنا أمك، إذا كنت ترى فيها شيئًا مميزًا، فأنا أُصدقك".

ظللت مكاني للحظات، لكن بعد ذلك نهضت لألتقط مفاتيحي وهاتفي، ثم قبَّلتها على خدها، سألتها: "هل سأراك غدًا؟".

- نعم، سنبقى يومين أو ثلاثة أيام، سأخبر والدك أنك تتمنى له ليلة سعيدة.

الفصل السادس والثلاثون

كينا

كنتُ في الحمام عندما سمعت طرقًا على الباب، قلقت لأن الخبط استمر سريعًا وعاليًا، لا تطرق ليدي ديانا بابي بهذا الشكل، وهي الشخص الوحيد الذي يزورني عدا ليدجر.

كنتُ قد غسلتُ شعري لتوّي، لذا فتحت باب الحمام وصحت: انتظر!، ثم حاولتُ أن أجفف شعري بالمنشفة بسرعة قدر استطاعتي حتى لا أسقط قطرات الماء على الأرض وأنا في طريقي إلى الباب.

ارتديت قميصًا وسروالًا داخليًا، ثم أمسكت بنطلوني الجينز وتوجهت إلى الباب للتحقق من الطارق، رأيت عبر العين السحرية أنه ليدجر ففتحت، بدا سعيدًا بينما يشق طريقه إلى الداخل لأنني لا أرتدي ملابسي بالكامل فابتسمت قائلة: "هل تخليت عن والديك؟".

جذبني نحوه وقبّلني، كأنه لم يرني منذ أسابيع وليس منذ ثلاث ساعات. قال وهو يدس وجهه في شعري المبتل: "رائحتك جميلة".

أنزل يديه إلى أسفل فخذي ثم رفعني ولفَّ ساقيَّ حول خصره، وسار بي إلى الأريكة حتى سقطنا معًا فوقها، فقلتُ محاولة إثارة غيظه: "هذا ليس سريرًا".

عضَّ شفتي السفلى بأسنانه قائلًا: "لا بأس، أنا لست متطلبًا كما حاولت أن أكون اليوم، سأمارس الجنس في أي مكان الآن".

- إذا كان الأمر كذلك فاحملني إلى المرتبة، لأن هذه الأريكة لن تتحمَّلنا.

لم يجادل، حملني وأسقطني على المرتبة، لكن بينما يقبِّل رقبتي، بدأت إيفي في المواء، ثم قفزت إلى المرتبة ولعقت يد ليدجر فتوقف عن تقبيلي، ونظر إليها قائلًا: "هذا محرجٌ".

- سأضعها في الحمام.

حملت القطة الصغيرة إلى الحمام، وأغلقت عليها الباب مع طعامها ومائها، عدت إلى ليدجر وانحنيت نحوه، اعتليته جالسة فوقه فمسد فخذيَّ بيديه بينما عيناه تفحصان وجهي وصدري. سألني: "هل ما زلت تشعرين بالرضا حيال هذا؟".

- حيال ماذا؟ علاقتنا؟

أومأ برأسه فقلتُ: "لن أرضى أبدًا عن علاقتنا، هذه العلاقة مقرفة".

أمسك مقدمة قميصي وجذبني نحوه حتى لامست شفتاي شفتيه بينما يعتصر بيده الأخرى مؤخرتي، وقال: "أنا لا أمزح".

ابتسمت، لأنه لا يمكن أن يتوقع مني أن أكون جادة بينما أعتليه بهذا الشكل، سألته: "هل تحاول إجراء محادثة جادة ونحن على هذا الوضع؟".

فقلبني على ظهري ليصبح هو فوقي، حام بشفتيه على وجهي، وقال: "أحضرت الواقي الذكري، أريد خلع ملابسك، أريد ممارسة الجنس معك مرة أخرى، لكني أشعر أيضًا أنني يجب أن أتحدث مع باتريك وجريس أولًا قبل أن تتطور الأمور أكثر من ذلك".

- إنه مجرد جنس!

تنهد وقال: "كينا!".

نطق باسمي كأنه على وشك إلقاء محاضرة، لكنه ضغط بشفتيه شفتيَّ بعد ذلك، شفتاه حلوتان وناعمتان ومختلفتان عن كل مرة قبَّلني فيها. كنت أفهم ما يريد قوله، لكني سئمت من كل هذا، سئمت من إجراء هذه المناقشات لأنني أرغب في عدم التفكير في الأمر لبعض الوقت. في كل مرة أكون معه، لا نتحدث سوى عن هذا الوضع، إنه أمرٌ شاقٌّ، ومخيفٌ أيضًا.

رفعت يدي إلى خده وأزحت ما ألتصق به من وبر الأريكة. وقلت: "هل تريد حقًّا أن تعرف بما أشعر؟".

- نعم.

- نحن نلف وندور في دوائر مفرغة، أنت تقلق ثم أنا أقلق، ثم أنت تقلق، القلق لن يحل الأمر، أشعر أن كل هذا لن ينتهي بشكلٍ جيدٍ، أو ربما تتحسن الأمور.. لا أعرف.. في كلتا الحالتين، أنا وأنت نحب أن نكون معًا، إذن، حتى ينتهي كل هذا بشكلٍ جيدٍ أو بشع، لا أريد أن نضيّع وقتنا في محاولة تخمين ماذا سيحدث، لا يمكننا التنبؤ بالمستقبل، لذا، من فضلك، جردني من ملابسي ومارس الحب معي.

ابتسم ليدجر، وهزَّ رأسه قائلًا: "كأنك تقرئين أفكاري".

ربما، لكن كل ما قلته بصوتٍ عالٍ ليس فعليًا ما أشعر به، أنا مرعوبة، أعلم في قلبي أن باتريك وجريس لن يغيِّرا رأيهما، ولديهما كل الحق، القرار الذي سيتخذانه هو القرار الصحيح لأنه القرار الذي سيجلب لهما السلام، وأنا سوف أحترم قرارهما.

بعد هذه الليلة..

لأن الليلة.. سأكون أنانية وأركز على الشخص الواحد في هذا العالم الذي يراني بالطريقة التي أتمنى أن يراني بها الجميع، وإذا كان ذلك يعني أنني يجب أن أكذب عليه وأتظاهر بأن هذه القصة يمكن أن تنتهي نهاية سعيدة، فسأفعل ذلك.

خلعت عنه قميصه، ثم خلعت قميصي، ثم سروالي، وفي غضون ثوان، كان كلانا عاريًا، بينما يضع ليدجر الواقي الذكري، بدا كأننا نسابق الزمن، نفعل كل شيء بسرعة، القُبل، اللمس، نلهث كما لو كنَّا خائفين أن ينفد وقتنا.

مرَّر شفتيه على كامل جسدي، من رأسي إلى بين ساقيَّ، قبَّل فخذيَّ من الداخل قبل أن يفصل بينهما بلسانه، شعرت بإثارة بالغة لدرجة أنني غرست كعبي قدميَّ في المرتبة وانزلقت إلى أسفل، فأمسك بفخذيَّ وسحب جسدي إلى فمه، وواصل لعق ما بين ساقيَّ فحاولت التمسك بأي شيء لكنني لم أجد شيئًا سوى شعره، خللت أصابعي بين خصلات شعره، وحركت جسمي مع إيقاع رأسه، لم يستغرق الأمر وقتًا حتى ارتعشت بين يديه، توترت ساقاي بينما زاد هو من حركة لسانه،

لم أعد قادرة على التحمل، تأوّهت وارتعشت، أريده داخلي الآن، فجذبته من شعره حتى زحف فوق جسدي، وولجني في حركة واحدة، ضغط نفسه داخلي بقوة مرارًا وتكرارًا حتى انتهينا بطريقة ما على الأرض بجانب المرتبة، متعرقين وغير قادرين على التقاط أنفاسنا.

انتقلنا إلى الحمام معًا، ظهري ملتصق بصدره، أحاط خصري بذراعيه بينما انهمر الماء علينا بهدوءٍ. فكرة تركه في مرحلة ما تجعلني أريد أن أبكي، لذا حاولت إقناع نفسي بأنني مخطئة بشأن عائلة لاندريس، حاولت أن أكذب على نفسي، وأقول إن الأمور ربما ستتحسن بيننا، ربما ليس غدًا، ربما ليس هذا الشهر، ربما ذات يوم سيغيّران رأيهما، ربما سيقول لهما ليدجر شيئًا يزرع بذرة الشك حول رأيهما فيّ، ثم تنمو بذرة الشك هذه لتتحول إلى شعور بالتعاطف من أجلي.

مهما حدث، سأكون دائمًا ممتنة له على غفرانه لي، سواء حصلت على الغفران من أي شخص آخر أم لا. استدرت وواجهته، ثم رفعت يدي ولمست خده، قلت: "كنت سأهواك حتى لو لم تكن تحب ديم".

تغيَّر التعبير على وجهه، قبّل كف يدي، وقال:"أنا أهواك بسبب مدى حبك لها".

اللعنة يا ليدجر..

قبّلته من أجل هذه الجملة..

الفصل السابع والثلاثون

ليدجر

كم هي مضحكة الحياة؛ كان من المفترض أن أستيقظ اليوم على ساحل المحيط في منتجع فخم بجوار زوجتي الجديدة، احتفالًا بشهر العسل، بدلًا من ذلك، استيقظت على مرتبة قابلة للنفخ في شقة قاحلة، بجوار امرأة قضيت سنوات عديدة غاضبًا عليها. إذا أراني منجِّمٌ هذه اللحظة في كرة بلورية العام الماضي، لم أكن لأصدق، كنت سأتساءل عما يمكن أن يحدث من شأنه أن يؤدي إلى كل تلك السلسلة من القرارات الرهيبة.

ولكن الآن بعد أن عشت بالفعل هذه اللحظة، أدركت أنني هنا لأنني أخيرًا بتُّ أرى بوضوحٍ كل شيء، لم أشعر مطلقًا بهذا اليقين بشأن أي من الخيارات التي اتخذتها في حياتي أكثر مما أفعل اليوم.

لا أريد أن تستيقظ كينا بعد، تبدو مسالمة، وأنا في حاجة إلى لحظة لوضع خطة لهذا اليوم، أريد مواجهة الأمر حالًا، وليس في أي وقتٍ لاحقٍ.

أعترف أنني خائفٌ مما ستكون عليه النتيجة، لذلك يريد جزءٌ كبيرٌ مني أن ننتظر أسبوعين حتى نتمكن أنا وكينا من العيش في نعيم سري على أمل أن تتحسن الأمور وحدها، ولكن كلما طال انتظارنا،

ساء الوضع أكثر، آخر شيء أريده هو أن يكتشف باتريك وجريس أنني كذبت عليهما قبل أن أتمكن من مواجهتهما بهدوء بأفكاري.

حرَّكت كينا ذراعها لتغطية عينيها ثم انقلبت على جانبها وهي تتأوه، يا لها من لحظة مشرقة، وجهها وصوتها المثير الخشن. مسدتُ يدي على خصرها ثم فخذها، ثم أمسكت بساقها وسحبتها فوقي، قبَّلت خدها وسألتها: "هل نمت جيدًا؟".

ضحكت وهي تدس رأسها في التجويف بين رقبتي وكتفي وأجابتني: "نمت جيدًا؟ لقد مارسنا الجنس ثلاث مرات ثم اضطررنا إلى النوم متجاورين على مرتبة صغيرة، أعتقد أنني نمت ساعة".

- إنها التاسعة الآن، لقد نمتِ أكثر من ساعة.

جلست كينا وصاحت: "ماذا؟ اعتقدت أنها الثامنة.. يا للقرف، كان من المفترض أن أكون في العمل بحلول التاسعة".

قذفت الأغطية جانبًا ونهضت بسرعة، فصحت وأنا أنهض بدوري لأبحث عن ملابسي: "سأوصلك".

وجدت القميص ملتفًّا حول قطة كينا النائمة، فرفعتها ووضعتها على الأريكة ثم بدأت في ارتداء سروالي، كانت كينا قد تركت باب الحمام مفتوحًا وهي تفرش أسنانها عارية تمامًا، فتجمدت في منتصف ارتدائي لملابسي وحدقت إلى مؤخرتها الرائعة، رأتني في المرآة فضحكت، وأغلقت باب الحمام بقدمها صائحة: "ارتدِ ملابسك!".

انتهيت من ارتداء ملابسي، ثم انضممت إليها في الحمام لأغسل أسناني، تحركت جانبًا لتترك لي بعض المساحة وهي تمضمض فمها،

بدأت في عصر بعض من معجون أسنانها على إصبعي ففتحتْ درجًا وأخرجتْ منه فرشاة أسنان جديدة قائلة: "خذ هذه، لقد اشتريت علبة مزدوجة".

التقينا أخيرًا عند باب الشقة، فسألتها وأنا أجذبها إليَّ: "في أي ساعة تنتهين من عملك؟".

رائحتها مثل النعناع الطازج، قبَّلتها وهي تجيبني:"في الخامسة ما لم أطرد قبل ذلك".

قبَّلتها ثانية، فتمتمت دون أن تبعد شفتيها تمامًا عن شفتيَّ: "ليدجر، يجب أن نذهب". لكنها قبَّلتني مرة أخرى قبل أن نغادر.

وصلنا إلى محل عملها في العاشرة إلا الربع، تأخرت خمسًا وأربعين دقيقة، ولكن في الوقت الذي انتهينا فيه من توديع بعضنا كانت قد تأخرت خمسين دقيقة.

قلت قبل أن تغلق بابها: "سأكون هنا في الخامسة".

- أنت غير مضطرٍّ إلى إيصالي لمجرد أننا نتواعد.

- كنت أوصلك من قبل حتى أن نتواعد.

أغلقت الباب لكنها اقتربت من نافذتي ومالت لتقبِّلني مرة أخيرة، عندما تراجعت، توقفت للحظة وبدا كأنها تريد أن تقول شيئًا، لكنها لم تنطق، حدقت إليَّ بصمتٍ لبضع ثوانٍ، كأن شيئًا ما على طرف لسانها، لكنها تراجعت وهرولت إلى المتجر.

كنت على بُعد ميل من منزلي عندما أدركت أن ابتسامة سخيفة ظلَّت مرتسمة على وجهي طوال فترة القيادة، محوتها سريعًا، لكنها كانت من النوع الذي يظهر مرة أخرى كلما فكرت في كينا، وكانت هي كل ما أفكر فيه.

وجدت مقطورة والديَّ تشغل الممر بأكمله أمام المنزل، فأوقفت سيارتي خلفها. لقد عاد جريس وباتريك بالفعل، رأيت باتريك في الخارج يسقي فناء منزله، بينما تجلس ديم في ممر المنزل ومعها دلو من الطباشير.

أجبرت نفسي على محو الابتسامة من على وجهي كأنها دليلٌ على خيانتي لباتريك، ليس كأنه سيفهم منها ما كنت أفعله طوال الأربع وعشرين ساعة الماضية، لكنه يعرفني جيدًا لدرجة أنه سيفهم أن ابتسامتي سببها امرأة، وسيبدأ في طرح الأسئلة، وسأضطر إلى الكذب أكثر.

لمحتني ديم وأنا أغلق باب شاحنتي، فصاحت: "ليدجر!".

ركضت نحوى فهرعت لألقاها في منتصف الشارع، حملتها ومنحتها عناقًا طويلًا: "هل استمتعت في منزل الجدة؟".

- نعم، ووجدنا سلحفاة، سمحت لي نونو بالاحتفاظ به، إنه في غرفتي في صندوق زجاجي.

- أريد أن أراه.

أنزلتها إلى أسفل، فأمسكت بيدي، لكن قبل أن نصل إلى فناء بيتهم، نظرت إلى عيني باتريك، فسقط قلبي بين قدميَّ، كان وجهه جامدًا، ولم يقل حتى مرحبًا، لم أره قطُّ بهذه الحالة. نظر إلى ديم، وقال: "يمكنك أن تريه سلحفاتك فيما بعد، أريد التحدث مع ليدجر".

لم تشك ديم في شيء، أسرعت إلى الداخل لتنتظرني بينما تجمدت أنا مكاني، عندما أغلقت الباب خلفها، لم يقل شيئًا، استمر في سقي العشب كأنه ينتظرني أن أعترف أولًا.

كنت قلقًا، سلوكه يشي بوضوحٍ أن ثمّة شيئًا خاطئًا، لكن إن قلت شيئًا ما أولًا، فأنا أجازف من دون دليلٍ، ربما يكون بهذه الحالة لسببٍ آخر، ربما والدته مريضة، أو أنه تلقَّى أخبارًا سيئة لا يريد أن يقولها أمام ديم، قد تكون الطريقة التي يتصرف بها لا علاقة لها بكينا، لذا انتظرته أن يتحدث أولًا، أن يخبرني بما يثير استياءه إلى هذا الحد.

أسقط خرطوم المياه من يده وسار نحوي، دق قلبي دقة مع كل خطوة سارها باتجاهي، توقف عن المشي على بُعد ثلاثة أقدام مني، لكن قلبي لم يتوقف عن الخفقان، وتَّرني الصمت، وبدا واضحًا أن باتريك على وشك مواجهتي، وهو لا يحب المواجهة، رغم ذلك، أقلقني صمته ونظراته أكثر من أي شيء، هناك شيء ما يزعجه، وهو شيء خطير، حاولت التخفيف من التوتر فقلت بطريقة حاولت أن أجعلها طبيعية: "متى عدتم يا رفاق؟".

- هذا الصباح، أين كنت؟

يسألني كأنه أب غاضب تسلّل طفله من البيت بعد منتصف الليل من دون إذنه، لم أعرف ماذا أقول، كنت أبحث عن كذبة مناسبة، لكني لم أجد، لا أستطيع أن أقول إنني كنت في البيت، لأن مقطورة والديَّ تسد الممر بينما تقف شاحنتي خلفها.

هزَّ باتريك رأسه وعلى وجهه ترتسم خيبة الأمل بحجم مجرة: "لقد كان صديقك المقرب يا ليدجر".

حاولت مداراة صدمتي، وضعت يديَّ في جيبيَّ ونظرت إلى قدميَّ، لماذا يقول هذا؟ أنا لا أعرف ماذا أقول، لا أعلم ما يعرفه، لا أعرف كيف يعرف.

- رأينا شاحنتك أمام بنايتها هذا الصباح.

همس وهو لا ينظر إليَّ، بدا كأنه لا يستطيع حتى النظر إليَّ. أكمل: "قلت ربما تكون مصادفة، ربما تكون شاحنة أخرى تشبه شاحنتك، لكن عندما توقفت بجوارها لإلقاء نظرة أفضل، رأيت مقعد سيارة ديم".

لم أرد، فقال بصوتٍ جامدٍ لدرجة أرعبتني: "هل تنام معها؟".

عقدت ذراعيَّ فوق صدري، صدري ضيق للغاية كأن قبضة تعتصر رئتيَّ: "أعتقد أننا نحن الثلاثة في حاجة إلى الجلوس والتحدث عن هذا!".

- "هل تنام معها؟" كرَّر بصوتٍ أعلى هذه المرة.

وضعت يديَّ على وجهي، محبطًا أن هذه هي الطريقة التي ستحدث بها المواجهة: "كنت في حاجة فقط إلى بضع ساعات لأتحدث إليكما

عن ذلك، كنت أريد أن يحدث الأمر بطريقة أفضل من هذه، كلنا كنَّا مخطئين بشأنها".

كان صوتي مهتزًّا، لأنني كنت متأكدًا أنه لن يستوعب شيئًا مما أقوله، ليس وهو غاضب بهذا الشكل، ضحك ضحكة فاترة تلاشت بسرعة ليعبس من جديد: "نحن؟ نحن ظلمناها؟".

اقترب خطوة مني، وأخيرًا نظر إليَّ في عينيَّ. كان وجهه وجه رجل مغدور: "ألم تترك ابني ليموت؟ ألم تترك صديقك المقرب بمفرده غير قادر على التقاط أنفاسه في ساعاته الأخيرة على طريق مهجور؟".

سالت دمعة على خده فمسحها بغضبٍ، إنه غاضب جدًّا لدرجة أنه مضطرٌّ إلى التنفس بثباتٍ حتى لا يصرخ في وجهي. همست: "لقد كانت حادثة يا باتريك، لقد أحبَّت سكوتي، لكنها ذعرت واتخذت القرار الخاطئ، ثم دفعت الثمن غاليًا، متى ستتوقف عن لومها؟".

اختار أن يجيب عن هذا السؤال بقبضته، لكمني بقوة في فمي، لم أفعل شيئًا لأنني شعرت بالذنب أنهم اكتشفا الأمر بهذه الطريقة، سأتركه يلكمني مليون مرة أخرى، ولن أدافع عن نفسي.

- ما هذا؟

اندفع أبي من منزلي متجهًا نحونا وباتريك يلكمني مرة ثانية، بينما جرت جريس عبر بابها الأمامي، دفع أبي نفسه بيننا قبل أن يلكمني باتريك للمرة الثالثة.

- ما هذا بحق الجحيم يا بات؟

صرخ أبي من دون أن ينظر باتريك حتى إليه، نظر إليَّ من دون أي ندم، تقدمت خطوة إلى الأمام لمناشدته، لم أرد أن تتوقف هذه المحادثة الآن بعد أن بدأت أخيرًا، لكن ديم اندفعت إلى الخارج، لمحها باتريك فاندفع نحوي مرة أخرى، لكن أبي صرخ، ودفعه إلى الخلف:

- لأجل المسيح توقف عن ذلك!

بدأت ديم في البكاء بعد أن شعرت بكل هذا الاضطراب، فحملتها جريس عائدة إلى المنزل لكن ديم ظلَّت تناديني، تحاول إلقاء نفسها عليَّ، شعرت من النظرة على وجهها أنها حزينة حتى أكثر من باتريك، صحت في جريس: "جريس من فضلك، فقط اسمعيني".

أدارت ظهرها لي، واختفت مع ديم داخل البيت، سمعت صراخ ديم، حتى بعد إغلاق الباب، شعرت بأن صدري يتمزق.

قال باتريك: "إياك أن تجرؤ على إجبارنا على خياراتك، يمكنك اختيار تلك المرأة، أو يمكنك اختيار ديم، لكن إياكَ أن تحاول إشعارنا بالذنب على خيار أخذناه منذ خمس سنوات، أنت فعلت هذا بنفسك يا ليدجر".

استدار باتريك عائدًا إلى الداخل فحرَّر أبي ذراعي وتحرك حتى واجهني، أراد تهدئتي لكنني لم أمنحه الفرصة، سرت إلى شاحنتي وركبتها ورحلت.

وصلت إلى الحانة، لكن بدلًا من الدخول، طرقت الباب الموصَل إلى أستديو رومان، ظللت أدق باستمرارٍ حتى فتح، بدا مرتبكًا لكنه رأى شفتي الممزقة فقال: "يا إلهي!".

تنحى جانبًا ليسمح لي بالدخول، ثم تبعني على الدرج إلى شقته، ذهبت إلى المطبخ لجلب بعض المناديل المبللة لمسح الدم. سألني: "ماذا حدث؟".

- قضيت الليلة مع كينا، اكتشف باتريك الأمر.

- فعل باتريك هذا بك؟

أومأت فضاقت عينا رومان مردفًا: "لم تضربه أليس كذلك؟ إنه في الستين".

- بالطبع لا، لكن ليس بسبب عمره، إنه قوي مثلي، لم أضربه لأنني أستحق ذلك".

امتلأ المنديل بالدماء فسرت إلى الحمام وتفحصت وجهي، عيناي بخيرٍ، لا يوجد سوى بعض كدمات صغيرة، لكن شفتي مقطوعتان من الداخل، أعتقد أنني مزقتها بأسناني وهو يلكمني، اللعنة!

تدفق الدم أكثر من فمي، فقلت لرومان: "أعتقد أنني في حاجة إلى غرز".

نظر رومان إلى فمي وهو يناولني منشفة مبللة، ثم قال: "اللعنة يا رجل! تعال.. يجب أن نذهب إلى المستشفى".

الفصل الثامن والثلاثون

كينا

تسارعت خطواتي بمجرد خروجي من المتجر ورؤيتي لشاحنة ليدجر متوقفة في ساحة انتظار السيارات، رآني أخرج من الباب فقاد عبر الطريق لالتقاطي، صعدتُ إلى الشاحنة وملتُ نحوه لتقبيله لكنه لم يدر وجهه نحوي، فقبّلت خده، كنت أريد الجلوس في المنتصف للاقتراب منه لكنه وضع بيننا حامل أكواب لذا جلست في مقعد الراكب وعقدت حزام الأمان، كان وجهه جامدًا ولم ينظر إليَّ منذ أن ركبت الشاحنة فبدأت أقلق، لكنه مدَّ يده وأمسك بيدي فأراحني هذا قليلًا، كنت قلقة من أن يندم على الليلة الماضية لكن بالطريقة التي ضغط بها يدي شعرت أنه سعيدٌ برؤيتي، يجب أن أتوقف عن ارتيابي المزعج هذا، حاولت كسر الصمت فقلت: "خمّن ماذا حدث..".

- ماذا؟

- حصلتُ على ترقية، أصبحتُ موظفة خزانة، هذا يعني دولارين إضافيين في الساعة.

- هذا رائع يا كينا.

قالها من دون أن ينظر إليَّ، ثم حرَّر يدي وأسند مرفقه إلى حافة النافذة، وأراح رأسه على يده اليسرى وهو مستمر في القيادة. حدقت إليه وأنا أشعر أنه يبدو مختلفًا، بدأ فمي يجف فقلت مشيرة إلى الكوب في المنتصف: "هل يمكن أن آخذ رشفة؟".

أخرج ليدجر الكوب الورقي من حامل الأكواب وناولني إياه، قائلًا: "إنه شاي.. بارد قليلًا لكن لذيذ".

أخذت رشفة ثم أعدت الكوب إلى مكانه، سألته: "ماذا بك؟".

- لا شيء.
- هل تحدثت إليهما؟ هل حدث شيء؟
- لم يحدث شيء، دعينا نصل إلى بيتك أولًا.

كان صوته غير مقنع، صوت شخص يعرف أنه كاذب، غرقت في مقعدي تدفق القلق في عروقي، لم أدفعه إلى الحديث لأني خفت أن أعرف، حدقت من نافذتي طوال الطريق، يعتريني شعورٌ داخلي أن هذه هي المرة الأخيرة التي سيوصلني فيها ليدجر إلى المنزل.

ركن الشاحنة وأغلق المحرك، لكنه ظلَّ جالسًا ينقر عجلة القيادة بإبهامه، يبدو ضائعًا في أفكاره، بعد عدة ثوان، فتح بابه أخيرًا وخرج، أسرعت بالخروج لأواجهه لكني تجمَّدت فور أن رأيت وجهه، وشفتيه المتورمتين، صرخت: يا إلهي!

هرعت إليه وهو يرفع النظارات الشمسية عن عينيه، رأيت الكدمات الزرقاء على وجهه وحول عينه، ضاع صوتي وأنا أسأل: "ماذا حدث؟".

اقترب مني، ولفَّ ذراعه حول كتفي، وجذبني تجاهه حتى استقر ذقنه فوق رأسي، ضمني لحظات ثم قبَّل جانب رأسي، وقال: "لنذهب إلى الداخل".

خلَّل أصابعه في أصابعي وقادني عبر الدرج، بمجرد دخولنا شقتي، سألته مرة أخرى: "ماذا حدث يا ليدجر؟".

اتكأ على المنضدة وأمسك بيدي، سحبني إليه وخلل أصابعه في شعري إلى الوراء، نظر إليَّ قائلًا: "رأى باتريك الشاحنة أسفل بيتك هذا الصباح".

تبددت آخر ذرة أمل داخلي، وأنا أقول: "ضربك؟".

أومأ ليدجر برأسه، فسمعت طنينًا في أذنيَّ، كان عليَّ التراجع إلى الخلف لأني شعرت بغثيان، أردت أن أبكي، لأنه ما مدى جنون باتريك لضرب شخص ما؟ الطريقة التي تحدَّث بها سكوتي وليدجر عنه تقول إنه ليس ذلك النوع من الرجال الذي يفقد أعصابه بسهولة، مما يعني... أنه يكرهني، أنهما يكرهان كثيرًا فكرة أن يحبني ليدجر، مجرد الفكرة جعلت هذا الرجل الهادئ يفقد عقله، كنت على حق، سيجعلانه يختار بيني وبين ديم.

بدأ الذعر ينتشر من صدري إلى جميع أجزاء جسدي، أخذت رشفة من الماء، ثم حملت إيفي، التي كانت تموء عند قدمي، داعبتها وضممتها إليَّ محاولة أن أستمد منها بعض الطمأنينة، إنها الشيء الثابت الوحيد في حياتي الآن، لأن هذه القصة ستنتهي تمامًا كما توقعتها. لا مفاجآت على الإطلاق، لقد جئت إلى هنا بهدفٍ واحدٍ،

وهو محاولة إقامة علاقة مع عائلة لاندريس ومع ابنتي، ومن الواضح أنهم يرفضون ذلك تمامًا، لا يمكنهم التعامل معي عاطفيًّا.

أعدت إيفي إلى الأرض ثم عقدت ذراعيَّ على صدري، لم أستطع حتى النظر إلى ليدجر وأنا أسأله: "هل طلبا منك أن تتوقف عن رؤيتي؟". تنهد فعرفت من تنهده الإجابة، حاولت أن أتماسك لكني أريده فقط أن يغادر، أو ربما ينبغي لي أنا المغادرة، مغادرة هذه الشقة، هذه المدينة، هذه الولاية. أريد أن أبتعد عن ابنتي قدر ما أستطيع، لأنني كلما اقتربت منها من دون أن أقدر على رؤيتها، زادت رغبتي في الذهاب إلى منزلهم وخطفها، أنا يائسة بما يكفي لفعل شيء غبي لو بقيت هنا مدة أطول.

- أحتاج إلى المال.

نظر ليدجر إليَّ كأنه لم يفهم السؤال، أو لا يفهم سبب حاجتي إلى المال الآن. فأكملت: "لا أستطيع المغادرة بسبب حاجتي إلى المال، أريد أن أرحل يا ليدجر، سأرده إليك فور أن تتحسن أموري، لكن عليَّ أن أغادر فورًا، وليس لديَّ ما يكفي من المال لأجد مكانًا أقيم فيه، لا أستطيع البقاء هنا".

تقدم نحوي قائلًا: "انتظري.. ماذا؟ تريدين الرحيل؟ هل تستسلمين؟".

أغضبني اختياره للكلمات، أود لو قلت إنني حاولت بشدة، لكنهما يملكان أمر تقييد ضدي، لكني قلت: "لن أسمي ذلك استسلامًا".

- ماذا عنا؟ هل تتخلين عني وترحلين؟

- لا تكن أحمق، هذا أصعب بالنسبة إليَّ مما هو عليه بالنسبة إليك؛ على الأقل، ستظل ديم إلى جوارك.

أمسك بكتفيَّ، لكني نظرت بعيدًا عنه، فأمال وجهي نحوه بيديه ليجبرني على النظر إليه: "كينا لا ترحلي، لو سمحت، انتظري بضعة أسابيع، دعينا نرى فقط ماذا سيحدث".

- نحن نعلم ما سيحدث، سنستمر في رؤية بعضنا سرًّا، وسنقع في الحب، لكنهما لن يغيِّرا رأيهما وسأرحل في النهاية، لكن لو بقيت ستزداد الأمور سوءًا في غضون أسابيع قليلة مما لو كنت غادرت الآن".

سرت نحو الخزانة وأخرجت حقيبة السفر على المرتبة، وبدأت في إلقاء ملابسي القليلة اللعينة داخلها: "يمكنني ركوب الحافلة إلى المدينة التالية ثم البقاء في فندق حتى أكتشف إلى أين سأذهب، أنا في حاجة إلى المال، أقول مرة أخرى، سأردُّه إليك، كل سنت يا ليدجر، أعدك".

اقترب ليدجر نحوي وأغلق الحقيبة، وهو يصيح: "توقفي عن ذلك".

جذبني نحوه، وعانقني بقوة: "أرجوك، توقفي عن ذلك".

- لقد فات الآوان، الوضع مؤلم بما يكفي.

ضممت قبضتيَّ على قميصه، وبدأت في البكاء، لا أستطيع تحمُّل فكرة عدم التواجد حوله، وعدم رؤية ابتسامته، والإحساس بدعمه، أفتقده وأنا ما زلت بين ذراعيه، ولكن بقدر ما تؤلمني فكرة تركه،

يؤلمني أكثر فقداني الأمل في رؤية ابنتي، هذه الدموع من أجلها، دائمًا من أجلها.

- ليدجر.

قلت اسمه بهدوء، ثم رفعت رأسي عن صدره، ونظرت إليه: "الشيء الوحيد الذي يمكنك فعله الآن هو الذهاب إلى باتريك وجريس والاعتذار منهما، ديم تحتاج إليك، إذا لم يستطيعا تجاوز ما فعلته بهما، فليس من وظيفتك إصلاح ما انكسر، مهمتك هي دعمهما ولا يمكنك فعل ذلك وأنا في حياتك".

كان فكُّه متشنجًا، يحاول ألا يبكي، لكنه أيضًا يعلم أنني على حقٍّ، ابتعد عني خطوة ثم بعد ذلك فتح محفظته، وقال: "تريدين بطاقتي الائتمانية؟"،

سحبها إلى الخارج وألقاها على المرتبة، بدأ في سحب بضع أوراق من فئة العشرين دولارًا وألقاها أيضًا بغضبٍ، بدا غاضبًا ومنهزمًا وهو يسحب الأشياء من محفظته ويلقي بها، ثم تقدم نحوي، قبَّلني على جبهتي وغادر.

بمجرد أن أغلق الباب حتى انحنيت إلى الأمام، ضغطت الطاولة بمرفقي، وأمسكت رأسي بيديَّ وبكيت، لأنني سمحت بكل ذلك، لأنني غاضبة من نفسي الغبية التي شعرت ببعض الأمل، لقد مرَّت أكثر من خمس سنوات على ما حدث، إذا كانا سيغفران لي في أي وقتٍ، لكانا فعلا ذلك الآن، إنهما ليسا من النوع المتسامح.

هناك أناس يجدون السلام في المغفرة، وهناك آخرون يعتبرون المغفرة خيانة، إذا غفر لي باتريك وجريس سيشعران كأنهما يخونان ابنهما، لا يسعني إلا أن آمل أن يتغيَّرا ذات يوم، ولكن حتى ذلك الحين، هذه هي حياتي، هذا هو المكان الذي أُوجد فيه، هذا هو المكان الذي عليَّ منه أن أبدأ من جديدٍ مرة أخرى، وسأفعل ذلك من دون ليدجر أو تشجيعه أو إيمانه بي.

بينما أبكي سمعت صوت الباب يُفتَح، رفعتُ رأسي فرأيتُ ليدجر يغلق الباب ويندفع إليَّ عبر الغرفة، حملني وأجلسني على المائدة ليواجهني، ثم قبَّلني بيأسٍ حزينٍ، كأن هذه هي آخر قبلة سيقبِّلها لي، بعدما قبَّلني، نظر إليَّ بعينين مليئتين بالإصرار، قال: "سأكون أفضل شخص يمكن أن أكونه لابنتك، أعدك، سأمنحها أفضل حياة، وعندما تسألني ذات يوم عن أمها، سأخبرها أنها أعظم أم، تأكدي من أنها ستكبر وهي تعرف مدى حبك لها".

كنت في حالة سيئة جدًّا، لأنني سأفتقده كثيرًا، كثيرًا جدًّا، قرَّبت شفتيَّ من شفتيه المنتفختين، قبَّلته بلطفٍ حتى لا أؤلمه، ثم أسندت جبهتي إلى جبهته، بدا كأنه يكافح أيضًا من أجل الحفاظ على رباطة جأشه، قال: "أنا آسف لأنني لم أستطع فعل المزيد من أجلك".

بدأ في التراجع، مبتعدًا عني، كان من المؤلم جدًّا مشاهدته يبتعد، لذا حدقت إلى الأرض، رأيت شيئًا تحت قدميَّ، بدت كأنها بطاقة عمل، انحنيت والتقطتها، كانت بطاقة المثلجات المثقوبة، لا بد

أنها سقطت من محفظته وهو يلقي ما بها، صحت وأنا أركض نحوه: "ليدجر، انتظر".

أوقفته عند الباب وأعطيته بطاقته قائلة وأنا أنشج: "أنت في حاجة إلى هذه لقد اقتربت جدًّا من الحصول على القمع المجاني".

ضحك رغم ألمه، وأخذ البطاقة مني، ولكنه لم يرحل، قرَّب رأسه من رأسي وقال: "أنا غاضب جدًّا منهما يا كينا، هذا ليس عدلًا".

- نعم، لكن الأمر ليس بأيدينا.

قبَّلته للمرة الأخيرة، ثم عصرت يده بيدي، ونظرت إليه بتوسل: "لا تكرههما، تمام؟ إنهما يمنحان ابنتي الصغيرة حياة طيبة، من فضلك لا تكرههما".

بالكاد هزَّ رأسه بإيماءة. عندما ترك يدي ابتعدت، لم أرد مشاهدته وهو يغادر، لذلك ذهبت إلى حمامي وأغلقت الباب، بعد ثوانٍ، سمعت باب شقتي يغلق، فانهرت على الأرض.



الفصل التاسع والثلاثون

ليدجر

عندما وصلت إلى منزلي لم أدخله، سرت مباشرة إلى منزل باتريك وجريس وطرقت الباب، لم يكن أمامي خيارٌ من البداية، ستكون ديم دائمًا هي الفتاة الأهم في حياتي، بغض النظر عن ماذا أو من أو متى، لكن هذا لا يعني أنني لستُ ممزقًا.

فتح باتريك الباب، لكن جريس أسرعت بالانضمام إليه، يبدو أنها خشيت أن ينشب بيننا قتالٌ آخر، بديا متفاجئين برؤية حالة إصاباتي لكن باتريك لم يعتذر، لم أتوقع منه أن يفعل.

نظرت إليهما بثباتٍ، وقلت:" ديم تريد أن تريني سلحفاتها".

كانت جملة بسيطة جدًا، لكن قولي لها عنى الكثير، هذه الجملة تقول إنني اخترتُ ديم، دعونا نعود إلى ما كانت الأمور عليه من قبل. ظلَّ باتريك يحدق إليَّ، ولكن جريس تنحَّت جانبًا، وقالت: "إنها في غرفتها".

كانت جملتها بمنزلة مغفرة وقبول، لكنها ليست المغفرة التي كنت أتمناها، لم أرد، أسرعت إلى غرفة ديم فوجدتها جالسة على الأرض وأمامها سلحفاتها، تحاول إغراءها بمكعبٍ أخضر لتخرج من صدفتها، قلت: "إذن، هذه سلحفاتك، أليس كذلك؟".

اعتدلت ديم في جلستها، وابتسمت قائلة: "نعم".

حملت سلحفاتها وجلست على السرير، جلست إلى جوارها ومددت ساقيَّ فناولتني السلحفاة، وضعتها على ساقيَّ، فبدأت السلحفاة في الزحف نحو ركبتي، سألتني ديم وهي تنظر إلى شفتيَّ: "لماذا ضربك نونو؟".

- أحيانًا يأخذ البالغون قراراتٍ سيئة يا دي، قلت شيئًا جرح مشاعره فانزعج وضربني، هذا ليس ذنبه، كانت غلطتي.

- هل أنت غاضب منه؟

- لا أبدًا.

- هل لا يزال غاضبًا منك؟

- لا أعتقد.

أردت تغيير الموضوع فسألتها: "ما اسم السلحفاة؟".

- ليدجر.

قلت ضاحكًا: "هل سميت السلحفاة على اسمي؟".

- نعم، لأنني أحبك.

قالتها بصوتها الحلو فدقَّ قلبي، تمنيت لو كانت كينا هي من تسمع هذه الجملة من ديم الآن، قبَّلتها على رأسها، وقلت: "وأنا أيضًا أحبك يا دي".

وضعت سلحفاتها في حوضها الزجاجي ثم زحفت مرة أخرى على سريرها، ظللتُ إلى جوارها حتى غفت، ثم ظللتُ لفترة أطول للتأكد أنها نامت.

أعرف أن باتريك وجريس يحبَّانها، وأعلم أنهما يحبانني، آخر شيء سيفعلانه هو إبعادنا عن بعضنا، يستطيعان أن يغضبا، لكنهما يعرفان أيضًا مدى حب ديم لي، لذلك حتى لو لم نتمكن ثلاثتنا من حل مشاكلنا، سأظل دائمًا جزءًا أساسيًا من حياة ديم. وما دمتُ كذلك، سأقاتل لما هو أفضل لها. كان يجب أن أفعل هذا منذ البداية، ما هو أفضل شيء لحياة ديم سوى وجود أمها في حياتها؟ لذا فعلت ما فعلته قبل أن أغادر شقة كينا.

بمجرد أن أغلقت كينا باب حمامها، أغلقتُ باب شقتها وتظاهرت بالمغادرة. لكني بدلًا من ذلك، أمسكت بهاتفها، كان تخمين كلمة المرور سهلًا: عيد ميلاد ديم. فتحت مستندات جوجل، وعثرتُ على الملف الذي يحوي جميع الرسائل التي كتبتها إلى سكوتي، ثم أرسلته إلى بريدي الإلكتروني قبل أن أترك الهاتف وأتسلل مغادرًا.

بقيت في غرفة نوم ديم، وفتحت شبكة الواي فاي، ربطت هاتفي بطابعة باتريك وجريس، ثم فتحت بريدي الإلكتروني، وبحثت عن الرسالة التي قرأتها لي كينا، تخطَّيتُ بقية الرسائل التي كتبتها لسكوتي لأنني شعرتُ بأنني انتهكت خصوصيتها بما فيه الكفاية، لن أقرأها ما لم تطلب مني ذلك بنفسها ذات يومٍ، الليلة أنا فقط في حاجة إلى تلك الرسالة.

ضغطت خيار الطباعة وأغمضت عينيَّ وأنا أستمع إلى صوت الطابعة في مكتب جريس المقابل لغرفة ديم، انتظرت حتى انتهت الطابعة من العمل، ثم تسلَّلتُ من سرير ديم وانتظرت لحظات في

غرفتها لأتأكد أنها لم تستيقظ، لكنها ظلَّت نائمة بعمقٍ، فخرجت من غرفتها وتسللت إلى مكتب باتريك لأخذ الرسالة، تأكدت من طباعتها كاملة وهمست: "تمنَّ لي الحظ السعيد يا سكوتي".

عندما خرجت من الردهة، كانا كلاهما في المطبخ، جريس تنظر إلى هاتفها، وباتريك يفرغ غسالة الأطباق. نظرا إليَّ في نفس الوقت فقلت: "لديَّ شيء أريد أن أقوله، وأنا حقًّا لا أريد الصراخ، لكني سأفعل إذا اضطررت إلى ذلك، لذلك أعتقد أنه يجب علينا الخروج من البيت لأني لا أريد إيقاظ ديم".

أغلق باتريك غسالة الصحون، واتجه نحو باب المنزل، وفتحه: "لا نريد أن نسمع يا ليدجر، يمكنك أن تذهب".

كنتُ متعاطفًا معهما لكنني كنت وصلت إلى الحد الذي شعرت فيه بالحرارة تنبعث من جسمي، حاولت تمالك غضبي بصعوبة، لأنني تذكرت كلمات كينا قبل أن أتركها وهي تطلب مني ألا أكرههما، قلت: "لقد كرست حياتي لتلك الفتاة الصغيرة، أنت مدين لي بهذا، لن أغادر بيتك حتى نتحدث".

خرجتُ من الباب، وانتظرتُ في الفناء الأمامي، مرَّت دقيقة، ربما دقيقتان، فجلستُ على مقعدٍ في الفناء، إما أنهما سيتصلان بالشرطة وإما سيخرجان إليَّ، وإما سيذهبان إلى فراشهما ويتجاهلانني، انتظرت حتى يحدث شيء من هذه الأشياء الثلاثة.

مرَّت عدة دقائق قبل أن أسمع صوت الباب وهو يُفتَح، نهضت واستدرت لأواجههما، خرج باتريك من البيت وخلفه جريس، لم يبد على أيٍّ منهما أنهما يرحبان بما أنا على وشك قوله، لكني سأقوله على أي حالٍ، حان وقت هذه المحادثة، لن يكون هناك وقتٌ مثاليٌّ لها أبدًا، عليهما أن يسمعا ما أريد قوله بشأن الفتاة التي دمرت حياتهما.

شعرتُ أن ما أنا على وشك قوله هو أهم شيء سأقوله في حياتي، تمنيت لو كنت أكثر استعدادًا، تستحق كينا ما هو أفضل مني ومن كلماتي المرتجلة البلهاء لتكون الأمل الوحيد المتبقي بينها وبين ديم.

تنفست بسرعة، وبدأت في الحديث: "في كل قرارٍ اتخذته في حياتي كنت أضع ديم أمام عينيَّ أولًا، أنهيت خطبتي مع امرأة أحببتها لأنني لم أكن متأكدًا أنها جيدة بما يكفي لتلك الفتاة الصغيرة، أقول لكما هذا لتعرفا أنني لن أضع سعادتي أبدًا قبل سعادة ديم. أنا أعرف أنكما تعرفان ذلك، وأعرف أيضًا أنكما تحاولان حماية عائلتكما من الألم الذي سبَّبته تصرفات كينا، لكنكما اختصرتما حياتها كلها في أسوأ لحظة مرَّت بها وهذا ليس عدلًا، هذا ليس عدلًا بالنسبة إلى كينا، هذا ليس عدلًا لديم، بدأت أتساءل عما إذا كان الأمر حتى عادلًا لسكوتي.

رفعتُ الأوراق التي في يدي، وأكملت: "تكتب كينا الرسائل لسكوتي، تفعل ذلك منذ خمس سنوات، هذه هي الرسالة الوحيدة التي قرأتها، لكنها كانت كافية لتغيير رأيي تمامًا بها".

توقفتُ لحظة ثم أكملتُ مصحِحًا كلماتي: "في الواقع، هذا ليس صحيحًا، لقد سامحت كينا حتى قبل أن أعرف محتويات الرسالة، لكن في المرة الثانية التي قرأت فيها هذه الرسالة لي بصوتٍ عالٍ، أدركت أنها كانت تتألم بقدر ما آلمتنا جميعًا، كنَّا نقتلها ببطء من خلال الاستمرار في الضغط على ألمها".

ضغطتُ جبهتي بيدي وأنا أحاول التركيز أكثر على ما أنا على وشك قوله: "نحن نمنع أمًّا عن ابنتها، هذا ليس جيدًا، سيكون سكوتي غاضبًا جدًّا منَّا".

حلَّ الصمت بمجرد أن توقفت عن الكلام، صمتٌ ثقيلٌ حتى إنني شعرتُ بأنهما توقَّفا عن التنفس، سلَّمت جريس الرسالة، وقلت: "سيكون من الصعب عليكما قراءتها، لكني لا أطلب منكما قراءتها لأنني أحب كينا، أنا أطلب منكما أن تقرآها لأن ابنكما كان يحبها".

بدأت جريس في البكاء، بينما ظلَّ باتريك ينظر في عيني لحظة، ثم اتجه نحو جريس وضمَّها إليه.

- لقد أعطيتكما السنوات الخمس الأخيرة من حياتي، كل ما أطلبه منكما عشرين دقيقة، ربما أقل لتقرآ هذه الرسالة، وبعد ذلك، نتحدث، سأحترم أي قراراتٍ تتخذاها أقسم لكما، لكن من فضلكما، امنحاني هذه الدقائق العشرين، أنتما مدينان لديم بفرصة أن يكون لها شخصٌ آخر في حياتها يحبها بقدر ما كان سيحبها سكوتي.

لم أعطهما فرصة للمناقشة أو إعادة الرسالة إليَّ، استدرت فورًا وسرت إلى منزلي واختفيت بالداخل، لم أنظر حتى من النافذة لأرى إن كانا عادا إلى داخل بيتهما أو ظلَّا واقفين مكانهما يقرآن الرسالة.

كنتُ متوترًا للغاية لدرجة أنني كنتُ أرتجف، بحثتُ عن والديَّ فوجدتهما في الفناء الخلفي، أمسك أبي بخرطوم المياه لينظف بعض الأشياء من مقطورته، بينما جلست أمي على الأريكة الخشبية تقرأ كتابًا.

جلستُ بجانبها، فأخفضت كتابها ونظرت إليَّ وهي تبتسم، لكنها بمجرد أن رأت النظرة على وجهي أغلقت الكتاب، اقتربت مني أمي وأحاطتني بذراعيها، وقالت: "أوه يا عزيزي ليدجر".

أسقطت رأسي على كتفها، وبدأت في البكاء، لم أستطع التحكُّم في نفسي، كنت أشعر أن حياة كل شخص أحبه معلقة بهذه اللحظة، ويا لها من لحظة ثقيلة.. ثقيلة.

الفصل الأربعون

كينا

استيقظت بصداعٍ نصفي شديدٍ بسبب كل البكاء الذي بكيته ليلة أمس، توقعت من ليدجر أن يرسل إليّ رسالة نصية أو يتصل بي، لكنه لم يفعل؛ هذا أفضل، انفصال سريع أفضل من كل هذه الفوضى.

من المؤسف أن قرارًا واحدًا في تلك الليلة المشؤومة أحدث كل هذه التداعيات، حتى إنه بطريقة ما أسقط ضحية أخرى بعد كل هذه السنوات، إلى متى ستستمر توابع تلك الليلة؟ هل سأظل أدفع الثمن إلى الأبد؟

أحيانًا أتساءل عمّا إذا كنّا قد ولدنا جميعًا بكمياتٍ متساوية من الخير والشر، ماذا لو لم يكن هناك شخص أكثر أو أقل حقدًا من شخص آخر، وأننا جميعًا نطلق الشر داخلنا في أوقاتٍ مختلفة وبطرقٍ مختلفة؟

ربما يطلق البعض منّا شرَّه كله وهو طفل، بينما يطلقه البعض خلال مراهقته، وربما هناك من يطلق شره شيئًا فشيئًا إلى أن يكبر، وحتى في ذلك الحين، يظل يطلقه قليلًا قليلًا كل يوم حتى يموت، ولكن هذا يعني أن هناك أشخاصًا مثلي، أولئك الذين أطلقوا شرهم كله دفعة واحدة، في ليلة واحدة مروعة.

عندما تطلق كل شرِّك دفعة واحدة، يكون التأثير أكبر بكثيرٍ مما يكون عليه عندما يتسرَّب منك ببطء، الدمار الذي تتركه وراءك يغطي محيطًا أكبر بكثيرٍ، ويحتل مساحة أكبر بكثيرٍ في ذكريات الناس.

لا أريد أن أصدق أن هناك أناسًا طيبون وأناسًا أشرار، وأناسًا بين بين، لا أريد أن أصدق أنني أسوأ من أي شخصٍ آخر، كأن هناك دلوًا مليئًا بالشر في مكان ما داخلي يستمر في ملء نفسه بعد كل مرة يفرغ فيها، لا أريد أن أصدق أنني كذلك قادرة على تكرار ما فعلته في الماضي، ولكن حتى بعد كل تلك السنوات، ما زال الناس يعانون بسببي.

على الرغم من الدمار الذي خلَّفته خلفي، فأنا لست شخصًا سيئًا..

أنا لست شخصا سيئًا..

استغرق الأمر خمس سنوات من جلسات العلاج الأسبوعية لمساعدتي على إدراك ذلك، لقد تعلمت مؤخرًا فقط كيف أقولها بصوتٍ عالٍ، أنا لست شخصًا سيئًا..

كنت أستمع إلى قائمة الأغاني التي اختارها لي ليدجر طوال الصباح، هي في الحقيقة مجرد مجموعة أغانٍ لا علاقة لها بأي شيء حزين، لا أعرف كيف نجح في العثور على كل هذه الأغاني المحايدة، لا بد أن هذا أخذ منه وقتًا طويلًا، وضعت سماعات ماري آن فوق أذنيَّ، وضبطت القائمة على وضع التشغيل العشوائي، وبدأت في تنظيف الشقة لأتمكَّن من الحصول على مبلغ التأمين بالكامل بعد رحيلي، لا أريد أن تتحجج روث بأي حجة لكي لا تردُّه إليَّ، سأترك الشقة عشر مرات أنظف عما كانت عليه وقت وصولي.

استمررت في التنظيف لمدة عشر دقائق تقريبًا عندما بدأت في سماع إيقاع في الأغنية لا ينتمي إليها، استغرقت لحظات لأدرك أن هذا الإيقاع ليس في الأغنية، إنها دقات خارجية. خلعت السماعات لأسمع بوضوح، وأدركت أن ثمّة شخصًا يدق بابي، تسارعت دقات قلبي، لا أريده أن يكون ليدجر، لكني أريده أن يكون ليدجر، قبلة إضافية لن تضر.

اتجهت نحو الباب وألقيت نظرة عبر العين السحرية..

إنه ليدجر..

أسندت جبهتي إلى الباب محاولة اتخاذ القرار الصحيح، لا بد أنه يمرُّ بلحظة ضعفٍ، لكن لا ينبغي لي أن أسمح له بذلك، لحظاته الضعيفة ستضعفني، وسنعود إلى نقطة الصفر لنبدأ كل شيء من جديدٍ، ولندور في دوائر مفرغة من جديدٍ حتى نتحطم تمامًا.

فتحت هاتفي لأكتب له رسالة: "لن أفتح الباب"، شاهدته من العين السحرية يقرأها، لكن تعبيره لم يتغيَّر، نظر إليَّ مباشرة عبر العين السحرية وأشار إلى مقبض الباب.

اللعنة!

لماذا فعل ذلك؟ لا أستطيع مقاومة أوامره عندما يفعلها بهذه الطريقة، فتحت الباب لبوصتين فقط، وقلت: "لا تقبِّلني، ولا تلمسني، ولا تقل أي شيء حلو".

ابتسم ليدجر قائلًا: "سأفعل ما بوسعي".

فتحت الباب بحذرٍ، لكنه لم يحاول الدخول، ظل واقفًا مكانه، وقال: "هل تسمحين بدقيقة؟".

- نعم، ادخل..

هزَّ رأسه نافيًا: "ليس لي".

استدار لينظر إلى شخصٍ بجانبه، وأشار إليه بالدخول، وابتعد عن الباب، فظهرت جريس أمامي، وضعت يدي على فمي لأكتم صرختي، لم أتوقع هذا، لم أرَها وجهًا لوجه منذ أن كان سكوتي على قيد الحياة، لم أستطع التقاط أنفاسي، ولم أعرف ماذا يعني ذلك، لم أترك نفسي للمزيد من الأفكار، لكن الأمل تسلل مرة أخرى إليَّ.

تراجعت إلى الخلف وأنا لا أستطيع التحكم في دموعي، هناك الكثير مما أود قوله لها، الكثير من الاعتذارات، الكثير جدًّا من الوعود.

خطت جريس إلى داخل شقتي، بينما بقي ليدجر في الخارج، أغلق الباب لمنحنا الخصوصية، فالتقطت منديلًا لأمسح عينيَّ من دون جدوى، لا أعتقد أنني بكيت بهذا الشكل منذ أن أنجبت ديم ورأيتهم يأخذونها بعيدًا عني.

قالت جريس بصوتٍ لطيفٍ: "أنا لستُ هنا لأزعجك".

هززتُ رأسي: "هذا ليس... أنا آسفة.. أنا في حاجة إلى دقيقة قبل أن أستطيع التحدث".

تحركت جريس نحو الأريكة قائلة: "هل يمكننا الجلوس؟".

أومأت، جلستُ إلى جوارها على الأريكة، تأمَّلتني جريس لحظات، ربما تحكم خلالها على دموعي، تتساءل إن كانت حقيقية أو مزيفة، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت شيئًا، اعتقدتُ أنه منديل في البداية، لكن بعد التدقيق اكتشفت أنه كيسٌ مخملي أسود صغير، وضعته في يدي من دون أن تقول شيئًا.

فككتُ العقدة على فتحة الكيس، وأفرغت محتواه في راحة يدي، لهثت، ما هذا؟ وكيف؟ كنت أحمل الخاتم الذي وقعت في غرامه عندما رأيته مع سكوتي في متجر الأنتيكات منذ سنين، خاتم ذهبي يتوسطه حجرٌ كريمٌ وردي بقيمة أربعة آلاف دولار، لم أخبر أحدًا بهذه القصة قطٍّ، كيف عرفت جريس؟ لماذا هو بحوزتها؟

لم تتركني كثيرًا في تساؤلاتي، قالت: "اتصل بي سكوتي في اليوم الذي رأيتما فيه الخاتم، قال إنه ليس مستعدًّا للتقدم لخطبتك بعد، لكنه عرف بالفعل ما هو الخاتم المناسب عندما تحين اللحظة، لم يستطع تحمُّل كلفته، لكنه خاف أن يشتريه شخصٌ آخر قبله، فسمحنا له باقتراض المال، اشتراه وتركه بحوزتي بعد أن وعدته بالاحتفاظ به في مكانٍ آمن حتى يتمكن من سد ثمنه.

ارتجفت يداي وأنا أضع الخاتم في إصبعي، لا أستطيع تصديق أن سكوتي فعل ذلك، زفرت جريس، وأكملت: "سأصدقك القول يا كينا، لم أرد الاحتفاظ بهذا الخاتم بعد وفاته، ولم أرد أن تحصلي عليه لأني كنت غاضبة منك، لكن عندما اكتشفنا أن مولودك فتاة، قررتُ الاحتفاظ به ومنحها إياه ذات يومٍ، ولكن اليوم أعرف أن هذا

ليس قراري، إنه قرار سكوتي، وسكوتي اشترى لكِ أنتِ هذا الخاتم، إنه ملكك".

لفَّ رأسي وأنا أحاول استيعاب كل هذا، أحتاج إلى لحظات لأهدأ، كنت خائفة جدًّا من تصديقها، ارتجفتُ ولم أعرف ماذا أقول، خرجت مني الكلمات بصعوبة: "شكرًا لك".

أمسكت جريس بيدي وضغطتها، نظرتُ إلى وجهها، فقالت: "لقد وعدت ليدجر ألا أخبرك، لكن.. لقد أعطانا واحدة من رسائلك إلى سكوتي".

كنت أهز رأسي رغم أنها لم تنته بعد من كلامها، تتقافز الأفكار في رأسي، كيف حصل على الرسالة؟ أي واحدة أعطاهما إياها؟

- جعلنا نقرأها الليلة الماضية، بعد أن انتهيت كنت محطمة وغاضبة ربما أكثر مما قبل، كان من الصعب معرفة جانبك من القصة، كل هذه التفاصيل، بكيت طوال الليل، لكن هذا الصباح، بعد أن استيقظت من نومي، شعرت بسلام غريب يلفُّني، يغسلني من الداخل، ولأول مرة، أستيقظ من نوّمي وأنا غير ساخطة عليك".

مَسَحت دمعة سالت على خدها، وأكملت: "طوال كل هذه السنوات، افترضت أن صمتك في قاعة المحكمة كان لا مبالاة، افترضت أنكِ تركته في تلك السيارة لأنك لا تهتمين سوى بنفسك، لم ترغبي في التورط في مشكلة قانونية، ربما افترضت كل هذه الأشياء لأنه كان من الأسهل أن يُلام شخص ما على تلك الخسارة المروعة،

وأنا أعلم أن حزنك لا يجب أن يسعدني يا كينا، لكن فهمك الآن أسهل بكثيرٍ من الوقت الذي افترضت فيه أنك لم تحزني على ابني".

مدَّت جريس يدها لتزيح خصلات شعري من على وجهي إلى خلف أذني، إنها حركة خاصة بالأمهات، وأنا لا أفهم، لا أعرف كيف يمكن أن تتحوَّل من كرهي إلى مسامحتي في ليلة واحدة، لذلك كنت لا أزال حذرة، لكن الدموع في عينيها كانت صادقة، قالت بإخلاصٍ: "أنا آسفة جدًّا يا كينا، أنا مسؤولة عن إبعادك عن ابنتك لمدة خمس سنوات، ولا عذر لذلك، الشيء الوحيد الذي أستطيع فعله هو أن أتأكد أنك لن تمضي يومًا آخر من دونها".

ارتجفت يداي وأنا أضمهما إلى صدري، وقلت: "من دون من؟.. ابنتي؟".

أومأت جريس برأسها، ثم عانقتني، انهرت في حضنها، بينما تمسد بيدها على مؤخرة رأسي، تركتني لدقائق في حضنها لأتمكن من استيعاب كل ما يحدث.

هذا هو كل ما أتمناه، والآن بينما يحدث أشعر بالانهيار جسديًّا وعاطفيًّا، كنت أحلم بهذا، حلمت أن تظهر جريس وتسامحني وتسمح لي برؤية ديم، لكنني كنت أستيقظ بعد ذلك وحدي لأدرك أنه محض كابوس قاس، أتمنى ألَّا يكون هذا مجرد حلم.

قالت جريس وهي تنهض لتفتح الباب: "دعينا لا نترك ليدجر وحده بالخارج، لا بد أنه يحترق الآن لمعرفة ما يجري هنا".

تحركت عينا ليدجر بشكلٍ محموم حتى سقطت على عينيَّ، عندما ابتسمت له، ارتاحت ملامحه، كما لو أن ابتسامتي هي الشيء الوحيد المهم في هذه اللحظة. جذب جريس إليه وعانقها، سمعته يهمس: "شكرًا لكِ". نظرت إليَّ قبل أن تغادر، وقالت: "سأحضر اللازانيا الليلة، أريدك أن تأتي لتناول العشاء معنا".

أومأت لها قبل أن تغلق الباب، بينما لفَّني ليدجر بذراعيه، عانقته وقلت: "شكرًا لك.. شكرًا لك.. شكرًا لك..".

رددتها مرارًا وتكرارًا، لأنني أعلم أن هذا لم يكن ليحدث لولاه. "شكرًا لك.." قبَّلته وأنا مستمرة في شكره. عندما توقفت أخيرًا عن شكره وتقبيله، تراجعت إلى الخلف ونظرت في عينيه، كان يبكي، امتلأت بشعورٍ من الامتنان لم أعرفه من قبل.

أنا ممتنة جدًا له. له وحده..

قد تكون هذه هي اللحظة التي وقعت فيها في حب ليدجر وارد..

***

- أشعر أنني على وشك التقيؤ.

- هل تريدني أن أتوقف؟

هززت رأسي نافية: "بل قُد أسرع من فضلك..".

ضغط ليدجر ركبتي ليطمئنني. قضيت الساعات القليلة الماضية وأنا أتعذب من الانتظار، اضطررت إلى الانتظار حتى بعد ظهر اليوم لنشق طريقنا إلى بيت باتريك وجريس، أردته أن يأخذني إلى ديم

فورًا، لكني أردت أن يسير كل شيء وفقًا لشروطهما، قررت أن أصبر وأن أحترم قواعدهما، وأن أحترم جدولهما الزمني وقراراتهما وكل ما يريدان؛ سأحترمهما بنفس القدر الذي احترما به ابنتي واهتما بها.

أعرف أنهما طيبان، أحبهما سكوتي من كل قلبه، وأنهما عانيا الكثير، لذا سأحترم الوقت الذي يحتاجان إليه ليأخذا قرارهما بشأني، كنت متوترة من أن أرتكب أي خطأ، أو أن أقول شيئًا غبيًّا، عندما زرتهما من قبل مع سكوتي كان الأمر أقرب لسلسلة من سوء الفهم، وأنا أحتاج هذه المرة إلى أن أحظى بإعجابهما لأنهما بالفعل على المحك.

وصلنا إلى وجهتنا لكننا لم نغادر الشاحنة على الفور، أعطاني ليدجر خطابًا حماسيًّا وقبّلني نحو عشر قبلات، فازداد توتري، شعرت أنني على وشك الانفجار من فرط المشاعر فطلبت منه أن نذهب. أمسك يدي بإحكام ونحن نعبر الشارع ونسير عبر العشب ولعب ديم المتناثرة في الفناء الأمامي ونطرق باب البيت الذي تعيش فيه ابنتي.

لا تبكي.. لا تبكي.. لا تبكي..

ضغطت يدَ ليدجر بتشنُّج حتى فُتح الباب أخيرًا، رأيت باتريك أمامي، بدا متوترًا لكنه بشكلٍ ما يبتسم، جذبني إليه وعانقني، ليس مجرد عناقٍ مجاملٍ لأنني أقف أمامه أو لأن زوجته طلبت منه ذلك، بل هو عناق مليء بالكثير من المشاعر، عندما تراجع إلى الخلف كان يمسح عينيه، قال مشيرًا إلى الرواق خلفه: "ديم مع سلحفاتها في الفناء الخلفي".

قالها بلطفٍ، من دون كلمات قاسية ولا طاقة سلبية، لم أعرف إذا كان هذا هو الوقت المناسب للاعتذار، لكن بما أنه طلب مني الذهاب إلى ديم، فهمت أنه أراد تأجيل الكلام بيننا إلى وقتٍ لاحقٍ.

أمسك ليدجر بيدي ونحن نخطو إلى داخل المنزل، المنزل الذي دخلته من قبل، وذهبت إلى فنائه الخلفي من قبل، لكن هذه المرة كان شعوري بالألفة مختلفًا، وعلى الرغم من ذلك، كنت خائفة، أفكر في الكثير من الأسئلة، ماذا لو لم تحبني، ماذا لو كانت غاضبة مني؟

لمحت جريس واقفة في المطبخ، فتوقفت أمامها، سألتها ماذا قالت لها عني؟ عن غيابي، هزَّت جريس رأسها وقالت: "لم نتحدث معها عنك قط. سألتنا مرة واحدة لماذا لا تعيش مع أمها وأخبرتها لأن سيارتك ليست كبيرة بما يكفي".

ضحكت بعصبية، وقلت: "ماذا؟".

هزَّت جريس كتفيها: "لقد ذُعرت، لم أعرف ماذا أقول".

سيارتي ليست كبيرة بما يكفي؟ يمكن أن أتعامل مع ذلك، كنت أخشى أن يكونا قد سمَّما أفكارها نحوي، لكني كنت مخطئة، كان يجب أن أعرف أنهما أفضل من ذلك.

قال باتريك: "رأينا أن نترك الباقي عليكِ، لم نكن متأكدين من مدى رغبتك في مقابلتها".

أومأت برأسي، وابتسمت محاولة ألا أبكي. ألقيت نظرة على ليدجر، كان كالمرساة إلى جانبي، يحافظ على توازني، سألته: "هل ستأتي معي؟".

سرنا معًا نحو الباب الخلفي، حتى رأيتها جالسة على العشب، ظللت أراقبها من خلف الباب الزجاجي لبضع دقائق، أردت أن أتأمل كل جزء فيها قبل أن يحدث أي شيء، كنت خائفة.. مرعوبة.. نفس شعوري وأنا في المخاض، كنت مرعوبة ومتألمة، لكني أيضًا ممتلئة بالأمل والحماس والحب أكثر مما شعرت به طوال حياتي.

دفعني ليدجر مشجعًا ففتحت الباب، نظرت ديم إلى الأعلى ورأتني أنا وليدجر واقفين في الشرفة الخلفية، ألقت عليَّ نظرة سريعة، لكن عندما هبطت عيناها على ليدجر، أضاء وجهها، ركضت إليه، فحملها بين ذراعيه، شممت نفحة من شامبو الفراولة.

لديَّ ابنة رائحتها مثل الفراولة..

جلس ليدجر على أرجوحة في الشرفة الخلفية مع ديم، وأشار إليَّ لأجلس إلى جوارهما، جلستُ بينما تنظر ديم إليَّ وهي في حضنه، قال: "ديم، هذه صديقتي كينا".

ابتسمت ديم لي، فكدت أسقط على الأرض، سألتني: "هل تريدين أن تري سلحفاتي؟".

- بالتأكيد.

أمسكت بيدها الصغيرة اثنين من أصابعي، ثم اندفعت من حضن ليدجر ساحبة إياي خلفها، ألقيت نظرة على ليدجر فأومأ إليَّ مطمئنًا، سرت مع ديم ثم جلسنا على العشب لتريني السلحفاة، سألتها: "ما اسمها؟".

- "إنها ولد.. سميته ليدجر.." قهقهت مضيفة: "إنه يشبهه تمامًا".

ضحكت، كانت تحاول إخراج السلحف من قوقعته، فلم أتمكن من التوقف عن التحديق إليها، مشاهدتها في مقاطع الفيديو شيء والتواجد بالقرب منها شيء آخر، مثل ولادة جديدة.

سألتني: "هل تريدين أن تري بيت ألعاب الغابة الخاص بي؟ حصلت عليه من أجل عيد ميلادي، سأكمل خمس سنوات الأسبوع المقبل".

سارت ديم نحو بيت الألعاب، لذا تبعتها ملقية نظرة على ليدجر الذي لا يزال جالسًا على أرجوحة الشرفة يراقبنا.

أخرجت ديم رأسها من باب بيت الألعاب، وقالت: "ليدجر، هل تستطيع وضع ليدجر في حوضه الزجاجي حتى لا يضيع؟".

نهض ليدجر قائلًا: "بالتأكيد".

أمسكت ديم بيدي، وسحبتني إلى داخل البيت الصغير المحاط بسورٍ عالٍ، جلسنا في منتصف المكان، شعرت براحة أكبر هنا، حيث لا أحد يمكنه رؤيتنا، أو الحكم على كيفية تعاملي معها في هذه اللحظة. قالت ديم: "كان هذا البيت لبابا، ليدجر ونونو أعادا بناءه مرة أخرى من أجلي".

- كنت أعرف والدك.
- هل كنت صديقته؟
- كنت حبيبته، أحببته كثيرًا.

ضحكت ديم وقالت: "لم أكن أعرف أن بابا لديه حبيبة".

بدت نسخة مصغرة من سكوتي وهي تضحك، اضطررت إلى النظر بعيدًا عن وجهها لأن دموعي بدأت في التساقط، لاحظت ديم دموعي، فسألتني: "لماذا تبكين؟ هل تشتاقين إلى بابا؟".

أومأت برأسي، وأنا أمسح دموعي: "أفتقده كثيرًا، لكن ليس هذا هو السبب، أنا أبكي.. أنا أبكي لأنني سعيدة جدًّا أنني قابلتك أخيرًا".

صاحت ديم وهي تقفز: "لماذا؟".

كانت على بُعد ثلاثة أقدام مني، لم أرد سوى أن أجذبها إلى حضني، اقتربت منها، وقلت: "أريد أن أخبرك بشيء".

زحفت ديم نحوي، وجلست عاقدة ساقيها، فأكملت: "أعلم أننا لم نلتقِ قطُّ من قبل، لكن.. لا أعرف حتى كيف أقول هذا، لذا سأقولها بأبسط طريقة.. أنا أمك".

لمعت عينا ديم بشيء ما، لكنني لا أعرف ما تعنيه تعابيرها بعد، لا أعرف ما إذا كان ذلك مفاجأة أم فضولًا، قالت متسائلة: "أمي؟".

ابتسمت لها، وأكملت: "لقد كبرت داخل بطني، وبعد ذلك عندما وُلدتِ، اعتنى بك "نانا" و"نونو" من أجلي لأنني لم أستطع".

- هل حصلت على سيارة أكبر؟

ضحكت بصوتٍ عالٍ، أنا سعيدة أن جريس أخبرتني بهذه المعلومة، وإلا لم أكن لأفهم ماذا تقصد، قلت: "الحقيقة أنا لا أملك سيارة الآن، سأشتري واحدة قريبًا، لكني لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك لرؤيتك، لذا أوصلني ليدجر إلى هنا بشاحنته، لقد انتظرت طويلًا جدًّا لمقابلتك".

لم تبد ديم الكثير من ردود الفعل، ابتسمت فقط، ثم زحفت عبر العشب لتبدأ في قلب مربعات "تيك تاك تو" التي تشكل جزءًا من جدار بيت الألعاب. قالت وهي تدور أحد الحروف على الحائط: "يجب أن تأتي إلى مباراة التي-بول القادمة.. إنها مباراتي الأخيرة".

- أود أن أحضر لمشاهدتك تلعبين التي-بول.

- بعدها سأذهب إلى تمارين هذا الشيء بالسيوف. اسمعي، هل تعرفين كيف تلعبين تيك تاك تو؟

أومأت برأسي، واقتربت منها لأتمكن من لعب تيك تاك تو معها، أدركت أن هذه اللحظة ليست مهمة للغاية بالنسبة إلى ديم، لكنها الأهم بالنسبة إليّ. لقد فكرت في ملايين السيناريوهات لهذه اللحظة، وفي كل سيناريو، كانت ديم حزينة أو غاضبة لأنني استغرقت كل هذا الوقت لأظهر، لكن في الحقيقة، لم تكن تعرف حتى إنني غير موجودة.

أنا ممتنة جدًا، كل هذه السنوات من القلق والدمار كانت كلها من جانب واحد، مما يعني أن ديم كانت تعيش بسعادة، وأنا لا أريد شيئًا سوى ذلك. لم أكن لأطلب نتيجة أفضل. يبدو الأمر كما لو أنني تسللت إلى حياتها من دون دراما، أمسكت ديم بيدي، وقالت: "لا أريد أن ألعب، دعينا نذهب".

زحفنا خارجين من بيت الألعاب، ثم صعدت ديم إلى الأرجوحة على الشرفة وقالت: "لقد نسيت اسمك".

- كينا.

قلتها وأنا أبتسم لأنني أدركت أنني لن أكذب بشأن اسمي على أي شخص مرة أخرى، قالت ديم: "هل يمكنك أن تأرجحيني؟".

بدأت في أرجحتها بينما بدأت تحكي لي فيلمًا أخذها ليدجر إلى مشاهدته مؤخرًا، بينما نحن على هذه الحالة دخل ليدجر إلى الشرفة ليرانا نتحدث، فوقف خلفي، ولفَّ ذراعيه حولي وقبّل جانب رأسي في نفس اللحظة التي استدارت فيها ديم لتنظر إلينا، فصاحت: "ليدجر!".

قال ليدجر وهو يقبِّل رأسي مرة أخرى: "يجب أن تعتادي هذا يا دي".

تولَّى ليدجر دفع أرجوحة ديم، بينما جلستُ أتأرجح بجانبها، أمالت ديم رأسها إلى الوراء ونظرت إلى ليدجر لتسأله: "هل ستتزوج أمي؟".

في أي وقتٍ آخر كان سيكون لديَّ رد فعل على جزء الزواج من هذا السؤال، لكن عقلي ركز فقط على حقيقة أنها قالت للتو أمي.

- لا أعلم، ما زلنا في حاجة إلى التعرف على بعضنا بشكلٍ أفضل.

نظر ليدجر إليَّ، وابتسم مضيفًا: "ربما في يومٍ من الأيام سأكون جديرًا بما يكفي للزواج بها".

- ماذا يعني جديرًا؟

- يعني أن أكون جيدًا بما فيه الكفاية.

- أنت جيدٌ بما فيه الكفاية، لهذا سميت سلحفاتي ليدجر.

أمالت رأسها إلى الخلف مرة أخرى، ونظرت إليه: "عطشانة، هل تحضر لي العصير؟".

- اذهبي، واحضريه بنفسك.

نهضت من الأرجوحة وقلت: "سأحضر أنا لك العصير".

سمعت ليدجر يغمغم لها، وأنا أسير متجه نحو الداخل: "أنت مدللة للغاية"، بينما تضحك ديم وتقول: "لست كذلك!".

عندما دلفت إلى الداخل، توقفت لحظات لأراقبهما من خلف الباب الزجاجي، إنهما رائعان معًا، إنها رائعة، أنا خائفة أن أستيقظ وأكتشف أن كل هذا ليس حقيقيًا، لكنني أعلم أنه يحدث، وأنا أعلم أنني في النهاية أستحق ذلك.

***

لقد أجريت أخيرًا محادثة حقيقية مع عائلة لاندريس، عندما مشيت إلى المطبخ لأجد جريس واقفة تحضر العشاء، أخبرتها أن ديم تريد بعض العصير فأخبرتني أنه في الثلاجة بينما تفرم بيديها الطماطم لتسقطها في السلطة.

تناولت العصير ووقفت أراقب جريس وهي تعد العشاء. أردت أن أكون أكثر إفادة وتفاعلًا معها مما كنت عليه في المرة الأولى التي أحضرني فيها سكوتي إلى هذا المنزل، فسألتها: "كيف يمكنني أن أساعدك؟".

ابتسمت لي جريس قائلة: "لا داعي لذلك، اذهبي واجلسي مع ابنتك".

بدأت في الخروج من المطبخ، لكن خطواتي كانت ثقيلة جدًّا، أردت أن أخبر جريس بما لم تتح لي الفرصة لأقوله لها في وقتٍ سابقٍ من اليوم في شقتي. استدرت، كدت أصيح: "أنا آسفة" لكنني شعرت أنني إذا فتحت فمي، سأبكي.

التقت عيناي بعيني جريس، بدا واضحًا أنها تشعر بألمي، همستُ: "جريس..".

توجهت نحوي على الفور وعانقتني عناقًا رائعًا، ثم قالت بهدوء: "كينا.. اسمعي..".

تراجعت إلى الخلف، كنَّا بنفس الطول لذا شعرتُ أن وجهها أمام وجهي مباشرة، تناولت مني علبة العصير ووضعتها جانبًا، ثم ضغطت كلتا يديَّ بشكلٍ مطمئن، قالت: "يجب أن ندع كل شيء خلفنا، أنا أسامحك وأنت تسامحيني، وسنمضي قدمًا معًا لنمنح تلك الفتاة الصغيرة أفضل حياة يمكننا أن نقدمها إليها، تمام؟".

أومأت برأسي، لأنني لم أستطع فعل ما هو أكثر من ذلك، أنا أسامحهما، لقد سامحتهما دائمًا، لقد مشيت طريقًا صعبًا للغاية، لكنني أعتقد أنني وصلت إلى هذه النقطة في مسامحة نفسي أخيرًا.

أنا بخيرٍ..

لقد غفرت لنفسي.. لقد غفرت لكينا..

الفصل الواحد والأربعون

ليدجر

تأقلمت كينا على الفور، كان أمرًا سرياليًا، ولكي أكون صادقًا، مفاجئًا بعض الشيء. انتهينا من تناول العشاء وظللنا جالسين على الطاولة، تجلس ديم على ساقيَّ، وأنا أجلس بجانب كينا.

بدت متوترة عندما جلسنا لتناول العشاء، لكنها بدأت في التخفف شيئًا فشيئًا، خاصة بعد أن بدأ باتريك في سرد القصص الطريفة لكينا عن ديم، مثل المرة التي كسرت فيها ديم ذراعها منذ ستة أشهر، وأمضت الأسبوعين الأولين وهي تعتقد أنها ستضطر إلى ارتداء الجبيرة إلى الأبد. لم يفكر أحدٌ منا في إخبارها بأن الكسر سيلتئم، وافترضت ديم أنه عندما يكسر شخص عظامه، فإنها تظل مكسورة إلى الأبد.

- أوه، لا.. أيتها الطفلة المسكينة.

قالت كينا ضاحكة، ثم نظرت إلى ديم ومدَّت نحوها يدها، فمدَّت ديم يدها نحو كينا وقبَّلتها، ثم انزلقت ديم من فوق ركبتيَّ بهدوء وصعدت إلى حضن كينا. حدث ذلك بسرعة، فجأة وجدتُ ديم ملتصقة بكينا، وكينا تلف ذراعيها حول ديم كأنه الشيء الأكثر طبيعية في العالم.

حدقنا ثلاثتنا إليهما، لكن كينا لم تلاحظنا، ضغطت خدها بأعلى رأس ديم وغابت عن العالم، أقسم أنني أوشكت على البكاء وأنا جالس إلى الطاولة، فتنحنحت ودفعت مقعدي إلى الخلف، حاولت الاستئذان منهم لكني لم أستطع، لأنني شعرت أن صوتي سينكسر إذا حاولت أن أتحدث، تركت الطاولة بصمتٍ وخرجت.

أردت أن أمنح الأربعة بعض الخصوصية، لقد كنت الرابط بينهم بشكلٍ ما لكني أردتُ أن يتفاعلوا من دوني، أردت أن تشعر كينا بالراحة معهم من دوني، لأنه من المهم أن تكون لديها علاقة معهم بعيدًا عني.

يمكنني أن أقول إن باتريك وجريس تفاجآ بمدى اختلاف شخصيتها عما توقعناه جميعًا، وهذا يثبت أن الوقت والمسافة والألم يمنحون الناس الفرصة لصنع صورة متخيلة عن الأشخاص الذين لا يعرفونهم، لم تكن كينا شريرة كما تخيلاها، كانت ضحية، كنَّا جميعًا ضحايا.

لم تغرب الشمس بعد، لكنها اقتربت من الثامنة، وهذا هو وقت نومِ ديم، كنت متأكدًا من أن كينا ليست مستعدة للمغادرة بعد، لكنني تطلّعت إلى انتهاء اليوم لأنفرد بكينا، وأكون بقربها وهي تستعرض أحداث اليوم الذي هو بالتأكيد أفضل يوم في حياتها.

انفتح الباب الخلفي، وسار باتريك إلى الشرفة، لم يجلس على كرسي، أسند ظهره إلى أحد الأعمدة وحدق إلى الأفق، عندما تركت الرسالة له وجريس ليلة أمس، توقعت أيَّ رد فعلٍ، لم أكن متأكدًا ما

هو لكني اعتقدت أنني سأحصل على أيِّ شيء، رسالة نصية، مكالمة هاتفية، قرع على بابي الأمامي، لم أتحصل على شيء.

بعد ساعتين من مغادرتي لهما، تحليت أخيرًا بالشجاعة للنظر من نافذتي إلى منزلهما، كانت كل أنوارهما مطفأة، لم أشعر قطُّ باليأس كما شعرت في تلك اللحظة، اعتقدت أن جهودي باءت بالفشل، ولكن هذا الصباح، بعد ليلة كاملة من الأرق، سمعت طرقًا على بابي.

عندما فتحته، كانت جريس تقف هناك من دون ديم أو باتريك، كانت عيناها منتفختين كما لو كانت تبكي، قالت: "أريد مقابلة كينا".

هذا كل ما قالته، فركبنا شاحنتي على الفور، ذهبنا من دون أن أسألها ماذا ستفعل، ما إذا كانت ستقبل كينا أم ترفضها، عندما وصلنا إلى منزل كينا، التفتت إليَّ جريس قبل أن تغادر الشاحنة، وسألتني: "هل تحبها؟".

لم أتردد لحظة قبل أن أومأ برأسي بالإيجاب، فسألتني: "لماذا؟".

لم أتردد وأنا أجيب هذا السؤال أيضًا: "سترين بنفسك أن حبها أسهل بكثيرٍ من كراهيتها".

جلست جريس في صمتٍ للحظة قبل أن تترجل أخيرًا من شاحنتي، بدت متوترة مثلي، صعدنا إلى الطابق العلوي معًا، لكنها أخبرتني أنها تريد بعض الوقت بمفردها مع كينا. كان من الصعب ألا أعرف ماذا دار في هذه الشقة، مثلما هو صعب ألا أعرف فيما يفكر باتريك الآن.

لم تتح لنا الفرصة للتحدث عن كل ما حدث، أظن أن هذا هو سبب خروجه إليّ في الشرفة، آمل أن يكون هو وجريس متفقين، وألا يكون قد تقبَّل كينا فقط لأن جريس طلبت منه أن يفعل. بعد لحظاتٍ من الصمت تجرأت وسألته: "بماذا تفكر؟".

حكَّ باتريك فكه، وبدا كأنه يفكر في سؤالي، ثم أجاب من دون أن ينظر إليّ: "لو سألتني هذا السؤال عندما وصلتَ أنتَ وكينا قبل ساعاتٍ قليلة، لكنتُ أخبرتك أنني ما زلت غاضبًا منك، وأنني لست آسفًا على ضربك".

توقف لحظة عن الكلام، وجلس على درج الشرفة العلوية، وضم يديه فوق ركبتيه ثم نظر إليّ مكملًا: "لكن كل هذا تغيَّر عندما رأيتك معها، عندما رأيت الطريقة التي تنظر بها إليها، دموع عينيك عندما زحفت ديم إلى حجرها".

هزَّ باتريك رأسه، ثم قال: "لقد عرفتك منذ أن كنت في عمر ديم يا ليدجر، لم تعطني أي سببٍ طوال هذه السنوات للشك فيك، إذا كنت تعتقد أن كينا تستحق ديم، فأنا أصدقك، أقل ما يمكنني فعله هو تصديقك".

- اللعنة.

نظرت بعيدًا عنه، ومسحت عينيَّ، ما زلت لا أعرف كيفية التعامل مع كل هذه المشاعر اللعينة منذ أن عادت كينا. اتكأت على الكرسي ولم أعرف بما أرد، ربما لا يجب عليَّ أن أفعل، ربما تكون كلماته كافية لإنهاء هذه المحادثة.

جلسنا في صمتٍ لمدة دقيقة أو دقيقتين، ولكنه صمتٌ مختلفٌ عن كل نوبات الصمت التي جلست معه فيها من قبل. هذه المرة، كان الصمت مريحًا وسلميًا وليس حزينًا أبدًا، فجأة قطع باتريك الصمت صائحًا: "اللعنة!".

نظرت إليه، لكن تركيزه انصبَّ على شيء ما في الفناء الخلفي تتبعت خط بصره حتى... لا.. لا.. مستحيل!

قلت: "اللعنة عليَّ إن كان هذا حقيقيًّا.. هل هذا..؟ هل هذه حمامة لعينة؟".

إنها.. إنها حمامة فعلًا.. حمامة حقيقية بيضاء ورمادية تتجول في الفناء الخلفي في توقيت ربما هو الأغرب في تاريخ الطيور، ضحك باتريك.. ضحكة عالية ومندهشة، ضحك كثيرًا لدرجة جعلتني أضحك أيضًا، لكنه لم يبكِ هذه المرة، كانت المرة الأولى التي يتذكر فيها سكوتي ولا يبكي، وشعرت أن هذا شيء كبيرٌ، ليس لأن احتمالية أن تحط حمامة عشوائية في هذه اللحظة التي نتحدث فيها ربما واحد من مليار، لكن لأننا لم نتحدث قط أنا وباتريك عن سكوتي من دون أن ينتهي كلامنا بي وأنا أتسلل مبتعدًا ليتمكن باتريك من البكاء وحده.

لكنه لم يبك.. كان يضحك، هذا كل ما يفعله، ولأول مرة منذ أن مات سكوتي أشعر بالأمل..

***

المرة الوحيدة التي دخلت فيها كينا منزلي كانت بعد أن ظهرت في هذا الشارع من دون سابق إنذار، لم تكن تلك تجربة جيدة لأيٍّ منًّا، لذلك عندما فتحت باب منزلي وأرشدتها إلى الداخل، أردتها أن تشعر بالترحيب.

كنت أتطلع إلى النوم مع كينا في سريري، كل المرات التي نمت فيها معها كانت مثالية، لكنني شعرت دائمًا أنها تستحق أفضل من مرتبة قابلة للنفخ، أو شاحنتي، أو أرضية خشبية.

أردت أن أريها المنزل، لكن حاجتي إلى تقبيلها كانت الأقوى، بمجرد أن أغلقت الباب الأمامي، جذبتها نحوي، وقبَّلتها قبلة طويلة، رغبت في تقبيلها طوال الليل؛ إنها أول قبلة من دون حزن أو خوف، هذه قبلتي المفضلة حتى الآن. استمرت طويلًا لدرجة أنني نسيت أن أريها بقية المنزل، حملتها مباشرة إلى سريري، وعندما أنمتها فوقه تنهدت قائلة: "يا إلهي يا ليدجر، مرتبتك ليِّنة جدًّا".

التقطت جهاز التحكم عن بُعدٍ بجوار سريري وأدرته على وضع التدليك حتى يهتز السرير، ما جعلها تتأوه، لكن عندما حاولت النوم فوقها، ركلتني جانبًا قائلة: "أحتاج إلى دقيقة كاملة على انفرادٍ مع سريرك".

أغمضت عينيها فرقدت على جانبي أحدق إلى الابتسامة على وجهها. رفعت يدي ومسست بها شفتيها برفقٍ، ثم مررتُ بأصابعي على فكِّها وعنقها، قلتُ بهدوء: "أريد أن أخبرك بشيء".

فتحت عينيها، وابتسمت بلطفٍ وهي تنتظرني أن أتكلم، فرفعت يدي مرة أخرى إلى وجهها ولمست شفتيها مرة أخرى، قائلًا:

"أمضيت العامين الماضيين أحاول أن أكون نموذجًا جيدًا لديم، لذلك قرأت بعض الكتب عن النسوية، تعلمت أن التركيز المفرط على مظهر الفتاة قد يضرها، لذا بدلًا من أن أخبر ديم كم أعتقد أنها جميلة، ركزت على كل الأشياء التي اعتقدت أنها مهمة، مثل مدى ذكائها ومدى قوتها. لقد حاولت أن أعاملك بنفس الطريقة، هذا هو السبب في أنني لم أثنِ على مظهرك من قبل، أو أخبرك كم أنت جميلة، لكنني سعيدٌ أنني لم أخبرك بذلك قبل هذه اللحظة، لأنك الآن أجمل من أي وقتٍ سابقٍ.

قبّلتُ طرف أنفها، وقلتُ: "السعادة تليق بك يا كينا".

لمستْ خدي بيدها، وابتسمت لي قائلة: "بفضلك".

هززتُ رأسي نافيًا: "أنا لست مسؤولًا عن الليلة، ليس أنا من قضى السنوات الماضية يدخر كل قرش لينتقل إلى هذه المدينة ويسير إلى العمل كل يوم من دون يأس و..".

- أحبك يا ليدجر.

قالتها من دون عناء، كأن هذا أسهل شيء قالته طوال عمرها، أكملتْ: "ليس عليكَ أن تقولها لي، أردت فقط أن تعرف كم...".

قاطعتها: "أحبك أيضًا".

ابتسمت وهي تضغط شفتيّ بشفتيها، حاولت تقبيلها لكنها كانت لا تزال تبتسم على شفتيّ. بقدر ما أردت خلع ملابسها وأن أهمس

أحبك مرارًا وتكرارًا على كل جزء من جسمها، إلا أنني قررت بدلًا من ذلك أن أصمت لبعض الوقت، أن أظل إلى جوارها وأمنحها الوقت لاستيعاب كل ما حدث اليوم.. حدث الكثير اليوم وما زال هناك الكثير، قلتُ بعد لحظات الصمت: "لن أنتقل من هنا".

- ماذا تقصد؟

- لن أبيع هذا المنزل، سأبيع المنزل الجديد، أريد أن أبقى هنا.

- متى قررت ذلك؟

- الآن.. هنا عائلتي.. هذا بيتي.

ربما أكون مجنونًا، بالنظر إلى عدد الساعات التي أمضيتها في بناء ذلك المنزل، لكن رومان قضى تلك الساعات أيضًا، ربما سأبيعه إلى رومان بتكلفة المواد، هذا أقل ما يمكنني فعله من أجله، بعد كل شيء، رومان كان السبب الأساسي في كل ما حدث اليوم، لو لم يجبرني على العودة والتحقق من حالة كينا في تلك الليلة، ربما لما كنَّا وصلنا إلى هذه النقطة.

يبدو أن كينا انتهت من الحديث، قبَّلتني كثيرًا، لم نتوقف إلا بعد ساعة عندما شعرنا بالإرهاق والتعرق والإشباع، تعانقنا، وظللت أحدق إليها حتى غفت، ثم حدقت إلى السقف لأنني لم أستطع النوم، لم أستطع التوقف عن التفكير في تلك الحمامة اللعينة، هل لسكوتي علاقة بها؟ ما هي احتمالية ذلك؟ هل هي مجرد صدفة؟ ولكن من الممكن أيضًا أن تكون إشارة.. رسالة من أينما كان.

ربما لا يهم ما إذا كانت صدفة أم إشارة، ربما تكون أفضل طريقة للتعامل مع فقداننا لأحبائنا هي أن نشعر بهم في كل شيء وكل مكان، وفي فكرة أنهم ما زالوا قادرين على سماعنا بطريقة ما، ربما لا يجب أن نتوقف أبدًا عن الحديث إليهم.

الفصل الثاني والأربعون

كينا

أخرجتُ ديم من مقعدها المعزز، وساعدتها على الخروج من شاحنة ليدجر، كنت أحمل الصليب الخشبي في يدي، لذا أمسكت بالمطرقة باليد الأخرى، سألني ليدجر: "هل أنت متأكدة أنك لا تريدينني أن أساعدك؟".

ابتسمت له مطمئنة، وهززت رأسي نافية: "لا .. أريد أن أفعلها مع ديم".

قدتها إلى حافة الطريق حيث وجدت الصليب لأول مرة، وركلت العشب والأوساخ بطرف حذائي الرياضي حتى وجدت الفتحة التي كان الصليب مغروسًا فيها، ناولت الصليب إلى ديم، وقلت: "هل ترين تلك الحفرة؟".

مالت إلى الأمام لتفقد الأرض، وأومأت برأسها، فقلت: "اغرسيه فيها".

غرست ديم الصليب في الحفرة، وهي تسألني: "لماذا نضع هذا هنا؟".

ضغطت الصليب لأتأكد من ثباته، وأجبتها: "لأن هذا سيسعد نانا عندما تقود سيارتها على هذا الطريق".

- هل هذا سيسعد بابا؟

ركعت بجانب ديم، لقد فاتني الكثير من حياتها، لهذا أريد أن تكون كل دقيقة نقضيها معًا صادقة ومميزة. أحاول أن أكون أمينة وصريحة معها بقدر ما أستطيع.

- لا أعتقد.. كان أبوك يرى النصب التذكارية سخيفة، ولكن نانا تحبها، وأحيانًا نقوم بأشياء للأشخاص الذين نحبهم، حتى على الرغم من أننا لن نختار القيام بهذه الأشياء لأنفسنا.

حملت ديم المطرقة، وقالت: "هل يمكنني أن أفعلها؟".

أومأت لها فطرقت بها الصليب عدة مرات، لم تقدر على الاستمرار فناولتني المطرقة، دققت الصليب ثلاث مرات أخرى حتى تأكدت من أنه مغروس جيدًا في الأرض، لففت ذراعي حول ديم، وحدقنا إلى الصليب، سألتها: "هل هناك أي شيء تريدين أن تقوليه لأبيك؟".

فكرت ديم في الأمر للحظة ثم قالت: "ماذا أقول؟ هل أتمنى أمنية؟".

ضحكت: "يمكنك المحاولة، لكنه ليس ماردًا، أو بابا نويل".

- أتمنى أختًا صغيرة أو أخًا صغيرًا.

قلتُ في سري: إياك أن تلبي لها هذه الأمنية يا سكوتي، لم أعرف ليدجر سوى منذ خمسة أشهر، حملت ديم عائدين إلى الشاحنة، وقلتُ: "يتطلب الأمر أكثر من أمنية للحصول على شقيق".

- أعرف، علينا شراء بيضة من وول مارت، هكذا نحصل على الأطفال.

قلت وأنا أعقد لها حزام أمان مقعدها: "لا يا ديم، ينمو الأطفال في بطون أمهاتهم، هل تذكرين عندما أخبرتك أنني أنجبتك من بطني؟".

- أوه نعم.. نعم.. إذن هل يمكنك أن تنجبي طفلًا آخر؟

حدقت إلى ديم، لست متأكدة من كيفية الرد على ذلك، لكني قلت: "ما رأيك لو حصلنا على قطة أخرى؟ إيفي تحتاج إلى صديق".

صفقت ديم بيديها في حماسٍ: "نعم.. قطة أخرى!".

قبّلتها على رأسها، وأغلقت بابها. بينما راقبني ليدجر وأنا أفتح باب الراكب وأصعد إلى الشاحنة، أشار إلى المساحة الفارغة بين مقعدينا فتحركت بسرعة لأجلس ملتصقة به، شبّكنا أصابعنا معًا، نظر إليّ بلمعة في عينيه، كأنما أثارته فكرة جلب شقيق إلى ديم، قبّلني ثم بدأ في القيادة.

لأول مرة منذ فترة طويلة، أردت الاستماع إلى الراديو، أردت أن أسمع أي أغنية، حتى لو كانت حزينة، ملت إلى الأمام وأدرت الراديو، إنها المرة الأولى التي نستمع فيها أنا وليدجر لأي شيء آخر في هذه الشاحنة خارج قائمة التشغيل الآمنة التي صنعها لي.

نظر إليّ عندما أدرك ما قمت به، فابتسمت وأسندت رأسي إلى كتفه، لا تزال الموسيقى تذكرني بسكوتي، لكن التفكير في سكوتي لم يعد يحزنني، الآن بعدما استطعت مسامحة نفسي، التفكير فيه يجعلني أبتسم فقط.

النهاية

خاتمة

عزيزي سكوتي،

أنا آسفة لأنني لم أكتب إليك كثيرًا، اعتدت أن أكتب إليك لأنني كنت وحيدة، لذلك أعتقد أنه أمرٌ جيدٌ أن رسائلي الآن متباعدة وقليلة. ما زلت أفتقدك، سأفتقدك دائمًا، لكنني مقتنعة بأن الثقوب التي تركتها وراءك ما هي إلا ثقوب صنعتها في خيالي، أينما تكون، ستكون مكتملًا، هذا هو ما يهم.

تنمو ديم بسرعة كبيرة، بلغت السابعة من عمرها، من الصعب أن أتذكر أنني لم أكن إلى جوارها طوال سنواتها الخمس الأولى، لأنني أشعر كما لو كنت إلى جوارها دائمًا، والفضل يعود إلى والديك وليدجر، لا يتوقفون عن حكي القصص عن نشأتها، وعرض مقاطع الفيديو من طفولتها، يشعرني ذلك كأنني لم أفوِّت شيئًا.

لا أعلم أن كانت ديم تتذكر حياتها من قبلي، بالنسبة إليها، كنت دائمًا هنا، أنا أعرف هذا لأن كل الأشخاص الذين أحبُّوك منحوها كل ما احتاجت إليه عندما لم أستطع أن أكون إلى جوارها. لا تزال تعيش مع والديك، لكنني أراها كل يوم، تمكث معي أنا وليدجر ليلتين في الأسبوع، لديها غرفة نومها الخاصة في كلا المنزلين، نتناول العشاء معًا كل ليلة. أحب أن تعيش معي بدوامٍ كاملٍ، لكن من المهم أيضًا أن تحافظ على الروتين الذي كانت تتبعه منذ ولادتها، وباتريك

وجريس يستحقان أن يكونا الفردين الرئيسين في حياتها، لن أريد أبدًا حرمانهما من ذلك.

منذ اليوم الذي تقبَّلاني فيه في حياتهما، لم أشعر أبدًا بعدم الترحيب، ليس ليوم واحدٍ أو حتى للحظة واحدة، لم يتقبَّلاني بشروطٍ، بل تقبَّلاني كأنني أنتمي إليهما، وإلى كل الناس الذين أحبوك. أنا محاطة بأناس طيبين يا سكوتي، والديك وصديقك المقرب، ووالديه، لم أقابل عائلة أكثر عاطفة منهم من قبل. الأشخاص الذين كانوا في حياتك هم الآن الأشخاص الموجودون في حياتي، وسأفعل كل ما في وسعي لمنحهم نفس القدر من الحب والاحترام الذي كنت تمنحهم إياه، سأتعامل معهم بنفس التقدير والأهمية اللذين أمنحهما لعملية تسمية الأشياء.

أنت تعرف مدى جديتي في تسمية الأشياء. فكرت طويلًا وبجدية قبل أن أسمي ديم، حتى إنني استغرقت ثلاثة أيام لتسمية القطة إيفي، الاسم الأخير الذي فكرت فيه قبل أسبوعين كان على نفس الأهمية، لكنه بشكلٍ ما كان أسهل اسم توصَّلت إليه.

عندما وضعوا ابننا الوليد على صدري، نظرت إليه بأعين دامعة، وقلتُ:

- مرحبًا سكوتي.

محبَّتي،

كينا

قائمة الأغاني الآمنة التي صنعها ليدجر لكينا:

Raise Your Glass—P!nk

Dynamite—BTS

Happy—Pharrell Williams

Particle Man—They Might Be Giants

I'm Good—The Mowgli's

6) Yellow Submarine—The Beatles

I'm Too Sexy—Right Said Fred

Can't Stop the Feeling!—Justin Timberlake

Thunder—Imagine Dragons

Run the World (Girls)—Beyoncé

U Can't Touch This—MC Hammer

Forgot About Dre—Dr. Dre featuring Eminem

Vacation—Dirty Heads

The Load Out—Jackson Browne

Stay—Jackson Browne

The King of Bedside Manor—Barenaked Ladies

Empire State of Mind—JAY-"Z

Party in the U.S.A.—Miley Cyrus

Fucking Best Song Everrr—Wallpaper.

Shake It Off—Taylor Swift

Bang!—AJR

مؤلفات أخرى لكولن هوفر:

Layla

Heart Bones

Regretting You

Verity

All Your Perfects

Without Merit

Too Late

It Ends with Us

November 9

Confess

Ugly Love

Hopeless

Losing Hope

Finding Cinderella: A Novella

Maybe Someday Series

Maybe Someday

Maybe Not: A Novella

Maybe Now

Slammed Series

Slammed

Point of Retreat

This Girl

شكر وتقدير

ربما لاحظتم عدم وجود موقع محددٍ لمكان هذه القصة، لم أواجه هذه المشكلة مطلقًا في رواية، أن أحدِّد مكانًا يعيش فيه الشخصيات. في البداية، اخترت أماكن مختلفة تعيش فيها كينا في أثناء كتابة قصتها، لكني لم أشعر أن أيًا منها مناسبٌ، لأن جميع الأماكن كانت لتبدو مناسبة.

يوجد أناس مثل كينا في كل مكان وفي كل مدينة، الناس الذين يشعرون بالوحدة في العالم، بغض النظر عن مكان تواجدهم، عندما أنهيت الكتاب، أدركت أنني لم أحدد المكان، لكن غموض المكان الذي تتكشف فيه قصة كينا كان صحيحًا إلى حدٍ ما، لذا أمنح كل قارئ الحق في تخيل المكان الذي تحدث فيه هذه القصة، أيّ مكان يعيش فيه كل قارئ، لأنه بغض النظر عن مدى ظهور من حولنا بخيرٍ، لا أحد يملك فكرة كاملة عن مدى التمزق الذي ربما يكونون عليه من الداخل.

القراءة هواية، لكنها بالنسبة إلى البعض منًا هروبٌ من الصعوبات التي نواجهها. إلى جميع الذين يهربون إلى الكتب، أود أن أشكركم على هذا الهروب الجميل، لكني أريد أيضًا أن أعتذر عن عدم قدرتي على كتابة الكوميديا الرومانسية مهما حاولت، بدأت وأنا أعتقد بأنني

سأتخصص في هذا النوع من الكتابة، لكن من الواضح أن شخصياتي كان لها رأي آخر، ربما أحاول في الرواية القادمة.

كما أود أن أشكر أولئك الذين قرؤوا هذا الكتاب قبل نشره، وقدموا إليَّ العديد من التعليقات المفيدة: بام، لوري، ماريا، تشيل، بروك، ستيف، إيريكا وليندسي ودانا وسوزان وستيفاني وميليندا. وأنا متأكدة من وجود أصدقاء أكثر سيقرؤونه ويعطونني ملاحظاتٍ بعد كتابة هذا الشكر، لذلك أشكر أيضًا من سيساعدونني حتى اللحظات الأخيرة قبل النشر، ولن يحصلوا على شكرٍ علني.

وشكرًا جزيلًا للأختين، كينا وروان، لقد رأيت اسميكما في مجموعة القراء الخاصة بي وسرقتهما من أجل هذا الكتاب لأنني اعتقدت أنهما سيصنعان اسمًا رائعًا للشخصية، لذلك آمل أن أكون قد منحت اسميكما التقدير الذي يستحقانه.

أود أن أشكر وكيلتي، جين ديستل، ووكيلتي الحقوقية الأجنبية، لورين أبرامو، أنتما وفريقاكما منتبهون للغاية ومدهشون وصبورون.

شكر كبير لمونتليك للنشر، آنه شلويب، ليندسي فابر، وشيريل وايزمان، وكريستين دواير، وآشلي فانيشك، والجميع ممن كان له يدٌ في نشر وتوزيع هذا الكتاب، لقد كنت أحلم بالعمل معكم، وأنا أقدِّر عمل فريق مونتليك كثيرًا.

شكرًا لفريقي النشط، ستيفاني واريكا.

شكرًا لك، لورين ليفين، لإيمانك بي دائمًا.

شكرًا جزيلًا لجميع الأشخاص الذين يعملون بجدٍ من أجل صندوقي Bookworm Box وBook Bonanza، لم تكن الجمعية الخيرية لتوجد من دون أي منكم.

شكرًا لشقيقتيَّ لين رينولدز ومورفي فينيل، أنتما أحب الناس إلى قلبي.

شكرًا لمورفي راي وجيريمي ميركريبس على الرد على أسئلتي المبكرة، نصائحكما نتج عنها فكرة هذه الرواية لذا شكرًا لكما!

إلى هيث وليفي وكيل وبيكهام، شكرًا لكم على معاملتكم لي كملكة، لقد حظيت بأفضل أربعة رجالٍ على هذا الكوكب.

إلى أمي، شكرًا لك لكونك قارئتي، والأكثر حماسة لكل كتاب أكتبه، لست متأكدة إن كنت سأنتهي من معظم كتبي لولاك.

أيضًا، منصة تيك توك! لا أعرف حتى ماذا أقول، لكن شكرًا لكل الناشطين على BookTok، لقد ساعد التطبيق ليس فقط كتبي في الوصول إلى قراء جددٍ، ولكن كتب العديد من المؤلفين، حبكم للقراءة أوجد قراءً جددًا وساعد صناعة النشر بأسرها بطرق هائلة، إنه لنشاط عظيم.

وأخيرًا ... شكرًا لأعضاء فريق كولين هوفر ومجموعات القراءة على فيسبوك، أنتم يا رفاق تصنعون يومي كل يومٍ.

شكرًا إلى كل العالم وجميع سكانه!

عن المؤلفة

كولين هوفر هي الكاتبة رقم 1 للعديد من الكتب الأكثر مبيعًا طبقًا لنيويورك تايمز، بما في ذلك الرواية النسائية الأكثر مبيعًا It Ends with Us، ورواية الإثارة النفسية الأكثر مبيعًا Verity.

فازت بجائزة أفضل رواية من موقع جودريدز لأفضل قصة رومانسية لثلاث سنوات متتالية، عن Confess (2015)، It Ends with Us (2016)، Without Merit (2017). وحُوّلت روايتها Confess إلى مسلسل من سبع حلقات.

في عام 2015، أسّست هوفر وعائلتها Bookworm Box، وهو متجر لبيع الكتب باشتراكٍ شهري، وبخدمة تقديم الروايات الموقّعة التي تبرّع بها المؤلفون، تذهب جميع الأرباح إلى جمعيات خيرية مختلفة كل شهرٍ لمساعدة المحتاجين.

تعيش هوفر في تكساس مع زوجها وأولادهما الثلاثة.

زوروا موقع المؤلفة:

www.ColleenHoover.com.





كيان للنشر والتوزيع

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01000405450 /01001872290

وللاطلاع علي كُتُبنا، ومتابعة إصدراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كتابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعى التالية:



KayanPublishing

مايذكرني بك

أمٌ شابة تناضل من أجل الفوز بمكانٍ في حياة طفلتها، لكن هل من متسع لها؟ بعد قضاء خمس سنوات في السجن لارتكابها خطأ مأساويًا، تعود كينا روان إلى المدينة التي حدث فيها كل شيء، آملة في لمّ شملها وابنتها البالغة من العمر أربع سنوات. لكن الجسور التي أحرقتها كينا لا يمكن بناؤها من جديد، فكل شخص في حياة ابنتها مصمم على إقصائها، رغم كل جهودها في إثبات حسن نيّتها. الشخص الوحيد الذي لم يغلق الباب في وجهها كان ليدجر وارد، صاحب حانة محلية، وأحد الروابط القليلة المتبقية بين كينا وابنتها، لكنهما خائفان من أن يكتشف أيّ شخص علاقتهما التي تزداد قوة، والتي بسببها ربما يخسران ثقة كل شخص مهمٌ في حياتهما. يتعلق الاثنان أحدهما بالآخر على الرغم من كل الضغوطات، ولكن مع نمو علاقتهما الرومانسية تزداد المخاطر أيضا، ويجب أن تجد كينا طريقة لتصحيح أخطاء ماضيها، لتندمل الجراح ويشرق مستقبلٌ جديدٌ



تعتبر كولين هوفر أكثر الكتاب مبيعًا وفقًا لجريدة النيويورك تايمز، وهي كاتبة لعدة سلاسل منها: صدمات، وميؤوس منه، وربما.
ولديها عدد كبير من روايات منفردة أيضا مثل: الحب القبيح، اعتراف، والتاسع من نوفمبر، واختفاء ميريت.
كما أنها أيضا مؤسسة The Bookworm Box، وهو متجر لبيع الكتب، وخدمة اشتراك شهرية لتقديم الروايات الموقعة التي يتبرع بها المؤلفون لدعم المؤسسات الخيرية كل شهر.
تعيش كولين في تكساس مع زوجها وأولادهما الثلاثة.
الموقع الإلكتروني للكاتبة: ColleenHoover.com



9 789778 201352
